الإسلام في الجزيرة العربية

منذ البعثة النبوية حتى وفاة النبي صلى الله عليه وسلم

دكتور
بدر عبد الرحمن محمد
أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد
بكلية آداب بنها

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م

الناشر

مكتبة الأنجلو المصرية

١٦٥ شارع محمد فريد - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين سيدنا محمد أشرف الأنبياء والمرسلين وبعد فهذا البحث يتناول الإسلام فى الجزيرة العربية من البعثة النبوية حتى وفاة النبى ﷺ . وقد بدأته بالحديث عن الحياة السياسية فى الجزيرة العربية قبيل الإسلام ، وبخاصة فى المنطقة الوسطى من الجزيرة العربية والتى تعرف باسم بلاد الحجاز حيث قامت مدن ثلاث هى : مكة ويثرب والطائف . وقد قامت شهرة مكة على وجود الكعبة بها والبيت الحرام وأصنام العرب ، وتنظيمات قصى بن كلاب فى مكة وإنشاء دار الندوة والإشراف على وظائف الكعبة، وقد تركزت هذه الوظائف فى يد قريش فأصابت من ذلك شهرة وثراء عظيمين .

أما يثرب فكان يسكنها اليهود الذين سيطروا على اقتصادياتها من زراعة وصناعة وتجارة ، حتى قدم عليهم الأوس والخزرج ، فعملوا تحت رئاسة اليهود إلى أن تجمعت فى أيديهم أسباب الثروة وأصبحت لهم الغلبة على مقاليد الأمور فعمدت اليهود إلى أثارة الأحقاد القبلية بين الأوس والخزرج - فقامت الحرب بينهما والتى انتصرت فيها الأوس لأول مرة وذلك فى يوم بعاث . وأرادت الخزرج أن تثأر لهزيمتها من الأوس فلجأت الأوس إلى التحالف مع اليهود ضد الخزرج - وقامت الحرب بينهما والتى عرفت بيوم الفجار - فجار الأوس والخزرج واعقب تلك الحرب عقد الصلح بين جميع عناصر السكان فى يثرب ، واتفقوا على تولية عبد الله بن أبى بن سلول - سيد الخزرج - غير أن هجرة الرسول ﷺ إلى يثرب أفسد هذا الترتيب .

أما الطائف فقد قامت أهميتها على موقعها ، وخصوبة أرضها وعلاقاتها التجارية والاجتماعية بمكة ، حيث كانت تعتبر مصيف أهل مكة لما تميز بها مناخها من اعتدال فى درجة الحرارة ، وخاصة فى الصيف ، نظراً لارتفاعها عن سطح البحر ، فضلا عما تميزت به من حاصلات زراعية .

ثم تناولنا بعد ذلك الحديث عن الهجرة إلى يثرب وتكوين الدولة العربية الإسلامية فأشرنا إلى المراحل الأولى من حياة الرسول المبكرة حتى نزول الوحى عليه بغار حراء حيث جاءه الأمر الإلهى بتبليغ رسالة ربه إلى عشيرته الأقربين - ثم الى كافة الناس - فأقبل المستضعفون من أهل مكة على الدخول فى الإسلام ، لكن قريشا التى هددتها دعوة الرسول تقف موقف المعارضة للدعوة الإسلامية خشية على مصالحها الاقتصادية ومركزها الدينى فلجأت إلى اضطهاد أتباع الدعوة الإسلامية مما دعا الرسول ﷺ إلى أن يأمر المسليمن بالهجرة . إلى الحبشة مرتين لبعدها عن تناول قريش ، وما عرف عن ملكها النجاشى من عدل وتسامح لأنه من أهل الكتاب .

وحاولت قريش النيل من المسليمن لدى النجاشى ، الذى رفض أن يستجيب إليهم فأشاعوا أن قريشا قد دخلت فى الإسلام ، فرجع المهاجرون إلى مكة ليجدوا الأمر أسوأ مما تركوه ، فاضطروا إلى الهجرة ثانية إلى الحبشة ولم يعودوا منها إلا بعد هجرة النبى ﷺ إلى المدينة .

فى تلك الأثناء لم يتردد الرسول عليه الصلاة والسلام فى البحث عن مكان قريب من مكة يأوى إليه مهاجرة المسلمين عوضا عن الحبشة ، نظرا لبعد المسافة بين المسلمين فى الحبشة ومركز الدعوة الإسلامية فى مكة . فذهب الرسول إلى الطائف بلد أخواله من بنى النجار ، عسى أن يجد لديهم استجابة لتأييد دعوته غير أنه لم يجد منهم إلا كل أعراض واستهزاء ، مما اضطره إلى العودة إلى مكة فى جوار أحد تجار الطائف الأثرياء .

وترتب على فشل رحلة الرسول إلى الطائف وحصار قريش له ومنع جهوده فى نشر الدعوة أن إتجه الرسول لعرض نفسه على القبائل فى موسم الحج ، فالتقى بوفد الأوس والخزرج فى بيعتا العقبة الأولى والثانية حيث عرض عليهم الإسلام وعرضواهم عليه أن يأتى إلى بلدهم متعهدين بحمايته ومؤازرته .

ولم نغفل فى الحديث عن الهجرة إلى المدينة أن نلقى الضوء على موقع المدينة الجغرافى ودلالات أسماء المدينة الجغرافية وكذلك الأهمية الاقتصادية لموقع المدينة .

كان اختيار الرسول الهجرة إلى المدينة (يثرب) يدل على ذكاء سياسى وبعد نظر إذ تحولت المدينة بعد الهجرة إلى حاضرة للدولة العربية الإسلامية وقاعدة لنشر الإسلام فى مكة والمدينة وسائر الجزيرة العربية .

وترتب على هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة تغييرا جذريا فى مختلف النواحى الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والحربية وهو ما اطلقنا عليه مصطلح « تنظيمات الرسول فى المدينة المنورة » .

كانت مقدمة تلك التنظيمات بناء مسجد قباء خارج المدينة على بعد ثلاثة أميال منها وهو المسجد الذى « أسس على التقوى » وجعل له الرسول عليه الصلاة والسلام كرامة بأن من توضأ فى بيته وصلى فيه ركعتان كانتا كأجر عمرة.

وكانت الخطوة التالية بناء المسجد النبوى الذى أعتبر مقر الحكم والادارة الإسلامية وحرص الرسول أن يؤدى ثمن الأرض من ماله حتى لا يكون لأى من القبائل فضل فى أداء ثمن أرض المسجد النبوى ، وإن لم يمنع ذلك أن يشارك الجميع فى البناء ومعهم الرسول .

وقام المسجد النبوى بوظائف عديدة : فهو مكان للعبادة ولاجتماع المسلمين لمناقشة أمورهم الدينية ةوالاجتماعية وشئون الحرب والقتال وعقد المحالفات والمعاهدات ، كما كان المسجد ميدانا للتدريب العسكرى .

وكان للصفة التى بناها الرسول ﷺ فى مؤخرة المسجد دور هام فى المجال الدينى والاجتماعى . فقد كانت مأوى لمن لا مأوى له ، ومكانا يجتمع فيه غير

القادرين من الفقراء المسلمين . وكان الرسول يتفقد أحوال الصحابة من أهل الصفة ويأمر أصحابه برعايتهم ، وتحولت الصفة فيما بعد إلى دار لضيافة من يحل على المدينة فيما بعد من وفود القبائل التى كانت تأتى إلى المدينة معلنة إسلامها .

وكان من النتائج الايجابية لأهل الصفة ظهور جيل من المحدثين نقلوا عن الرسول عليه الصلاة والسلام ما لم ينقل عنه رواة الحديث من صحابته المقربين ، نظرا لملازمة هؤلاء الرسول فى حله وترحاله ووقوفهم على بابه .

لم يتوقف دور المسجد النبوى كبناء دينى واجتماعى وسياسى واقتصادى وحربى ، بل إنه كان نقطة البداية التى انطلقت منها حركة العمران فى المدينة إذ توسعت حركة البناء شمالا وجنوبا وشرقا وغربا إلى مناطق لم تكن مأهولة من قبل .

وكان تنظيم المؤاخاة الذى دعا إليه الرسول ﷺ جديدا ومبتكرا وغير مسبوق عند العرب . فالعرب تعرف الضيافة بمفهوم حق الإقامة لمدة محدودة للضيف ولكنها لا تعرف المؤاخاة التى قصد إليها النبى وتعنى حتى الإقامة الدائمة لهذا الضيف ، ولما كان المهاجرون قد فارقوا الديار وتركوا الأموال ، فكان على الأنصار أن يحتووا أخوانهم المهاجرين ويسعوهم بقلوبهم وأموالهم لذلك آخى الرسول بين المهاجرين والأنصار مؤاخاة كان رائدها العصبية الدينية لا عصبية الدم ، ووصلت هذه المؤاخاة إلى درجة عالية من السمو إلى حدا التوارث بين المتآخين ؛ واستمرت تلك المؤاخاة حتى غزوة بدر فى رمضان من السنة الثانية للهجرة ونزول آية المورايث التى أعادت المواريث إلى ذوى الأرحام .

لم يغفل الرسول ﷺ العوامل النفسية والفكرية والعلمية والأدبية فضلا عن الناحية الاجتماعية حينما آخى بين المهاجرين والأنصار ، الأمر الذى أدى إلى زيادة روابط المودة والمحبة بين المتآخين ، ورغم أن المؤاخاة توقفت بعد غزوة بدر ،

وبعد أن أدت أغراضها إلا أن بعض صحابة رسول الله ظلوا متمسكين بها باعتبارها سنة أمر بها رسول الله يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها .

وتبدت روعة النبى ﷺ عندما أصدر الصحيفة التى كانت بمثابة القانون الأساس أو الدستور الذى بعيش بمقتضاه سكان المدينة على اختلاف عناصرهم من مهاجرين وأنصار ويهود . وشملت بنودها كل مناحى الحياة فدعت إلى الحرية فى الدين فلا اكراه فى الدين ومع ذلك فقد دعت الصحيفة اليهود إلى الدخول فى الإسلام ورغبتهم فى ذلك بأن لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم إذا دخلوا فى الإسلام - كذلك دعت الصحيفة إلى وحدة الأمة ووحدة الصف باعتبار أن سكان المدينة كتلة واحدة ومصيرهم واحد . واعتبرت الصحيفة قريشا عدوة لكل سكان المدينة « فلا تجار قريشا ولا من نصرها وأن النصر بينهم على من دهم يثرب » كما اعترفت الصحيفة بزعامة الرسول ﷺ باعتباره النبى المرسل والزعيم السياسى ، الذى يرجع إليه الجميع فى شئونهم ويرتضون أحكامه .

كذلك نظمت الصحيفة شئون الحرب والقتال وقضت بأن على المسلمين نفقتهم وعلى اليهود نفقتهم ، كل منهم بحسب النسبة العددية ، ومساحة الأرض التى يتوجب الدفاع عنها ، كذلك حذرت الصحيفة اليهود من إعلان الحرب من طرفهم ضد أى قوى خارجية دون موافقة الرسول ﷺ .

ولكى يعم السلام وينتشر أصبحت المدينة بلدا حراما يحرم فيه ما يحرم بمكة أى جعل لها قداسة ورعاية لمكانتها بحيث ينتشر الأمن فى ربوعها وفى المناطق المحيطة بها والتى يقيم بها المسلمون واليهود .

ولم يغب عن فكر الرسول ﷺ بعد اصداره الصحيفة أن يؤمن المدينة المنورة فقام بعقد المحالفات بينه وبين القبائل الواقعة على الطريق بين مكة والمدينة بهدف تأمين وحماية جماعة المسلمين وتحذيره فى حال قيام قريش بالتحرك ضد النبى ، فيتخذ التدابير اللازمة لمواجهتهم .

وكان التنظيم الأخير فى رحلة بناء المجتمع السياس والدينى والاجتماعى والحربى للمدينة المنورة ؛ هو تكوين السرايا الإسلامية لمواجهة تحركات قريش واستطلاع نواياها العسكرية ، وتحذيرها بهذه السرايا واعلانها بأن عليها أن تحترم وجود الدولة الناشئة فى المدينة المنورة حتى لا تتهدد طرق تجارتها إلى الشام . كذلك عليها أن تترك الحرية للمسلمين الذين تحتجزهم فى مكة للهجرة إلى المدينة.

وبعد أن أرست الدولة العربية قواعدها بدأت خطواتها فى توحيد الجزيرة العربية فبدأت الحرب بينها وبين مكة لارغام قريش على الدخول فى الإسلام ، وكان النصر فى أغلب المعارك فى جانب المسلمين .

وبعد أن حققت الحروب غايتها عزم الرسول على زيارة مكة ، معلنا عن نيته السلمية تجاه مكة ، لكن قريشا عملت على أن لا يدخل الرسول وأصحابه مكة ، وبعد مفاوضات بين الطرفين ثم عقد صلح الحديبية ، وقد نظم هذا الصلح العلاقات بين مكة والمدينة وأنهى حالة الحرب بين الطرفين وهدنة مدتها عشر سنوات ، ومن يأتى من عند محمد لا ترده قريش ويرد الرسول من يأتيه من عند قريش ، لكن قريشا لم تلبث أن نقضت أمر الصلح باعتدائها على حلفاء الرسول ، فسار الرسول إلى مكة وفتحها فى السنة الثامنة من الهجرة .

ثم تناولنا بعد ذلك دور الرسول فى نشر الإسلام فى الجزيرة العربية ، فقد انتهز الرسول فرصة صلح الحديبية لارسال بعوثه ومندوبيه إلى ملوك وأمراء الدول المعاصرة ، ثم بعد فتح مكة بدأت وفود العرب تأتى إلى المدينة لتبايع الرسول على الدخول فى الإسلام وسمى ذلك العام عام الوفود .

وبعد أن دانت القبائل بالإسلام وانضوت تحت لوائه ، كان الحج الأكبر والذى قام به أبو بكر الصديق نائبا عن الرسول ، ممهدا لحج الرسول وهى حجة الوداع فى السنة العاشرة من الهجرة حيث خطب المسلمين مبينالهم مالهم وما عليهم ، ومعلنا فى نفس الوقت قرب انتقاله إلى الرفيق الأعلى .

ولم يلبث أن توفى الرسول ﷺ فى السنة الحادية العشرة من الهجرة ، بعد حياة حافلة تغيرت فيها الجزيرة العربية من وحدات سياسية متفرقة إلى دولة ذات سيادة هى الدولة العربية الإسلامية .

والله نسأل أن يوفقنا لإلقاء مزيد من الضوء على أحداث التاريخ الإسلامى والله من وراء القصد .

دكتور

بدر عبد الرحمن محمد

كلية آداب بنها

- مدن المنطقة الوسطى (بلاد الحجاز) :

قامت فى هذا الإقليم عدة مدن كان لكل منها كيان سياسى واقتصادى خاص ، وتمتع أهلها باستقرار أمورهم واستقلالهم بشئونهم . ومن أشهر مدن بلاد الحجاز مكة ويثرب والطائف .

١- مكة[١] :

تعد مكة أهم حواضر الحجاز وأعظم مدن هذا الإقليم ، وتقع فى واد ضيق غير ذى زرع ، وتحيط به الجبال من جميع الجهات ، وتقع فى منتصف الطريق بين اليمن والشام ويروى أنها سميت مكة لقلة مائها أخذا من قولهم أمتك الفصيل ضرع أمه [أى امتصه] . وقيل لأنها تمك الذنوب أى تمحها أو تذهب بها ، ويقال لها أيضا « بكة » كما ورد ذكرها بهذه الصورة فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ إن أول بيت وضع للناس للذى ببكه مباركا ﴾[٢] . وقيل مكة[٣] بالميم معناها الحرم وبكة[٤] المسجد خاصة[٥] .

---

(١) ورد ذكر مكة فى جغرافية بطليموس تحت ماكورابا ، وهذه الكلمة قريبة من لفظ مكرب عند السبئيين وكان يحمله كهنة سبأ قبل أن يتحولوا إلى ملوك وذكر بطليموس إنها كلمة يمنية مكونة من مك ورب ومك بمعنى بيت فتكون مكرب بمعنى بيت الرب أو بيت إلاله ، كما ذكر كارل بروكلمان . أن مكرب أو مقرب ومعناها الهيكل ، بينما يرى البعض إنها قد تكون مشتقة من « مك » البابليه بمعنى البيت .

حسن إبراهيم حسن : تاريخ الأسلام السياسى حـ ١ ص ٤٤ هامش (٢)

(٢) سورة آل عمران : آية ٩٦.

(٣) ذكر ياقوت الحموى : معجم البلدان حـ ٨ ص ١٣٤ عن ابن القطامى : إنما سميت مكة لأن العرب فى الجاهلية كانت تقول لا يتم حجنا حتى نأتى مكان الكعبة فنمك فيه أى نصفر صفير المكاء حول الكعبة ، وكانوا يصفرون ويصفقون بأيديهم إذا طافوا بها .

(٤) وتسمى بكة : تبك أعناق البغايا إذا بغوا فيها والجبابرة .

الطبرى : الأمم والملوك حـ ٢ ص ٢٨٤ بيروت .

(٥) ياقوت الحموى : معجم البلدان حـ ٨ ص ١٣٤ - ١٣٥

، الألوس : بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب حـ ١ ص ٢٤٠ - ٢٤١

ومكة هى أم القرى(١) والبلد الأمين(٢) والبيت العتيق(٣) كما ورد ذكرها فى الآيات القرانية ، وبها البيت الحرام والكعبة ، ونستنتج من جميع التسميات التى أطلقت على مكة أنها كانت فى أول الأمر مقاماً دينياً أسسه إبراهيم الخليل، ولهذا لا نستبعد أن يكون اسم مكة كان يعرف باسم مكرب أى مقدس ثم تحول إلى مكة .

كان العمالقة أول من سكن مكة ، ثم خلفتهم قبيلة جرهم اليمنية ، وقد نزحت إليها من اليمن ، وفى عهدهم قدم إلى مكة إبراهيم الخليل علية السلام بزوجته هاجر وابنه إسماعيل ، وأصبح لجرهم فيما بعد السيادة على البيت الحرام غير أن ولاتها لم يراعوا حرمة البيت ، فكثر فى أيامهم البغى والفساد ، واغتصب كثير منهم مال الكعبة الذى كان يهدى إليها(٤) ، ويقال إن ماء زمزم(٥) نضبت فى عهدهم ، كما أن البئر نفسها زالت معالمها(٦) .

---

(١) ومن إطلاق لفظ أم القرى على مكة يمكن أن يستدل على أنها كانت مدينة كبرى : محمد عزة دروزة : عصر النبى علية الصلاة والسلام ص ٢٥ .

(٢) كانت مكة تعتبر مدينة مقدسة وأن منطقتها كانت حرما أى أن القتال وسفك الدم فيها محرمان بسبب هذه القدسية وفى سورة العنكبوت آية ٦٧ تشير إلى هذا المعنى بوضوح : (أو لم يرو إنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم) وربما كان هذا الأمن . تحقيقا لدعوة إبراهيم الخليل فى سورة البقرة آية ١٢٥ - ١٢٩ (وإذ قال إبراهيم رب أجعل هذا بلدا آمنا) دروزة : عصر النبى ص ٢٨ ، ١٨٩

(٣) سورة الحج : آية ٢٩ .

(٤) الطبرى : الأمم والملوك جـ ٢ ص ٢٨٤ بيروت .

(٥) سميت زمزم لأن عبد المطلب أرى فى منامه : احفر زمزم أنك إن حفرتها لم تندم وقال بعضهم إنها مشتقة من قولهم ماء زمزوم وزمزام أى كثير والزمزمة : الصوت تسمع له دويا وفى الحديث أنها هزمة جبريل أى ضربه برجله فنبع الماء ، وقال أبو أسحق الحربى : سميت زمزم لتزمزم الماء فيها وهى حركته .

البكرى : معجم ما استعجم جـ ٢ ص ٧٠١ تحقيق : مصطفى السقا .

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م

(٦) ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٨ ص ١٤٠ وما بعدها .

، جمال سرور : قيام الدولة العربية ص ٤١ .

وبعد سيل العـرم قدمـت خزاعـة مـن اليمـن وأجلـت جرهـم ، واستمرت خزاعة على ولاية البيت نحوًا من ثلاثمائة سنة . وكانت قريـش إذ ذاك متفرقـة فـى بنى كنانة حتى تزعمها قصى بن كـلاب ووحـد بطونهـا (١) ، وعمـل علـى رفـع مكانتها بين العرب وازدياد نفوذها بمكة (٢) ، فقام بتقسيم مكة إلى رباع ووزعها بين قومه ، وأنشأ دار النـدوة ، وفيهـا كـان يجتمـع كبـار القرشـيين تحـت رئاسته للتداول فى شئونهم ، ولم يكن يدخلها إلا من بلغ الأربعين من عمـره ، وتصدى لإطعام الحجاج وسقايتهم ، وفرض على قريش خراجـاً سنوياً يؤدونـه إليـه لينفـق منه على إطعام فقراء الحجاج(٣). ومن أولاد قصى عبد الدار وعبد مناف وعبد العزى(٤).

رأى قصـى بـن كـلاب أن يخلفـه ابنـه عبـد الـدار فـى رئاسـة دار النـدوة والحجابة(٥) واللواء(٦) والسقاية(٧) والرفادة(٨) ، وظلت هذه الوظائف فى أيـدى

---

(١) قصى بن كلاب : أسمه زيد وكان يسمى « مجمعا » وذلك أنه جمـع قبـائل قريـش فأنزلهـا مكة وبنى دار الندوة وأخذ المفتاح من خزاعة .

(٢) الازرقى : أخبار مكة جـ ١ ص ٥٦ ، ص ٦٠ .

(٣) ابن هشام : جـ ١ - ٢ ص ١٣٠

، ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ٨ ص ١٤٠ - ص ١٤١ .

(٤) ابن قتيبة : المعارف ص ٧٠ .

(٥) الحجابة وعمارة المسجد هى خدمة الكعبة وسدانتها وحراستها ومن المعقول أن يدخل فـى هذا المعنى تسهيل الزيارة وإرشـاد الـزوار ومسـاعدتهم فـى أداء مناسـكهم . وقـد ذكـرت الروايات تقليدا باسم الحجابة أى حق فتح باب الكعبة وغلقه وحفظ مفتاحة ولعل الحجابة والعمارة كانتا تقليدًا مزدوجًا فى بيت واحد . والسدانة والحجابة هما بمعنى واحد غـير أن الحجابة تخصصت بحجابة الملوك والحكام ، فـا لحـاجب هـو الـذى يتـولى تقديـم النـاس إلى ملوكهم أو منعهم من الوصول إليهم وذلك فى الجاهليـة وفـى الإسـلام أمـا السـدانة فأنهـا ظلت محافظة على معناها هذا الخاص بالمعـابد والمواضـع المقدسـة ، ولهـذه ولصلتهـا بالآلهة والأصنام عدت السدانة من درجات الشرف والجاه وكـان لاصحابهـا حرمـة ومكانـة فـى النفوس والسدانة والحجابة وراثيتان . جواد على : تاريخ العرب قبل الأسلام جـ ٥ ص ١٨٨ .

(٦) اللواء : وهى القيادة الحربية وتكون لمن بيده اللواء ويسلمونه إليه عند قيام الحرب .

(٧) سقاية الحجاج : هى الاضطـلاع بمهمـة تحضـير الميـاه للحجـاج حينمـا يـأتون إلى مكـة ، وحينما يذهبون إلى عرفات ثم يعودون منهـا إلى منى . فالميـاه كـانت شـحيحة ومتعسـرة =

عبد الدار ، إلا أن أطماع بنى عبد مناف فى هذه الوظائف أدى إلى تفريق قريش ، فمال فريق منهم إلى بنى عبد مناف ، كما رأى فريق آخر ألا ينزع من بنى عبد الدار ما أسند إليهم من وظائف ، وعقد كل فريق منهم حلفا مؤكدا ألا يتخاذلوا فأحضر بنو عبد مناف ومن تابعهم من قريش جفنة مملوء طيباً ، ثم غمسوا أيديهم فيها وتعاهدوا هم وحلفاؤهم ، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيدا على أنفسهم فسموا المطيبين([1]) .

أما بنو عبد الدار فقد أخرجوا ومن أنضم إليهم من قريش جفنة مملوءة دما وفعلوا مافعله بنو عبد الكعبة ، وتعهدوا ألا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضاً وسموا الأحلاف ([2]) .

على أن المطيبين والأحلاف مالبثوا أن تداعوا إلى الصلح ، واتفقوا على أن يعطوا بنى عبد مناف السقاية والرفادة وأن تكون الحجابة واللواء ورئاسة دار الندوة لبنى عبد الدار ([3]) .

= وكان لابد من تهيئتها وتوفيرها للحجاج . وكان المائم بهذه المهمة يهيىء بالأضافة إلى المياه مياها فيها زبيب أو لتغيير طعمها الذى كان مالحا بعض الشىء .

دروزة : عصر النبى ص ٢٠٥ .

(٨) الرفادة : أى قرى الحجاج بمعنى القيام على اطعامهم فى أيام عرفات ومنى ، وقد كانت بيوتات مكة تتعاون على نفقات الطعام .

دروزة : عصر النبى ص ٢٠٥ - ٢٠٦ .

(١) ابن هشام : حـ ١ - ٢ص ١٣٢

، ياقوت الحموى : معجم البلدان حـ ٨ ص ١٤٠ - ١٤٢ .

(٢) ابن هشام : نفس المرجع والصحفة

ابن الأثير : الكامل حـ ١ ص ١٦٠ .

(٣) نفس المصادر السابقة والصفحات .

وزعت الوظائف التى أخذها بنو عبد مناف بن قصى بين هاشم (1) وأخيه عبد شمس ، غير أنه حدثت منافسة بين هاشم بن عبد مناف وبين ابن أخيه أمية بن عبد شمس لعلو مكانة هاشم إذ كانت إليه الرفادة مع السقاية ، وقد ساعدته ثروته على القيام باطعام الحجاج وسقايتهم مما أثار حسد أمية بن عبد شمس ، وكان ذا مال ورأى أن يطعم القرشيين ، كما يفعل هاشم ، لكنه عجز عن اداء هذا العمل – الأمر الذى أدى إلى الاحتكام إلى كاهن خزاعى حكم لصالح هاشم ، واضطر أمية إلى الخروج إلى الشام مدة عشر سنين بعد أن نحر خمسين ناقة أطعم منها قريش ؛ الأمر الذى أدى إلى قيام أول عداوة بين بنى هاشم وبنى أمية(2) .

وبعد وفاة هاشم بن عبد مناف خلفه أخوه المطلب فى الرفادة والسقاية ، ومن بعده قام بهما أخوه عبد المطلب بن هاشم ، ثم العباس بن عبد المطلب ولم يزل يتولاها حتى دخل الرسول ﷺ مكة سنة ٨ هـ فابقاهما فى يده(3) .

حققت قريش مكانة متميزة بين سائر القبائل العربية ، نظرًا ليسطرتها على وظائف الكعبة – كما علت مكانتها بين العرب لعقدها حلف الفضول واتساع متاجرها فأصبحت القوافل التجارية(4) تغدو وتروح إلى مكة فى رحلتى الشتاء

---

(1) أما هاشم فاسمه عمرو ويقال له هاشم لانه أول من هشم الثريد لقومه .

ابن هشام جـ١ – ٢ص١٠٦ هامش (٤) ؛ ابن قتيبة : المعارف ص ٧١ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ١٤

تحقيق : عبد السلام هارون الطبعة الرابعة .

(2) جمال سرور : ص ٤٥

(3) المقريزى : امتاع الاسماع جـ ١ص ٣٨٨

(4) لم يعمل أهل مكة بالزراعة لجدب تربتهم وشح مياههم . فاستعاضوا عنها بالضرب فى الأرض وشد الرحال للأسفار التجارية فى الصيف والشتاء يتوسطون فى نقل السلع =

والصيف[١] وادى اشتغال القرشيين بالتجارة[٢] إلى إرتقاء معالمهم نظرًا لاختلاطهم بشعوب مختلفة[٣] ، ووقفوا على كثير من مدنيتها وأحوالها الاجتماعية فجمعت مكة إلى جانب علو المكانة الدينية[٤] الثراء الاقتصادى والعلمى ، مما أتاح لها الزعامة فى الجزيرة العربية أواخر القرن السادس وأوائل السابع الميلادى .

= ومبادلتها بين الأصقاع الجنوبية والشمالية والشرقية ، يشترون ما تحتاج إليه بيئتهم من السلع والعروض وتشير الآية ٥٧ من سورة القصص إلى هذا المعنى فى قوله تعالى : ﴿ أو لم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء) .

(١) سورة قريش آية ١ وتشير الآية إلى رحلتا الشتاء والصيف وكانت رحلة الشتاء إلى بلاد اليمن لأمطارها الموسمية ورحلة الصيف إلى الشام حيث أمطارها شتوية ، وذلك أن الأمطار كانت تمثل عائقًا لسير جمالها .

(٢) لم يقتصر أمر الرحلات التجارية الشتوية والصيفية على أغنياء مكة . بل كان يساهم فيها رجال الطبقة المتوسطة .
محمد عزة دروزة : عصر النبى ص٥٥ .

(٣) لقد كانت أشهر الحج حرمًا يحرم فيها القتال - فكان العرب يغتنمون فرصة هذه الهدنة المقدسة فيشدون الرحال إلى مكة من كل صوب - وكانت تقام بهذه المناسبة قبل أيام الحج وبعده أسواق تجاريه فى الأماكن الفسيحة وعند المياه القريبة من مكة فينزلون فيها الحجاج ، ويلبثون أيامًا يقضون فيها حاجاتهم ، ويتبادلون سلعهم ويبيعون ويشترون ويتعارفون ويتسامرون . ومن الأسواق الشهيرة التى كانت تقام فى أشهر الحج عكاظ ومجنة وذى المجاز وجميعها قريبة من مكة والأخيرة قريبة من عرفات وأن العرب كانوا يتاجرون فيها - فكانوا يقيمون فى عكاظ عشرين يومًا من ذى القعدة ثم ينتقلون إلى الثانية فيقيمون فيها ثمانية عشرة يومًا ثم يخرجون إلى عرفات حيث تقوم السوق الثالثة .
محمد عزة دروزة : عصر النبى ص٥٥ .

(٤) بسبب وجود الكعبة والبيت الحرام وبئر زمزم والأصنام التى كانت حول الكعبة وكان العرب يفدون إلى مكة للحج والتجارة ومعهم هداياهم إلى بيت الله .

٢ - يثرب[١] :

كانت يثرب من مدن الحجاز المتحضرة ، ورد ذكرها في الكتابات المعينية ، وكانت المواضع التي أقامت فيها جاليات من معين ، ثم آل أمرها إلى السبئيين كذلك ورد ذكر يثرب في جغرافية بطليموس السكندرى[٢] ، كما عرفت عند الأخباريين العرب باسم أثرب ويثرب .

وقد ورد ذكر يثرب في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكل فارجعوا ﴾[٣] . وهي تقع إلى الشمال من مكة[٤] في مستو في الأرض ويحدها من الشمال جبل أحد ، وتمتاز معظم أراضيها بخصوبة التربة ، ولها نخيل كثير ومياه ، ونخيلها وزروعهم تسقى من الآبار[٥] .

---

(١) ذكر ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ٧ ص٤٢٥ ليثرب تسعة وعشرين اسمًا منها : يثرب وطابة وطيبة والمسكينة العذراء والجابرة والمحبة والمحبورة والناجية ، والمرفية ، وآكلة البلدان والمباركة والمحفوفة والمسلمة والقديسة والعاصمة والمرزوقة والشافية والخيرة والمحبوبة والمرحومة وجابرة والمختارة والمحرمة والقاصمة وطابا .

ولما كان ياقوت يكتب كتابه في القرن السابع الهجري فقد ذكر من أسماء يثرب المدينة المنورة نسبة إلى رسول الله ﷺ .

(٢) عاش في القرن الثاني بعد الميلاد .

(٣) سورة الأحزاب : آية ١٣ .

(٤) المسافة من المدينة (يثرب) إلى مكة كما قدرها ياقوت نحو عشر مراحل وبالطريق المعبد حاليًا حوالي ٤٢٥ كيلو مترًا - ومن الكوفة إلى المدينة نحو عشرين مرحلة وطريق البصرة إلى المدينة نحو ثمان عشر مرحلة ومن الرقة إلى المدينة نحو من عشرين مرحلة ومن دمشق إلى المدينة عشرين مرحلة ومثلها إلى فلسطين .

معجم البلدان : جـ٧ ص٤٢٤ .

(٥) ياقوت : معجم البلدان جـ٧ ص٤٣٢ .

كان العمالقة[١] أول من سكن يثرب وزرعوا بها النخل وعمروا بها الدور والآطام واتخذوا بها الضياع[٢] . ثم تغلب عليهم بعض القبائل اليهودية[٣] ، واستوطنوا بها[٤] ، وعلى أن هجرة اليهود إلى يثرب لم تظهر بشكل واضح إلا فى القرنين الأول والثانى الميلاديين ، على أثر الحروب التى شنها الرومان ضد اليهود بسوريا ، والتى انتهت بطردهم منها وتشتتهم[٥] فى أنحاء متفرقة ، فهاجر بنو النضير وبنو قريظة إلى شمال الجزيرة العربية وسكنوا يثرب[٦] وأقاموا بها الحصون والآطم[٧] .

---

(١) العمالقة : وهم بنو عملاق بن أرفخشد بن سام بن نوح ، وهم قبائل تنتمى إلى العرب البائدة ، سكنوا ما بين البحرين وعمان والحجاز كله إلى الشام . معجم البلدان : جـ٧ ص٤٢٦ .

(٢) معجم البلدان : جـ٧ ص٤٢٦ .

(٣) كان سبب نزول اليهود بيثرب (المدينة) وأعراضها أن موسى بن عمران عليه السلام بعث إلى الكنعانيين حين أظهره الله تعالى على فرعون فوطىء الشام وأهلك من كان بها ، ثم بعث بعثا آخر إلى الحجاز العماليق وأمرهم ألا يستبقوا أحدًا ممن بلغ الحلم إلآ من دخل فى دينه ، فقدموا عليهم وقاتلوهم ، فأظهرهم الله عليهم فقتلوهم وقتلوا ملكهم . معجم البلدان : جـ٧ ص٤٢٧ .

(٤) أبو الفرج الأصفهانى : الأغانى جـ١٩ ص٩٤ .
، محمد جمال الدين سرور : قيام الدولة العربية ص٤٨ - ٤٩ .

(٥) طرد الرومان اليهود من فلسطين على أثر قيامهم بالعديد من الثورات ضد الرومان وتشتتوا على يد الإمبراطور الرومانى تيتوس عام ٧٠م بعد أن دمر أورشليم وهدم معبدهم

(6) Margoliouth : The Relations between Arabs ans Isralites perior to the Rise of Islam, p. 60 .

(٧) ليحتموا بها من غارات الأعراب وليحفظوا فيها حاصلاتها الزراعية .
أحمد إبراهيم الشريف : الدولة الإسلامية الأولى ص٥٨ - ٥٩ المكتبة التاريخية . دار القلم ١٩٦٥م .

كان لليهود أثر بعيد فى الحياة الاقتصادية بيثرب ، فقبضوا بأيديهم على الناحية المالية فيها ، وازدادت ثروتهم من وراء اشتغالهم بالتجارة ، وفلاحة الأرض ، فضلاً عما برعوا فيه من الصناعات الدقيقة والأسلحة والآلات الزراعية(١) ، وقد اشتهرت قبيلة بنى قينقاع بصفة خاصة بالصياغة حتى أن أحد أسواق يثرب عرف باسمهم(٢) .

وبهذا تجمعت فى أيدى يهود يثرب الثروة وأسبابها ، وعلا شأنهم حتى أصبحوا أصحاب الكلمة العليا فى يثرب ، وسيطروا على مقاليد الأمور فيها ولم يلبث أن انضم إليهم الأوس والخزرج(٣) ، وهما فرع من قبائل الأزد اليمنية التى هاجرت نحو الشمال بعد اضطراب أحوال اليمن وتهدم سد مأرب ، وتفرقت فى أماكن مختلفة ، منها من اتجه نحو بادية العراق ، ومنها من استقر بمكة مثل قبيلة خزاعة ، ومنها فرع توغل فى هجرته شمالاً واستقر ببادية الشام وكون له بها مملكة هى مملكة الغساسنة ، وحين وصل الأوس والخزرج(٤) إلى منطقة يثرب استمروا بجوار اليهود فى مضاربهم(٥) .

---

(1) Lammens: Le Bearceau de l'Islam, p. 154 .

(٢) المقريزى : إمتاع الأسماع جـ٢ ص١٠٥ .

جمال سرور : قيام الدولة العربية ص٤٩

(٣) ابن الأثير : الكامل جـ١ ص٤٠٠ - ٤٠١ بيروت .

أحمد إبراهيم الشريف : الدولة الإسلامية الأولى ص٥٩ .

(٤) الأوس والخزرج ابنى حارثة بن ثعلبة العنقاء بن عمرو والذى ينتهى نسبهم إلى يشجب بن يعرب بن قحطان .

ابن الأثير : جـ١ ص٤٠٠ .

(٥) يذكر ياقوت : معجم البلدان جـ٧ ص٤٢٦ .

أن قريظة والنضير كانوا ملوكًا حتى أخرجهم منها الأوس والخزرج .

كانت علاقة اليهود بالأوس والخزرج حسنة أول الأمر ، إذ سمح لهم اليهود فى البدء بمجاورتهم ، ثم بالإقامة معهم فى منطقة يثرب ، ولعل الأوس والخزرج لم يكونوا من كثرة العدد والقوة بحيث يخش اليهود بأسهم ، إذ كان الأوس والخزرج فى أول الأمر من مواليهم أى أتباعهم ، ثم اشتركوا مع اليهود فى قوافلهم التجارية ، واشتغلوا بالزراعة فى أراضيهم ، ولما كانت الغلبة فى يثرب لليهود والثروة فى أيديهم ، فقد تداعى الطرفان لعقد حلف بينهما يكون بمثابة عهد مسالمة وحسن جوار ، يأمن بعضهم به من بعض ، ويمتنعون به عمن سواهم، فتعاقدوا وتحالفوا وتعاملوا ، فلم يزالوا على ذلك طويلاً ؛ وصار للأوس مال وعدد ، فلما رأت قريظة والنضير خافوا أن يغلبوهم على دورهم ، فتنمروا لهم حتى قطعوا الحلف الذى كان بينهم(١) .

ولما استبدت القبائل اليهودية فى يثرب بالأوس والخزرج استنجدوا بالغساسنة فقدموا لنجدتهم أنفة من تسلط اليهود على بنى عمهم فى يثرب(٢) ، ونصروهم حتى أصبحت الغلبة للأوس والخزرج ، وشيئـًا فشيئـًا أصبح الأوس والخزرج هم أصحاب الكلمة العليا فى يثرب وأصبح اليهود فى حكم الموالى لهم(٣) ، مما اضطر بعض بطون اليهود باستثناء بنى قريظة وبنى النضير الذين اعتمدوا على مناعة حصونهم وقوتهم إلى الدخول فى حلف مع جيرانهم من الأوس والخزرج .

كان الأوس والخزرج على وفاق فى بداية عهدهم ، ثم وقعت بينهم حرب طويلة اشتركت فيها القبائل العربية ، وكان النصر فى أغلب الأحيان محالفـًا

---

(١) السمهودى : وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى جـ١ ص١٢٥
جمال سرور : قيام الدولة العربية ص٥٠ .

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى جـ٤ ص٢٩٤

(٣) أحمد إبراهيم الشريف : الدولة الإسلامية الأولى ص٢٩ .

للخزرج([1]) حتى اضطرت الأوس إلى السعى لمحالفة قريش لتكون عونا لها على الخزرج ، لكن قريشًا كانت حريصة على ألا ترج بنفسها فى حرب لا تعود عليها بفائدة ، فاتجهت الأوس إلى التحالف مع بنى قريظة وبنى النضير([2]) .

ولما بلغ نبأ تحالف الأوس مع هاتين القبيلتين اليهوديتين أرادات أن تتأكد من أنهما لن يساعد الأوس عليها ، فطلبوا منهم رهائن إثباتًا لحسن نواياهم ، أربعين غلامًا من بينهم ، فما لبثت الخزرج أن خيرتهم بين الجلاء عن يثرب أو قتل الغلمان ، فآثروا الخروج من ديارهم ، غير أن كعب بن أسيد القرظى حملهم على العدول عن عزمهم مضحيًا بالرهائن فى سبيل بقائهم بيثرب ، فقتل الخزرج الغلمان وكان لهذا الحادث أسوأ الأثر فى نفوس اليهود ، فجاهروا بحلفهم مع الأوس واشتركوا معهم فى محاربة الخزرج ، والتقى الفريقان ببعثات من أعمال قريظة بيثرب حيث وقعت بينهما حرب عرفت بحرب فجار يثرب أو فجار الأوس والخزرج لقتل الغلمان ، انتهى الأمر فيها بانتصار الأوس([3]) ، ثم تصالح الفريقان واتفقا على إقامة حكومة تعمل على استقرار الأمور فى يثرب وأن يكون عبد الله ابن أبى بن سلول الخزرجى واليًا عليهم . وبينما كانوا يتأهبون لذلك هاجر الرسول ﷺ ، إلى يثرب فخضع له الجميع ، وعدلوا عن تولية عبد الله بن أبى الذى اضطر إلى الدخول فى الإسلام بعد أن عنفه قومه ، وصار على رأس المنافقين فى المدينة([4]) وإليه يجتمعون([5]) .

---

(١) انظر ابن الأثير : الكامل حـ١ ص٤٠٢ وما بعدها يروى أيام الأوس والخزرج .

(٢) ابن الأثير : نفسه ص٤١٥ - ٤١٦ بيروت .

(٣) ابن الأثير : الكامل حـ١ ص٤١٤ وما بعدها .

(٤) أصبحت يثرب بعد هجرة الرسول ﷺ تعرف بالمدينة المنورة .

(٥) السمهودى : وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى حـ١ ص١٥٢ - ١٥٥ .
جمال سرور : ص٥٠ - ٥١ .

٣ - الطائف :

تعتبر الطائف المدينة الأولى في بلاد الحجاز بعد مكة[1] . فهي إلى جانب خصوبة أرضها وكثرة محاصيلها كانت مركزًا تجاريًا هامًا ، ومحطة للقوافل الذاهبة إلى اليمن ، كما قامت بها صناعات مختلفة ، وارتبطت بمكة تاريخيًا[2] ، بل ارتفعت مكانتها إلى مكانة مكة[3] .

وكانت الطائف تسمى « وجا » نسبة إلى وج بن عبد الحي أحد العماليق[4] الذين سكنوها ، وتقع على بعد اثني عشر فرسخًا شرق مكة بارتفاع ستة آلاف قدم فوق سطح البحر تقريبًا[5] ويربطها بمكة واد ضيق ، والطائف[6]

---

(1) Lammens, S.J. la cité Arabe de taif à la veille de l'Hégire. p. 181.

(٢) ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ٣ ص٤٩٥ .

العجيمى (حسن الشيخ على) : إهداء اللطائف فى أخبار الطائف ورقة ٤ مخطوط بدار الكتب المكتبة التيمورية ٢٢٠٠ تاريخ .

(٣) يتضح ذلك من قوله تعالى فى سورة الزخرف آية ٣١ (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) باعتبار أن مكة والطائف كانتا مرتبطتان بعضهما ببعض .

(٤) العجيمى : إهداء للطائف (مخطوط) ورقة ٤ .

وجاء فى كتاب الرسول ﷺ : « وثقيف أحق الناس بوج » وتطلق وج إما على حصون الطائف أو على وادى الطائف أو على صحراء الطائف أو على المدينة كلها كما ورد فى كتاب رسول الله إلى ثقيف .

السهيلى : الروض الأنف جـ٧ ص٢٧٣ القاهرة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .

(٥) فيليب حتى : تاريخ العرب جـ١ ص١٤٣ .

(٦) أصبحت الطائف حديثا مرتبطة بمكة بطريقان أولهما طريق السيل الكبير وهو على متسو من الأرض وطوله حوالى ١٢٠ كم والآخر طريق الهدا وهو طريق الجبال منحدر إلى مكة بشدة وطوله ٩٠ كم .

كثيرة البساتين والأشجار وخاصة أشجار الكروم التى تحيط بها من كل جانب ، وأدى امتياز خصوبة تربتها وصلاحية أرضها للزراعة أن غلت أصنافًا متعددة من البقول والحنطة ومن ثمار الأشجار : الفواكه والزيتون والكافور والزبيب الذى يضرب بحسنه المثل والعنب الجيد الذى لا مثيل له والرمان الجيد والنارنج والموز والسفرجل وكذا البطيخ ، كما اشتهرت بورودها المختلفة كالسوسن والمنثور والياسمين والنرجس ، وقد أضفى ذلك على المدينة منظرًا جميلاً يبعث على الانشراح لزائرها حال دخولها[١] . وهذا ما دفع بعض الكتاب إلى وصفها « شامية الهواء » أو « قطعة من الجنة » ؛ وقد كان لتنوع المحاصيل الفضل فى قيام بعض الصناعات مثل صناعة الخمور والعطور والعسل ، هذا بجانب دباغة الجلود التى اشتهرت بها[٢] ، كما تعلم أهلها صناعة الدبابات والمجانيق[٣] .

وق زاد موقع الطائف الطبيعى من أهميتها كمركز تجارى ، فيمر بها طريق القوافل الممتد من جنوب بلاد العرب إلى شمالها ، ومن العراق إلى اليمن ، وكانت هناك صلات قوية بين أهالى الطائف ومكة . فالأثرياء من قريش كان لهم عقار فى الطائف ، كما أنهم يقرضون أهاليها ما يحتاجون إليه من مال ، فقد كان للعباس بن عبد المطلب كرم بالطائف ، وأنه كان يداين أهل البلد ويأخذ منهم الزبيب ويسقيه الحجاج فى موسم الحج[٤] . هذا بالإضافة إلى أن قربها من سوق عكاظ

---

(١) المقدسى : أحسن التقاسم فى معرفة الأقاليم ص٧٩ .
ابن حوقل : صورة الأرض ص٣٩ .
ابن المجاور : تاريخ المستبصر جـ١ ص٢٣ - ٢٥

(٢) أحسن التقاسيم ص٧٩ .

(٣) السهيلى : الروض الأنف جـ٧ ص٢٦٦ .

(٤) الأزرقى : أخبار مكة جـ١ ص٦٥ .
محمد جمال الدين سرور : قيام الدولة العربية ص٥٢ .

وتنوع محاصيلها جعلها أحد مراكز التبادل التجارى([1]) ، وجعلها أحد المراكز الأدبية الكبرى .

استفاد أهالى الطائف من الزراعة والتجارة ، فزادت ثروتهم ، ودفعت حاجة القبائل المحيطة بثقيف لغلات الطائف إلى قيام روابط تجارية بين الطرفين فأرض هذه القبائل لا تنتج المنتجات الزراعية والصناعية وخاصة الضرورية منها مثل القمح والزبيب والخمور والخشب، واستطاعت الطائف أن تجد لدى هذه القبائل سوقًا هامًا لتصريف منتجاتها ، وأتاح ذلك لثقيف فضلاً عن المصالح المشتركة مع أهل مكة ازدهارًا اقتصاديًا . وتمثل ذلك فى تدفق الأموال عليها واستثمارها لصالح المدينة والقبيلة([2]) .

وإذا كان اسم « وج » أطلق عليها نسبة إلى وج بن عبد الحى من العماليق والذى كان قد ضبط المدينة وبنى له أهلها القصور ثم عرسوها بالأشجار وحفروا الأنهار ، فقد سكنها قبلهم بنو عبد ضخم([3]) - وهو حى من عبس الأول - ثم نزلتها ثمود بعد العمالقة ، وذلك قبل أن تنزل وادى القرى ، وتلتها عدوان التى ظلت بها حتى غلبهم بنو عامر بن صعصعة وثقيف(٤) ، ولم تلبث ثقيف أن استقلت بها وحافظت عليها ، ودخلت فى ذلك حروبًا متعددة إلى أن اعترف لها الجميع .

وقصة احتلال ثقيف للطائف : هى أن قس بن منبه([5]) نزل على عامر بن الظرب العدوانى وحالفه وتزوج من ابنتيه وسكن وج . وزرع قس الكروم بها

---

(1) Lammens : la cité Arabe, p. 181.

(2) Lammens : op. cit; p. 181.

(٣) الطبرى : الأمم والملوك جـ١ ص٢٠٣ بيروت .

(٤) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون جـ٢ ص١١٩ .

(٥) هوقس : بن النبيت بن منبه بن منصور والذى ينتهى نسبه إلى معد بن عدنان .

ابن هشام : جـ١ - ٢ ص٤٦ مؤسسة علوم القرآن .

ابن الأثير : الكامل جـ١ ص٤٢٠ بيروت . ويذكره قس بن نبت .

فنجحت زراعته ، واغتنى وكثر أولاده بالمدينة . وكانت عدوان تسيطر عليها ، وتصاهر أولاد ثقيف مع بنى صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن الذى كان قد تزوج من « عمرة » ابنة عامر بن الظرب ، والزوجة الثانية[١] لقس من قبل ، فولدت له عامر صعصعة ، وكثر ولد عامر وسكنوا حول الطائف وفى داخلها وتشاحنوا مع بنى عدوان ، وأدى ذلك إلى قيام حروب بينهما تفرقت على أثرها جماعة عدوان ، وتشتت أمرهم ، فطمع بنو عامر بن صعصعة فيهم وفى وج ، وأجلوهم عنها ، ونفوهم منها ، لكن وجا لم تصبح خالصة لهم لكثرة ثقيف بها وانتشارهم فيها ، فضلاً عن أن الثقفيين لم يفقدوا من قوتهم شيئًا لعدم اشتراكهم فى المعارك التى دارت بين عدوان وبنى عامر بن صعصعة فاحتفظوا بها وصارت المدينة بينهما[٢] ، ولكن بنى عامر رفضوا أن يتخلوا عن بدواتهم ، وفضلوا البادية عن سكنى المدن ، كما وجدوا فى منتجات وج إشباعًا لحاجتهم من المواد الغذائية ومنتجاتها : لهذا كانوا يشتون فى بلادهم بأرض نجد لسعتها وكثرة مراعيها ، ويصعدون إلى وج صيفًا لطيبها واعتدال مناخها[٣] .

---

(١) توفيت زوجته الأولى بعد أن أنجبت منها أولادًا فتزوج أختها واستقر مقامه بهذا البلد وغرس بأرضه بعض العيدان التى أخذها من عجوز يهودية كان قد أقام عندها بوادى القرى . فلما أثمرت العيدان قال أهالى وج : قاتله الله كيف ثقف عامرًا حتى بلغ منه ، وكيف ثقف هذه العيدان حتى جاء منها ما جاء فسمى ثقيفًا من يومئذ .

البكرى : معجم ما استعجم جـ١ ص٧٦ - ٧٧ .

ياقوت : معجم لبلدان جـ٦ ص١٢ - ١٣ .

(٢) البكرى : معجم ما استعجم جـ١ ص٧٧ .

ابن الأثير : الكامل جـ١ ص٤٢٠ .

(٣) ياقوت : معجم البلدان جـ٣ ص٣٩٩ .

ويذكر أن الماء البارد بها وربما يجمد فترة من العام .

ولما أحست ثقيف بقوتها فكـر رجالها فـى الاستقلال بالمدينة ورسموا[١] الخطة المناسبة لتحقيق ذلك على خطوات . فرأوا مفاوضة بنى عـامر بـن صعصعة فى أمر شطر ثمار « وج » بينهما فى مقـابل تخلى بنـى عـامر عـن الأرض لثقيـف لزراعتها وفلاحتها ، لأن أهل ثقيف اختصوا بالزراعة والأعمال المدنية وأغروا بنـى عامر بذلك ، وحسنوه لهم ، فبينوا أن ذلك يسمح باستمرارهم فى الإقامـة بـأرض نجد ليتفرغوا لأموالهـم وماشيتهم بهـا . فضـلاً عـن أن مـا سيحصلون عليـه مـن محاصيل « وج » سيضاعف من أموالهم ويوفر عليهـم مؤنـة كثيرة ، وهـم بذلـك يكونوا قد كسبوا خيرات الريف والبـدو ولا يتعرضـون لمشـقة التنقـل والترحـال ، ورضى بنو عامر[٢] ، ولم يكن ذلك بغريـب ، فغالبـًا مـا كـان يحـدث مثـل هـذا الاتفاق بين العرب والبدو الذين يتقاسمون أمكنة من الأرض الصحراويـة . وهكـذا استطاعت ثقيف أن تزيل الخلافـات حـول زراعـة الأرض وحـق الرعـى فتملكـت أرض الطائف بسلام[٣] .

اهتمت ثقيف بوج ، وعملت على عمارتها وعمارها ، وقام رجالها بتدعيم مركزهم فيها ، الأمر الذى أدى إلى حسد العرب لهـم ، وطمعهـم فيهـم وفكـرت بعض القبائل فى غزوهم وسلبهم ، فهاجمت جمـوع منهـا وج واستنجدت ثقيـف بحلفائها من بنى عامر ، ولكنهـم تخلـوا عنهـا ، ولم يقدمـوا لهـا العـون المطلـوب ، واستطاعت ثقيف أن تصد الغزو وتحمى أرضها برجالها وعلـى رأسـهم عيـلان بـن سلمة ، ثم ترد الغـازين مهزومـين[٤] ، ولكـن جموعـًا مـن قبـائل خثعـم واليمـن

---

(١) ابن الأثير : جـ١ ص٤٢٠ - ٤٢١ .

(٢) البكرى : معجم ما استعجم جـ١ ص٧٧ - ٧٨ .
ابن الأثير : جـ١ ص٤٢٠ - ٤٢١ .

(3) Lammens : op. cit; p. 62 .

(٤) الأصبهانى : الأغانى جـ١٣ ص٤٧١٥ .
وقال فى ذلك شعرًا .

هاجمت المدينة ثانيًا فقاد عيلان جيوش ثقيف مرة أخرى ، وقاتل بهم قتالاً عنيفًا انتهى بهزيمة الغزاة هزيمة ثانية وكبيرة ، فقتل وأسر على أثرها الكثير منهم ثم من عيلان على الأسرى وسرحهم وسجل قصيدة له بذلك الحدث الكبير[1] .

وبنت ثقيف حائطها الذى ساعدها فى رد الهجوم ، وحتى يمنع عنها تكرار مثل هذا مرة ثانية ، وسموه الطائف ، وفتحوا فيه بابين : أحدهما لبنى يسار وسموه « صعبان » والثانى لبنى عوف وأطلقوا عليه « ساحرًا »[2] ، وصار لزامًا على كل منهما حراسة بابه .

وكانت ثقيف تتوقع من بنى عامر هذا الموقف ، لأنها لم تكن فى حاجة إلى محالفتهم ، وقد تذرعت بذلك لتجد سببًا تبرو به أقدامها على استقلالها الكامل بالطائف ، وفى الموعد المعتاد لتقسيم ثمار وج ذهب بنو عامر إليها ليحصلوا على نصيبهم ، فامتنعت ثقيف عن تسليمه لها . وذلك بسبب تخليها عن مساعدة الثقفيين فى صد غارات القبائل ، واشتبك الطرفان فى قتال انهزم فيها بنو عامر . فصارت الطائف من بعد ملكا لثقيف وحدها . وقد احترمت القبائل العربية واقع هذا الأمر فتركوها لهم ، وهم بها أسعد حالاً منهم وأكثر إن وكفاية فصار يضرب بذلك المثل .

انقسمت ثقيف إلى طبقتين تتمثل الأولى فى بنى مالك وتعرف الأخرى بالأحلاف ، فلما أثرى الأحلاف وكثرت خيلهم حموا[3] لبنى مالك حمى من

---

(١) انظر الأصبهانى نفسه .
ومن أيام حروب ثقيف يوم وج وكان بين ثقيف وخالد بن هوذة .
عمر رضا كحالة قبائل العرب جـ١ ص١٤٩ .

(٢) البكرى : معجم ما استعجم جـ١ ص٧٨ .
ابن الأثير : جـ١ ص٤٢١ .

(٣) يقال حمى فلان الأرض يحميها أى جعل الناس لا تقترب منها . والحمى ، موضع فيه كلأ يحمى من الناس، وقد نهى رسول الله ﷺ أن يحمى على الناس حمى كما كانوا فى الجاهلية يفعلون.
حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام جـ١ ص٢٧٣ حاشية (١) .

أرض بنى نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن ، فاستاء بنو نصر من ذلك وحاربوا الأحلاف ، وكان يتزعم بنى نصر عفيف بن نصر عفيف بن عوف بن عباد النضرى ثم خلفه اليربوعى . أما رئيس الأحلاف فهو مسعود بن معتب . فلما قامت الحرب بين بنى نصر والأحلاف ، انتهز هذه للفرصة بنو مالك - ورئيسهم جندب بن عوف - لضغائن كانت بينهم وبين الأحلاف ، فحالفوا بنى يربوع ضد الأحلاف - ولما علم الأحلاف بذلك اجتمعوا وقاتلوا بنى مالك وحلفاءهم من بنى نصر فى يوم الطائف ، وانتهى الأمر فى هذه المعركة بانتصار الأحلاف واخراج بنى مالك إلى واد وراء الطائف ، وقتل من بنى مالك وبنى يربوع عدد كبيرًا - ثم رأى بنو مالك إزاء القتال المستمر بينهم وبين الأحلاف أن يسعوا إلى محالفة بعض القبائل ، فحالفوا دوس وخثعم وغيرهما على الأحلاف ، كما خرج زعيم الأحلاف مسعود بن معتب إلى المدينة يبتغى الحلف من الأنصار على بنى مالك . فلما قدم على أحيحة بن الجلاح الأوسى ، نصحه بمصالحة بنى مالك وزوده بسلاح ومؤن، كما أعطاه غلامًا يجيد بناء الآطام بالمدينة ، فبنى لمسعود بن معتب آطما . فكان أول آطم بنى بالطائف ثم تلاه بناء آطلم آخر فيما بعد ، واستقرت الأمور منذ ذلك الوقت بين بنى مالك والأحلاف ولم تقم بينهما حرب تستحق الذكر(١) .

---

(١) ابن الأثير : وكامل جـ١ ص٤٢١ - ٤٢٢ .

محمد جمال الدين سرور : قيام الدولة العربية ص٥٣ - ٥٤ .

ميلاد النبى ﷺ

ولد الرسول ﷺ لاثنى عشر يوما من ربيع الأول[١] . عام الفيل (٢٠ أبريل ٥٧١)[٢] والهم الله جده عبد المطلب أن يسميه محمدًا[٣] . تحقيقًا لما ذكر فى التوراة والإنجيل .

ونبى الإسلام أشرف العرب نسبًا وأفضلهم بيتًا والنسب المتفق عليه بين علماء الحديث والتاريخ . هو : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن قرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد ابن عدنان[٤] وينتهى نسبه إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام .

فكان النبى عليه الصلاة والسلام من نخبة بنى هاشم وأشرف العرب بدوًا وحضرًا وقد أشار إلى ذلك بقوله : « إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل

---

(١) ابن هشام جـ١ ، ص١٦٥ يذكره اليعقوبى والمسعودى ٨ من ربيع الأول وبعد خمسين يومًا من قدوم أصحاب الفيل مكة تاريخ اليعقوبى جـ٢ ص٧ مروج الذهب جـ٢ ص٢٨٠ وقيل يوم الاثنين ٢من ربيع الأول أو فجر الجمعة ١٢من شهر رمضان اليعقوبىجـ٢ ص٧.

(٢) كانت قريش تؤرخ السنين بموت قصى بن كلاب لجلالة قدره فلما كانت حادثة الفيل أرخت به لاشتهار ذلك العام . اليعقوبى جـ٢ ، ص٧ .

(٣) لم يعرف من العرب من تسمى بهذا الاسم قبله ﷺ إلا ثلاثة طمع أباؤهم حين سمعوا بذكر محمد ﷺ وبقرب زمانه وأنه يبعث فى الحجاز أن يكون ولدًا لهم وهم : محمد بن سفيان بن مجاشع والآخر محمد بن أحيحة الحلاج والآخر محمد بن حمدان بن ربيعة . ابن هشام : السيرة النبوية جـ١-٢ ص١٥٨ هامش (١) تحقيق / مصطفى السقا وإبراهيم الإبيارى وعبد الحفيظ مؤسسة شلبى علوم القرآن .

(٤) نهى النبى ﷺ عن تجاوز معد بن عدنان لعلمه من تباعد الأنساب وكثرة الآراء فى طول المدة (مروج الذهب جـ٢ ، ص٢٧٤) .

ومن إسماعيل ، كنانة واصطفى من كنانة قريش واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنىهاشم فأنا خيار من خيار » .

وأما نسبه ﷺ من جهة أمه فهو : محمد بن آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، فتجتمع معه ﷺ فى جده كلاب[1] .

نشأ ﷺ يتيمًا . إذ توفى أبوه عبد الله[2] وهو حمل فى بطن أمه أرضعته حليمة بنت ذؤيب السعدية من قبيلة بنى سعد[3] إحدى بوادى مكة على عادة العرب ولما أتم الرضاعة أعادته إلى أمه[4] ، حيث ظل معها فى مكة حتى توفيت بالأبواء[5] وعمره ست سنوات[6] . فأحتضنته أم ايمن وكفله جده عبد المطلب، الذى أحبه حبًا شديدًا وكان يقول عنه : « إن لابنى هذا لشأنًا عظيمًا »[7] .

---

(١) سيرة ابن هشام حـ١ - ٢ ص١١٠ .

(٢) مات أثناء عودته من تجارة فى يثرب عند أخواله من بنى عدى بن النجار ابن هشام : حـ١ ، ص١٦٥ أربعة أجزاء طبع المطبعة التوفيقية) .

(٣) نفس المصدر حـ١ - ٢ ص ١٦٠ .

(٤) يذكر ابن هشام حـ١ - ٢ ص ١٦٤ -١٦٦ أن حليمة طلبت من آمنة أم الرسول أن تبقيه معها نظرًا لما رأته من الخير والبركة إلا إنها لم تلبث أن أعادته بعد حادث شق الملكين لصدره .

(٥) الأبواء : بالفتح ثم السكون وواو وألف ممدودة . قرية من أعمال الفُرْع من المدينة بينها وبين الجحفة مما يلى المدينة ثلاثة وعشرون ميلا وقيل الأبواء جبل على يمين آرة ويمين الطريق للمصعد إلى مكة من المدينة .

ياقوت الحموى: معجم البلدان حـ١ ص٧٩ دار إحياء التراث العربى - بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

(٦) ابن هشام : حـ١ - ٢ ص١٦٨ .

(٧)كان يوضع لعبد المطلب فراش فىظل الكعبة وكان بنوه يجلسون حول فراشه حتى يخرج إليه، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالاً له غير أنه كان يأمرهم أن يدعوا محمد ويجلسه معه على الفراش .

ابن هشام : حـ١ - ٢ ص١٦٨ ، ابن سعد : الطبقات الكبير حـ١ ص٩٩ ، جمال سرور : قيام الدولة العربية فى حياة النبى محمد ص٦٧ . دار الفكر العربى ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .

ولما بلغ الرسول ﷺ الثامنة من عمره توفى جده فكفله عمه أبو طالب وكان فقيرًا فاشتغل الرسول برعى الأغنام حتى لا يكون عالة على عمه الكثير العيال ، وصحب الرسول فى سن الثانية عشرة عمه أبو طالب إلى الشام لأول مرة فى تجارة فرأى أبو طالب ومن معه آيات من نبوته مما زاده حرصًا عليه ، وفى بلدة بصرى(١) (من أعمال الشام) أخبر بحيرًا الراهب أبو طالب أن علامات النبوة بادية على ابن أخيه ، وطلب منه أن يسرع بالعودة إلى مكة لئلا يراه اليهود فيلحقون به الأذى(٢) .

وفى سن العشرين شهد الرسول مع عمه أبو طالب حرب الفجار(٣) واشترك الرسول فى حلف الفضول(٤) وفى سن الخامسة والعشرين سافر الرسول فى تجارة للسيدة خديجة بنت خويلد والتى كانت تسمى فى الجاهلية بالطاهرة ، وكانت تستأجر الرجال فى مالها ، فسمعت عن محمد وأمانته وصدقه ، فأسندت

---

(١) بُصْرى : فى موضعين ، بالضم والقصر إحداهما بالشام من أعمال دمشق وهى قصبة كورة حوران . ياقوت الحموى معجم البلدان جـ١ ص٤٤١ .

(٢) ابن هشام جـ١ - ٢ ص١٧٩ ، ص١٨٢ ، المقريزى : أمتاع الاسماع بما للرسول من الأنبياء والأموال والحقدة والمتاع جـ١ ص٧-٨ صححه وشرحه الأستاذ محمدو محمد شاكر القاهرة ١٩٤١م .

(٣) ابن هشام جـ١-٢ ص١٨٥ - ١٨٧ .

انظر كتابنا : حكومة الرسول فى المدينة ص٣٣ - ٣٥ مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٦ .

(٤) ابن هشام جـ١ - ٢ ص١٣٤ يعود سبب عقد هذا الحلف الذى دعت إليه بعض بطون وأفخاد قريش إلى ما حدث من العاص بن وائل السهمى (من بنى سهم) من مماطلة فى سداد ثمن سلعة اشتراها من رجل من بنى أسد بن خزيمة أو من زبيد باليمن ، فصعد الرجل جبل أبا قيس ونادى بشعر يصف فيه ظلامته فتداعت قريش للاتفاق على إنصاف المظلوم من الظالم.
تاريخ اليعقوبى جـ٢ ص١٧ ، مروج الذهب جـ٢ ص٢٧٦ - ص٢٧٧ .
، محمد أمين صالح : العرب والإسلام ص٧ هامش (٢) .

إليه العمل فى تجارتها المتوجهة إلى الشام ومعه غلامها ميسرة ، الـذى عـاد يمتـدح محمدًا ويتحدث عن أمانته وخلقه ويسـر معاملتـه ومـا تحقـق علـى يديـه مـن ربـح وفير(١) فأعجبت به السـيدة خديجـة وتزوجتـه(٢) بعـد موافقـة أعمامهـا ، وكـان الصداق اثنى عشر أوقية من الذهب(٣) وكانت رضى الله عنها فى سـن الأربعـين والرسول فى الخامسة والعشرين . وقد عاش محمد صلـوات الله عليـه مـع السـيدة خديجة فى أتم وفاق و لم يفكـر فـى الـزواج بغيرهـا حتـى توفيـت رضـى الله عنهـا وأنجبت له جميع أولاده إلا إبراهيم ، الذين توفوا جميعا فـى حياتـه مـا عـدا فاطمـة وكانت رضى الله عنها خير معين له وفيها يقول الرسول : « والله ما أبدلنـى الله خيرًا منها آمنت بى إذ كفر الناس ، وصدقتنى إذ كذبنى الناس ، وواستنى فى مالها إذ حرمنى الناس ، ورزقنى الله منها الولد دون غيرها من النساء »(٤) .

ويتضح مما قاله الرسول ﷺ أنه لم يكن قد تزوج بعد من مارية القبطية التـى رزق منها ابنه إبراهيم(٥) .

اشتهر الرسول ﷺ فى حياته قبل البعثة بـالصدق والأمانـة ، وحسـن الخلـق ورجاحة العقل ، وليس أدل على ذلك من ارتضاء قومه النزول على حكمه وهـو

(١) ابن هشام جـ١ - ٢ ص١٨٧ - ١٨٨ .

(٢) وكان عمر السيدة خديجة إذ ذاك أربعين سنة وقيل خمسًا وأربعين تزوجـت قبـل الرسـول أبى هالة بن زرارة التميمى ، وقد ولدت له خديجة هندا الصحابى ، كما ولدت له هالة بن أبى هالة وبعد وفاة أبى هالة تزوجت عتيق بن عابد المخزومى فولدت له بنتا اسمها هند .
ابن هشام جـ١ - ٢ ص١٨٧ هامش (٢) .
ابن قتيبة: المعارف ص٦٥ ، ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية جـ١ص٩٧ .

(٣) ابن هشام جـ١ - ٢ ص١٩٠

(٤) جاد المولى : محمد ﷺ المثل الكامل ، جمال سرور : قيام الدولة العربية ص٦٨ .

(٥) مارية القبطية : أهداها المقوقس إلى الرسول حينما أرسل إليه يدعـوه إلى الإسـلاموهى مـن كورة انصنا بصعيد مصر (بدر ص ٥٠) .

فى سن الخامسة والثلاثين حينما اختلفوا وكادوا يقتتلون فيمن يضع الحجر الأسود فى مكانه بعد إعادتهم بناء الكعبة ، إذ بسط رداءه ووضع الحجر فيه ثم أمر كل قبيلة أن تمسك بطرف الثوب ، وأمرهم برفعه حتى إذا انتهوا إلى موضعه أخذه الرسول ووضعه مكانه بيده الكريمة ، فأرضاهم جميعًا وأنهى خلافًا لم يكن يحمد عقباه([1]) .

لم يقم على تربية الرسول ﷺ مهذب ، ولم يعن به مؤدب ، ولكن أدبه ربه فأحسن تأديبه ، فعاش هذه المرحلة من حياته قبل البعثة يتنزه عن المذمومات فلم يشترك فى عبادة الأصنام مع أقرانه ، ولم يسجد لصنم قط ، ولم يحضر مواسم الحج وكان لا يشرب الخمر ، ولا يأكل مما يذبح على النصب ، ولا يحضر مجلس اللهو والمجون([2]) وحبب الله إليه الخلوة والانقطاع عن الناس ، فكان يخلو بنفسه للتفكير والتأمل إذ كان الرسول يعتنق دين الحنيفية دين إبراهيم ، الذى اعتنقه بعض العرب ، الذين تنبهت عقولهم إلى انحطاط الوثنية ، وكان دائم التردد على غار حراء([3]) يمكث فيه أيامًا وليالى متواصلة للتحنث([4]) وكان أول ما فتح الله له

---

(١) يذكر ابن هشام حـ١ ص١٩٧ أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكان أسن قريش كلها هو الذى أشار على قريش أن تحكم أول من يدخل من باب المسجد ، فكان أول من دخل عليهم رسول الله محمد ﷺ .

(٢) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى حـ١ ، ص٧٧ .

(٣) حراء : بالكسر والتخفيف والمد جبل من جبال مكة على ثلاثة أميال .

ياقوت : حـ٢ ، ص٢٣٣ .

(٤) المقريزى : أمتاع الأسماع حـ١ ص١٢ ويقول ابن هشام حـ١-٢ ص٢٣٥ - ص٢٣٦ عن التحنث تقول العرب التحنث هو التحنف يريدون الحنيفية فيبدلون الفاء من الثاء كما قالوا : حدث وحدف وحدثنى أبو عبيده أن العرب تقول : فم فى موضع ثم ثم يبدلون الفاء من الثاء

من الإشارات والدلالات هو ما كان يراه من الرؤيا الصالحة الصادقة فى منامه ، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت كما رأى مثل فلق الصبح([1]) .

لما بلغ ﷺ الأربعين من عمره نزل عليه الوحى وهو يتعبد بغار حراء وكان جبريل يأتى محمدًا فى المنام قبل أن يأتيه فيما بعد فى اليقظة توطئة وتيسيرًا عليه ورفقًا به ، لأن أمر النبوة عظيم وعبؤها ثقيل والبشر ضعيف حتى كانت الليلة الهائلة من يوم الاثنين ١٧ رمضان([2]) ٦١٠م التى أكرمه الله فيها برسالة الهدى ودين الحق . قال رسول الله ﷺ : فجاءنى جبريل وأنا نائم([3]) بنمط ديباج([4]) فيه كتاب فقال : اقرأ قلت ماذا أقرأ ؟ فغتنى به حتى ظننت إنه الموت ثم أرسلنى فقال : اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم . قال : فقرأتها ثم انتهى فانصرف عنى ، وهببت من نومى فكأنما كتبت فى قلبى كتابًا([5]) .

---

(١) ابن هشام جـ١ -٢ ص٢٣٤ .

(٢) اتفق الرواة على بدء نزول الوحى يوم الاثنين ولكنهم اختلفوا فى تحديده . بين ثمان عشرة ليلة من رضمان أو تسع عشرة مضتت منه . ابن الأثير جـ٢ ص٣٠ .

(٣) يظهر فى هذه الرواية عن عبيد بن عمير الليثى أن جبريل أتى النبى وهو نائم . غير أن هناك حديث آخر عن السيدة عائشة أن جبريل أتى النبى فى اليقظة .
ابن الأثير جـ٢ ص٣١) وقد يمكن الجمع بين الحديثين أن جبريل أتى رؤية المنام قبل أن يأتيه فى اليقظة ابن هشام جـ١ ص٢٤٤ والعبرة هنا أن الرؤية فى المنام كانت بالنسبة له حقيقة تأتيه مثل فلق الصبح .

(٤) لم يرد فى حديث السيدة عائشة ذكر النمط من الديباج الذى جاء به الكتاب .
انظر ابن الأثير . جـ٢ ص٣١ محمد أمين صالح : العرب والإسلام ص٥١ .

(٥) جاء فى حديث السيدة عائشة ظهور جبريل مرتين قبل التلاوة وقوله : يا محمد أنت رسول الله وعقب المرة الأولى جثا النبى على ركعبتيه وارتجفت بوادره وطلب من أهله أن يزملوه وعقب المرة الثانية هم الرسول أن يطرح نفسه من حالق فظهر فى المرة الثالثة بالتلاوة انظر ابن الأثير جـ٢ ص٣١ .

واستيقظ الرسول إثر هذه الرؤية الكريمة وخرج لتوه يضرب فى الأرض حتى إذا كان فى وسط من الجبل قال : فرفعت رأسى إلى السماء أنظر فى أفق السماء[١] يقول : يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل[٢] قال فوقفت انظر إليه فما أيقدم وما أتأخر وجعلت أصرف وجهى فى أفاق السماء فلا انظر فى ناحية منها إلا رأيته كذلك . فما زلت واقفًا ما أتقدم أمامى وما أرجع ورائى ... ثم انصرف عنى .

وعاد النبى ﷺ إلى أهله وقد ارتاعت السيدة خديجة لتأخره فى العودة وسألته قصد الاطمئنان عليه فأخبرها النبأ العظيم الذى رأى وهنا تظهر عظمة هذه السيدة بوقوفها رابطة الجأش مع تشجيع زوجها فى هذه اللحظات الخطيرة إذا قالت ابشر يا ابن العم وأثبت فو الذى نفس خديجة بيده ، إنى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة[٣] فكانت أول من آمن وصدق وانطلقت إلى ابن عمها ورقة بن نوفل[٤] تخبره وتسترشد برأيه فقال لها ورقة قدوس قدوس والذى نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتنى يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى وأنه لنبى هذه الأمة فقولى له فليثبت[٥] .

---

(١) اختلف الرواة فى الصورة التى بدا بها جبريل . ففى حديث أنه رآه على رفرف بين السماء والأرض أو جالسًا على عرش بين السماء والأرض (ابن هشام جـ ص٢٤٦) .

(٢) فى حديث السيدة عائشة قول جبريل : « يا محمد أنا جبريل وأنت رسول الله » مقدمًا نفسه عن رسول الله ، ومن ناحية أخرى فقد ورد هذا التعريف قبل التلاوة . انظر ابن الأثير جـ٢ ص٣١) .

(٣) فى حديث السيدة عائشة قالت خديجة : « ابشر فوالله لا يخزيك الله أبدًا فوالله أنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتؤدى الأمانة وتحمل الكل (الثقل) وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق ابن الأثير جـ٢ ص٣١ وهى هنا تعطى وصفًا أخلاقيًا ونفسيًا لرسول الله ﷺ .

(٤) فى حديث السيدة عائشة أن محمدًا اصطحب زوجته إلى ورقة بن نوفل .(ابن الأثير جـ٢ ص٣١).

(٥) ابن هشام جـ١ ، ص٢٤٦ - ٢٤٧ .

لم يلبث أن بدأ القلق يتسرب إلى نفس الرسول إذا انقطع عنه الوحى وقتًا(1) فاغتم الرسول لذلك وصار يذهب إلى جبال مكة شوقًا إلى مشاهدة الوحى حتى رآه فتهيبه ورجع إلى داره وقال : دثرونى دثرونى فأنزل الله تعالى : ﴿ يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر ﴾(2) وكان هذا أمرًا من الله لنبيه ورسوله بأن يدعو قومه إلى عبادة الله عز وجل .

وهكذا انبثق نور الإسلام آخر رسالات السماء لسكان الأرض على يد نبى عربى من بنى هاشم من قريش . يدعو إليه سرًا من يطمئن إليه من أهله وتلك كانت حكمة بالغة نظرًا لما تؤدى الدعوة العلنية إلى وأدها منذ البداية فكان يلزم الحيطة والحذر كما يريد أن يجتذب إليه من يثق به من أهله أو أصدقائه فيتقوى بهم ليبدأ النهوض ويتردد إليه جبريل بآيات الله تحوى أصول الدين الجديد بعبادة الله الواحد الأحد خالق كل شيء والبراءة من الأوثان ثم فرض عليه الصلاة ، وعلمه جبريل كيف يتوضأ ويصل كما علمه أوقاتها(3) .

وكان أول من آمن وصدق زوجته السيدة خديجة ثم ربيبه على بن أبى طالب فكانا يصليان منفردين مستخفيين فى بعض شعاب مكة وشاهدهما يومًا أبو طالب فدعاه محمد إلى الإسلام فاعتذر عن مفارقة دين آبائه وأن تعهد بحمايته(4)

---

(١) فى حديث البخارى أنه حين فتر الوحى عن النبى كان يأتى شواهق الجبال يهم أن يلقى نفسه عنها فكان جبريل يتراءى له بين السماء والأرض يقول له : أنت رسول الله وأنا جبريل . ابن هشام جـ١ ص٢٤٦ .

(٢) سورة المدثر آية ١ .

(٣) ابن هشام جـ ص٢٥٣ ابن الأثير جـ٢ ص٣٢ قال العلماء إن الصلاة قبل الإسراء كانت صلاتين قبل غروب الشمس وأخرى قبل طلوعها حسب قول الله تعالى : ﴿ وسبح بحمد ربك بالعشى والأبكار ﴾ ثم أكملت خمسة ليلة الإسراء قبل الهجرة بعام واحد أو عام ونصف أو بعد النبوة بخمسة أعوام . ابن هشام جـ ص٢٣٥ ، ص٢٥٤ .

(٤) ابن هشام جـ١ ص٢٥٦ ، ابن الأثير جـ٢ ص٣٧ - ٣٨ .

ثم أسلم زيد بن حارثة مولاه . ثم كان إسلام أبى بكر بن أبى قحافة من بنى تيم ابن مرة . وكان رجلاً تاجرًا ذا خلق حسن ومعروف وحسن مجالسة كما كان صديقًا لمحمد بن عبد الله وما تردد حين دعاه إلى الإسلام وإنما تعهد أيضًا بدعوة بعض من يأتيه ويثق به من رجالات قريش فدخل الإسلام على يديه كبار الصحابة من المسلمين الأولين وهم : عثمان بن عفان من بنى أمية ، والزبير بن العوام من بنى عبد العزى بن قصى وعبد الرحمن بن عوف وسعد ابن أبى وقاص من بنى زهرة ، وكذا طلحة بن عبيد الله من بنى تيم رهط أبى بكر وجاء بهم أبو بكر فأسلموا وصلوا(١) وكذا أسلم أبو عبيدة بن الجراح من بنى ضبة وأبو سلمة عبد الله بن الأسد والأرقم بن أبى الأرقم من بنى مخزوم وسعيد بن زيد بن عمرو من بنى عدى والأخوة الثلاثة عثمان وقدامة وعبد الله أبناء مظعون من بنى جمح . هذا غير النساء العربيات اللاتى أسلمن أيضًا فى بيوت هؤلاء القوم مثل أسماء وعائشة ابنتى أبى بكر وفاطمة بنت الخطاب زوجة سعيد بن زيد وغيرهن من النساء فى بيوت من أسلم بعد ذلك من مختلف عشائر وبطون قريش مثل خالد بن سعيد بن العاص من بنى أمية وزوجته أمينة أو هيمة بنت خلف ، وعياش بن ربيعة من بنى مخزوم وامرأته أسماء بنت سلامة وجعفر بن أبى طالب من بنى هاشم وزوجته أسماء بنت عميس .

كذلك اعتنق الإسلام غير هؤلاء العرب الخلص بعض حلفاء وموالى قريش. نذكر منهم خباب بن الأرت وعبد الله بن مسعود حليفا بنى زهرة ، وعامر بن ربيعة حليف آل الخطاب وعمار بن ياسر حليف بنى مخزوم وعامر بن فهيرة مولى الطفيل بن عبد الله الأزدى ، وبلال بن رباح مولى أمية بن خلف من بنى جمح وكذلك صهيب بن سنان مولى عبد الله بن جدعان وغيرهم كثير(٢) .

---

(١) ابن هشام جـ١ ص٢٥٨ - ٢٥٩ ابن الأثير جـ٢ ص٣٨ .

(٢) ابن هشام جـ ١ ص٢٥٩ - ص٢٦٤ .

استمر الرسول ﷺ يدعو إلى الإسلام سرًا ، والمسلمون يخفون إسلامهم وصلاتهم عن قومهم فى بعض شعاب مكة([1]) ومن ثم أخذ الإسلام ينتشر رويدًا رويدًا وقوى عوده بإيمان من أسلم من صحابة رسول الله طيلة السنوات الثلاث الأولى من عمر الدعوة . ولما كثر عدد المؤمنين تصدت قريش لهم فأمر الله نبيه بالدعوة وعدم المبالاة بالمعارضين والمشركين والمستهزئين وأنزل قوله تعالى : ﴿ فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين ، انا كفيناك المستهزئين ﴾([2]) وقوله تعال :﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين . واخفض جناحك لم اتبعك من المؤمنين ﴾([3]).

صدع الرسول ﷺ بأمر ربه بالدعوة العلنية وبدأ بأن صعد على الصفا ونادى عشيرته الأقربين من قريش ، بنى عبد المطلب وبنى عبد مناف فاجتمعوا إليه فقال : أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل اكنتم مصدقى ؟ قالوا : نعم ما جربنا عليك كذبًا قال : فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد فقال عمه أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب : تبالك أما جمعتنا إلا لهذا . ثم قام وانفض الاجتماع دون جدوى([4]) فنزل قوله تعالى : ﴿ تبت يدا أبى لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارًا ذات لهب وامرآته حمالة الحطب . فى جيدها حبل من مسد ﴾([5]) .

---

(١) ابن هشام جـ١ ص٢٦٥ - ٢٦٦ لم يسلم الأمر من إطلاع بعض المشركين على هؤلاء المسلمين فى صلاتهم هذه سرًا فقد رآهم يوما أبو سفيان بن حرب والأخفش بن شريف وغيرهما فسبوهم وعابوهم حتى قاتلوهم . ابن الأثير : جـ٢ ، ص٤٠ .

(٢) سورة الحجر آية ٩٤ .

(٣) سورة الشعراء آية ٢١٤ ، ٢١٥ .

(٤) ابن الأثير : جـ٢ ص٤٠ ذكرت المصادر احتماعين جمع الرسول فيهما عشيرته على طعام، وفوت عليه عمه أبو لهب مناسبة الحديث فى الاحتماع الأول ودعاهم فى الاحتماع الثانى إلى الإسلام .

(٥) سورة المسد آية ١ - ٥ .

ومع اشتداد المعارضة يزداد عدد المسلمين ، وكلما اشتد إيذاء المشركين لهم ازداد المسلمون إصرارًا وثباتا وقوة وإيمانًا بالدعوة ، بل إن هذا الاضطهاد أدى إلى إذكاء الحماسة الدينية فى نفوس الكثيرين من أتباع الرسول ﷺ فقد برهن عبد الله بن مسعود على جرأته وقوة إيمانه حين قرأ القرآن فى فناء الكعبة والقوم من كفار قريش يضربونه وهو مستمر فى قراءته وأراد تكرار ذلك إلا أن أصحابه اقنعوه بالعدول قائلين له : حسبك قدا اسمعتهم ما يكرهون(١) .

على أننا نتسائل لماذا هذا الموقف المعارض من قريش للدعوة الإسلامية ؟ وللإجابة على ذلك نقول أنه كان لقريش مركز كبير من جراء سيادتهم على الكعبة ، كما ارتبط نفوذهم أشد الارتباط بعبادة الأصنام التى جمعها عرب الجزيرة فى الكعبة فهى منبع نفوذهم وسبب سيطرتهم ، كما كان فى وجود هذه الأصنام فى مدينتهم سببا فى وفود آلاف الحجاج إليهم كل عام ، ولذا فإن قريشًا رأت فى الدعوة الإسلامية خطرًا يهدد الحج إلى مكة بالتوقف الأمر الذى سيؤدى إلى القضاء على وسائل معايشهم وتجارتهم الواسعة .

والواقع أن الرسول ﷺ بدعوته قريش إلى الإسلام لم يكن يريد أن ينال من نفوذ مكة أو الكعبة ، بل على العكس كان يرى دائمًا أن من واجبه المحافظة على هذا النفوذ ، ليستغله فى نشر دعوته بين العرب إذا ما تحول أهل مكة إلى الإسلام، كذلك فإن القاعدة الإسلامية التى تقضى بأنه لا ضرر ولاضرار قد أبدل القرشيين حج المسلمين من كافة الأنحاء ولن يقتصر الحج على قبائل الجزيرة العربية وبذلك تكون الفائدة لقريش ومكة أعم وأشمل .

كذلك وجدت قريش فيما جاء به الإسلام من المساواة بين الأفراد قضاء على الطبقية التى تميزهم عن سائر الناس ذلك أن التنظيم الطبقى فى ذلك الحين

---

(١) ابن هشام : حـ١-٢ ص٣١٤ – ص٣١٥ .

كان يقسم المجتمع إلى سادة وعبيد ، وبالإسلام يتساوى سادة قريش مع عبيدهم ، بل أن الإسلام جاء بمبدًا جديد ، وهو أن العبد المسلم يمكن أن يتميز عن سيده بميزة التقوى : « إن أكرمكم عند الله اتقاكم »(١) .

ويبدأ الدور الصعب الشاق الذى لقيته الدعوة للإسلام فى مكة طوال عشرة أعوام لجأت خلالها قريش إلى كل أسلحة المقاومة والعناد دون جدوى بل أنها أتت على العكس مما يشتهون .

ذهبت قريش أولاً إلى أبى طالب رأس بنى هاشم وقتذاك كى ينهى ابن أخيه عن الدعوة أو تسليمهم إياه للتخلص منه . سعى وفد يضم عشرة من أشرافهم مرتين(٢) قالوا له فى المرة الأولى : « يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا وضلل آباءنا . فإما أن تكفه عنا وإما أن تخلى بيننا وبينه . فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيه » . وإذا كان أبو طالب قد رد ردًا جميلاً وقال لهم قولاً رقيقًا فانصرفوا عنه وقد علموا أنه يحدب على ابن أخيه ويقوم دونه ، فإن قريشا جاءت فى المرة الثانية تهدد بالفراق والعداء . إذ قالوا : يا أبا طالب إن لك سنًا وشرفًا ومنزلة فينا . وإنا قد استنهيناك عن ابن أخيك فلم تنهه عنا ، وإنا والله ما نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك فى ذلك . وجد أبا طالب نفسه بين

---

(١) جمال سرور : قيام الدولة العربية ص٤٧ ، وعبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ص١٠٣ - ١٠٤ .

(٢) عتبة وسفيان ابنا ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ، أبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس ، والعاص بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصى ، الأسود بن المطلب ابن أسد بن عبد العزى ، الوليد بن المغيرة وأبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة من بنى مخزوم ، نبيه ومنبه ابنا الحجاج بن عامر من بنى سعد ، العاص بن وائل من بنى سهم . ابن هشام : جـ١ ص٢٦٧ .

أمرين كلاهما خطير وصعب على نفسه ، عداء القوم أو خذلان ابن أخيه وتسليمه للقتل . فذهب إلى الرسول ﷺ يخبره بهذا التهديد الأخير ويرجوه أن لا يحمله من الأمر ما لا يطيق . وكان رد الرسول ﷺ قاطعًا حازمًا بقوله : « يا عم ، والله لو وضعوا الشمس فى يمنى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره أو أهلك فيه ، ما تركته »(١) .

ويهمنا فى هذه المقابلة التاريخية أن تظهر عظمة الرجال أصحاب المبادىء ذوى الشخصيات القوية الذين يؤثرون بحق فى مصائر البشرية . فما بال هذا النبى . فهو لا يحيد قيدا نملة عن طريق الهدى ، ولا يتخلى أبدًا عن الرسالة المنوط بها . فهو مؤمن بربه ومؤمن بدعوته لا يبالى بما يحدث له أو يناله ، إنما يقدم حياته فى سبيل هذا الدين الذى يبشر به . وهكذا كان رده قويـًا ومعجزًا على قريش ليجعل عمه أمام الخيار الثانى أى الخضوع لتهديد قريش وتسليم محمد يفعلون به ما يريدون دون حق أو دية أو ثأر . وربما يكون الرسول قد ظن أنه « قد بدا لعمه فيه بداء أنه خاذله ومسلمه » فعز على نفسه هذا الهوان ، وهو شريف فى قومه فبكى وقام من مجلس عمه . وفى الحال عز على نفس أبى طالب أيضـًا أن يترك ابن أخيه هكذا وقد رأى فى قوله الثبات فتحركت فيه نخوة العصبية وناداه فعاد إليه ليقول له : اذهب يا ابن أخى ، فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشىء أبدًا(٢) .

وهكذا واجه أبو طالب تحدى قريش وأبى الخضوع للتهديد وهو يعرف أن قريشـًا لن تقدر على التنفيذ ، وإلا وقعت فى حرب طويلة مريرة بين سائر بطونها وأحلافها جميعـًا بدافع العصبية . وكانت قريش تهدد بما تخشاه فهم قوم من التجار

---

(١) ابن هشام حـ ١ ص٢٦٦ - ٢٦٨ ، ابن الأثير : حـ٢ ص٤٢ - ٤٣ .

(٢) ابن هشام : نفسه ، ابن الأثير : نفسه .

تميل طبائعهم ومصالحهم المادية إلى السلم وليس الحرب التى تضرهم كثيرًا . ولهذا تجنبت قريش طوال هذه السنوات العشر أن تقع فى المحظور فى كل وسائل العداء والمقاومة .

وتسعى قريش مرة ثالثة بعرض خبيث إذ قدموا إلى أبى طالب ومعهم عمارة ابن الوليد بن المغيرة من بنى مخزوم تقول : « يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى فى قريش وأجمله فخذه فلك عقله ونصره واتخذه ولدًا فهو لك . وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذى خالف دينك ودين أبائك وفرق جماعة قومك وسفه أحلامهم ، فنقتله فإنما هو رجل برجل » ولنا أن نتصور ما كان يعتمل فى نفسى أبى طالب وهو يسمع هذا القول . لا شك أنه الغضب لهذا التحايل الغبى والغدر المقصود بابن أخيه . فبادرهم على الفور برد قطع عليهم تلك المساومة العجيبة إذ قال : « والله لبئس ما تسومونني . اتعطونى ابنكم أغدوه لكم وأعطيكم ابنى تقتلونه ؟! هذه والله لا يكون أبدًا » فبادره المطعم بن نوفل بن عبد مناف يقول : والله يا أبا طلب لقد انصفك قومك ، وجهدوا على التخلص مما تكرهه ، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئًا فرد عليه أبو طالب : « والله ما انصفتمونى ، ولكنك قد اجمعت خذلانى ومظاهرة القوم على ، فاصنع ما بدا لك » . وانتهت تلك المقابلة الثالثة بعد أن تنابذ القوم وقد بادى بعضهم بعضًا(١) .

حاولت قريش النيل من الرسول ﷺ فاتهمته بأنه كاذب وساحر وكاهن وشاعر ومجنون(٢) واعتدوا عليه وخنقوه فى حجر الكعبة وكادوا يقتلونه(٣) .

---

(١) ابن هشام : جـ١ ص٢٦٩ ، ابن الأثير جـ٢ ص٤٣ صالح ص٢١ ، ص٢٢ .

(٢) انظر ابن هشام جـ١-٢ ص٢٧٠ ص٢٧١ فى دعوة الوليد بن المغيرة قومه ليدعوا على محمد بالكهانة والجنون والسحر بدر عبد الرحمن : حكومة الرسول فى المدينة ص٥٤ .

(٣) ابن هشام جـ١-٢ ص٢٩٠ .

كما لجأت قريش إلى أحبار اليهود ليستعينوا بهم عليه لإحراجه فطلب أحبار اليهود من القرشيين أن يسألوه عن ثلاثة أشياء إن أخبرهم بها فهو نبى مرسل ، وإن لم يجب فهو متقول ، أما السؤال الأول عن فتية ذهبوا فى الدهر ، والثانى عن رجل طواف ، والثالث عن الروح فذكر لهم الرسول ﷺ أن الفتية الذين ذهبوا فى الدهر هم أصحاب الكهف ، أما الرجل الطواف فهو ذو القرنين ، وعن الروح ذكر قوله تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً(1) .

لجأت قريش بعد أن فشلت تلك المساعى السلمية بتوسيط أبى طالب لإثناء ابن أخيه عن الدعوة للإسلام ونبذ الأوثان لجأت إلى أسلوب التعذيب للمسلمين ، بأن « وثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم »(2) وكان من الطبيعى أن يجمع أبو طالب عصبية بنى هاشم فأجابوه إلى عدم التعرض لرسول الله إلا واحدًا منهم هو أبو لهب الذى جاهر بعدائه ، وشارك قريشًا مكائدهم ضد المسلمين(3) . وبالمثل تعصبت العشائر لمن أسلم من رجالها فلم يصبهم الأذى ، فانصب العذاب على المستضعفين من المسلمين فجعلوا يحبسونهم بالضرب والجوع والعطش ورمضاء مكة والنار ، فمنهم من يجيب من شدة البلاء وقلبه مطمئن للإيمان ومنهم من تحمل وطأة العذاب ويستعذبه بقوة الإيمان .

فهذا بلا بن رباح يعذبه مولاه أمية بن خلف من بنى جمح ، كان إذا حميت الشمس وقت الظهيرة يلقيه فى الرمضاء على وجهه وعلى ظهره ، ثم يأمر فتوضع حجرة عظيمة على صدره ويقول : لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد

---

(1) ابن هشام جـ١-٢ ص٣٠٠-٣٠٨ .

(2) ابن هشام جـ١-٢ ص٢٧٠ ، ابن الأثير جـ٢ ص٤٣ .

(3) نفس المصدرين .

وتعبد اللات والعزى ، فلم يزد بلالاً تحت هذا العذاب الهائل من أن يقول : أحد أحد . وحدث أن رآه أبو بكر يومًا فتحدث مع مولاه أمية ابن خلف واتفقا على مبادلة بلال بمولى آخر فأخذ بلالاً وأعتقه . وبالمثل عذب عامر بن فهيرة مولى الطفيل الأزدى فلم يرجع عن إيمانه اشتراه أيضًا أبو بكر واعتقه(١) .

وهذا بن عمار بن ياسر بنى مخزوم كانوا يخرجونه هو وأبوه وأمه إلى الأبطح يعذبونهم بحر الرمضاء ويراهم الرسول يوما فى هذا العذاب فيقول : صبرًا آل ياسر فإن موعدكم الجنة . فمات ياسر فى العذاب بينما قتلت امرأته ، طعنها أبو جهل فى قلبها ، فكانت أول شهيدة فى الإسلام . واشتد العذاب بعمار بن ياسر حتى أجابهم إلى سب محمد وقال خيرًا فى اللات والعزى فتركوه .. وأتى عمار النبى ﷺ باكيًا فقال ما وراءك ؟ قال شر يا رسول الله كان الأمر كذا وكذا قال : فكيف تجد قلبك ؟ قال : أجده مطمئنًا بالإيمان . فقال : يا عمار إذا عادوا فعد . فأنزل الله تعالى : ﴿ إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ﴾(٢) . وغير هؤلاء كثيرون من العبيد الرجال والإماء من النساء مثل لبينة وزنيرة جاريتى بنى عدى كان عمر بن الخطاب قبل إسلامه يعذبهما ، وأم عيسى أمة بنى زهرة كان الأسود بن عبد يغوث يعذبها . واشتراهن أبو بكر جميعًا واعتقهن(٣) .

وإذا كانت قريش قد صبت جام غضبها على المستضعفين من المسلمين وتفننت فى تعذيبهم فإنها لجأت إلى أسلوب الإيذاء والاستهزاء بمن أسلم من رجالاتهم دون التعرض لأشخاصهم بضر خشية أن تقع الحرب بينهم بدافع العصبية . فكان أبو جهل بن هشام من بنى مخزوم يأتى الرجل الشريف فيقول له :

---

(١) ابن الأثير : جـ٢ ص٤٥ ، ص٤٦ .

(٢) سورة النمل آية ١٦ .

(٣) ابن الأثير جـ٢ ص٤٥ - ٤٦ .

اتترك دينك ودين أبيك وهو خير منك ؟ ريقبح رأيه ويسفه حلمه ويضع شرفه . فإن كان تاجرًا يقول له : ستكسد تجارتك ويهلك مالك وإن كان ضعيفًا أغرى به حتى يعذب([1]) .

على أن أكبر ما وقع من إيذاء ، واستهزاء كان على نبى الإسلام بوسائل شتى تظهر رذائل قريش فى عداوتها للدعوة . فهناك من كان يلقى العذرة والنتن على باب رسول الله مثل عقبة بن أبى معيط من بنى أمية ، وعمه أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب وكان جاره . وتلك وسيلة قذرة تدل على نفسية فاعلها . وكان الرسول ﷺ يقول مشمئزًا أى جوار هذا يا بنى عبد المطلب([2]) .

وتظهر أيضًا بذاءات اللسان فى التهكم على ما كان ينبؤهم به من أمور الدين أو الطعن فى شخصه الكريم . فهذا الأسود بن عبد يغوث من بنى زهرة وابن خال النبى ﷺ كان يقول مستهزئًا : أما كلمت اليوم من السماء يا محمد([3]) ؟ . وهذا الحرث بن عبد قيس من بنى سهم كان يقول : قد غر محمد أصحابه ووعدهم أن يحيوا بعد الموت والله ما يهلكنا إلا الدهر([4]) . وهذا أبى بن خلف من بنى جمح ، أتى بعظم فخذفى يده ويقول متهكمًا زعمت أن ربك يحى هذه العظم([5]) . فنزلت : ﴿ قال من يحيى العظام وهى رميم ﴾([6]) . كذلك نرى الأخوين نبيه ومنبه ابنا الحجاج من بنى سهم ضمن فريق الطعن والتهكم على

---

(١) ابن هشام جـ١ ص٣١٤ ، ابن الأثير : جـ٢ ص٤٧ .

(٢) ابن الأثير : جـ٢ ، ص٤٧ ، ص٥٠ .

(٣) ابن الأثير : جـ٢ ، ص٤٧ - ص٤٨ .

(٤) ابن الأثير : جـ٢ ، ص٤٨ .

(٥) ابن الأثير : جـ٢ ، ص٤٨ ، البلاذى : أنساب الأشراف ص١٣٧ .

(٦) سورة يسن : آية ٧٨ .

رسول الله ﷺ فكانا يلقيانه ويسألونه . أما وجد الله من يبعثه غيرك . أن هاهنا من هو أسن منك وأيسر[1] . ومنهم أيضًا العاص بن سهم من بنى سهم أيضًا الذى قال عندما توفى القاسم ابن النبى ﷺ : أن محمدًا أبتر لا يعيش له ولد منزل قوله تعالى : ﴿ إن شانئك هو الأبتر ﴾[2] .

ووصل أذى اللسان أسفل سافلين حين أقبل الرسول ذات مرة يطوف بالكعبة فمر على مجلس لأشراف قريش فى الحجر - حجر إسماعيل - فغمزوه ببعض القول انعكس أثره البغيض على وجه رسول الله ومضى فى طوافه ، وكرروا عليه الغمز حتى إذا كانت المرة الثالثة وقف وقال : أما تسمعونى يا معشر قريش ، أما والذى نفسى بيده لقد جئتكم بالذبح . ولعل النبى ﷺ اضطر اضطرارًا فى هذه المناسبة ، وهو يدعو إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة أن يهدد قريشًا بالهلاك جزاء بما يلسنون من قبيح القول وفحشه . وأحدث التهديد ، وهم يعرفونه الصادق الأمين ، فى نفوسهم رعبًا يصفه ابن إسحق فيما يرويه : « أخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجلاً إلا كأنما على رأسه طائر واقع » وكان أن حركهم الخوف على حياتهم فأقبلوا يهدؤونه بأحسن القول وقال أحدهم : انصرف يا أبا القاسم ، فو الله ما كنت جهولاً . وعاد القوم فى اليوم التالى يتذكرون ما حدث منهم ولهم البارحة ، وينكرون على أنفسهم هذا الضعف والخوف ، فبثوا فى نفوسهم بعض الشجاعة كى يثبوا جميعًا عندما شهدوا رسول الله فأحاطوا به يقولون : أنت الذى تقول كذا وكذا ، لما كان يقول فى غيب آلهتهم ودينهم . فلايهتز الرسول ولا يخاف بل يجيب بكل شجاعة بالإيجاب. وكان أن اعتدى عليه بعضهم ، وتدخل أبو بكريردهم عن صديقه وهو يبكى

(١) ابن الأثير : جـ٢ ، ص٤٩ ، ص٥٠ .

(٢) سورة الكوثر : آية ٣ .

ويقول : اتقتلون رجلاً أن يقول ربى ا لله . وكان هذا أشد ما وقع للرسول من إيذاء قريش ونال أبا بكر نصيبه من الاعتداء[١] .

ومن العجيب أن بعض هؤلاء المستهزئين كانوا ينالون من ا لله سبحانه العقاب الشديد يحل بهم بصور شتى ليكونوا عبرة لأمثالهم . ولكن القوم كانوا فى غيهم يعمهون . ومن العجيب أيضًا أن يحدث ذلك من بعض رجالات العرب الذين ملئت قلوبهم ونفوسهم المريضة حقدًا وغيظًا ضد واحد من أشرافهم يدعوهم إلى الهدى ودين الحق ، ويعدهم بالخير فى الدنيا والنعيم فى الآخرة ، وإنما تلك عادة العرب ضد من يدعوهم إلى الصواب .

---

(١) ابن هشام جـ١ ص٢٨٩ - ٢٩٠، ابن الأثير : جـ٢، ص٥٢ - ٥٤ .

تنظيمات الرسول ﷺ في المدينة المنورة

لقد كانت الهجرة إلى يثرب(١) ، أعظم حدث فى تاريخ الدعوة الإسلامية. ذلك أن تلك الهجرة كانت إيذانًا بقيام الدولة العربية الإسلامية فى حياة النبى محمد ﷺ .

ومن الجدير بالذكر أن مؤسس هذه الدولة العربية الإسلامية وهو الرسول الكريم ﷺ قام بعدة تنظيمات فى المدينة المنورة كأعظم ما يكون من مؤسسى الدول المعاصرة . ولقد كانت خطوات بناء تلك الدولة أو تنظيماتها تلقائية بحيث كان يلى كل تنظيم الخطوة التالية فى منظومة رائعة بالغة الدقة .

لم تكن الهجرة إلى يثرب هى الأولى من الهجرات التى قام بها المسلمون ولكن سبقتها هجرات ثلاث اثنتان منها إلى الحبشة والثالثة قام بها الرسول ﷺ وحده إلى الطائف . وسنشير إلى هذه الهجرات إشارات خفيفة حتى يظهر لنا أن الهجرة إلى يثرب كانت ضرورة حتمية تمليها الظروف الصعبة التى مر بها المسلمون فى مراحل دعوتهم .

الهجرة إلى الحبشة :

كان على الرسول ﷺ أن يعمل على حماية جماعة المسلمين الذين تعرضوا لأذى وبطش قريش ، ولذا فقد عرض عليهم الهجرة إلى الحبشة(٢) فى السنة

---

(١) تبدأ نشأة المدينة الإسلامية من « يثرب » بعد هجرة الرسول إليها والتى حولتها إلى « مدينة » بمفهوم حضارى واضح انسحب على تسميتها فأصبحت تسمى « المدينة » انظر محمد عبد الستار عثمان : المدينة الإسلامية ص٥١ سلسلة عالم المعرفة التى يصدرها المجلس الأعلى للفنون والثقافة - الكويت أغسطس ١٩٨٨م .

(٢) لم يفكر الرسول ﷺ فى هجرة المسلمين إلى إحدى القبائل العربية لأنها كانت ترفض دعوته مجاملة لقريش .

حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى جـ١ ص٨٧ .

الخامسة من البعثة ، ولعل السبب فى ذلك قرب الحبشة من الجزيرة العربية ، وسكانها مسيحيون أهل كتاب ، وليسوا مشركين ، وأن ملكها عرف عنه العدل والتسامح ، وبلغ عدد المهاجرين خمسة عشر شخصًا من(١) الرجال والنساء(٢) .

على أن قريشًا لم تترك المهاجرين ينعمون بالأمن فى الحبشة . وأرادت أن تعكر صفوهم وتؤلب عليهم النجاشى، لكن النجاشى أكرم المسلمين و لم يتسجب للتحريض(٣) ، وكان لهذه الهجرة أثر كبير فى نشر الإسلام ، فقد ذاع بين العرب أن فريقًا من المسلمين هاجروا بدينهم إلى الحبشة ، وبذلك سمع عن الدين الإسلامى من لم يسمع به من قبل ، فلم تستطع قريش أن تقف فى وجه الدعوة ، بل إننا نجد شخصيتين كبيرتين فى مكة هما حمزة عم الرسول وعمر بن الخطاب يتحولان إلى الإسلام ، مما كان له أكبر الأثر فى تقوية الدعوة(٤) .

---

(١) كانوا أحد عشر رجلاً وأربع نسوة .
ابن الأثير: الكامل فى التاريخ حـ٢، ص٥٢ بيروت، إمتاع الأسماع للمقريزى ص٢٠ حاشية رقم ٤.

(٢) كان فيها من كبار الصحابة : عثمان بن مسعود ، وأبو حذيفة بن عتبة وأمرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو ، والزبير بن العوام ومصعب بن عمير وأبو سلمة بن عبد الله بن عبد الأسد وأمرأته وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة وأمرأته وأبو سبرة بن أبى رهم ، وحاطب بن عمرو ، وسهيل بن بيضاء .
عبد الله الطيب الأنصارى : هجرة الحبشة وما وراءها من نبأ ص٩٥ .
دراسات فى تاريخ الجزيرة العربية الكتاب الثالث .

(٣) يذكر الدكتور/ جواد على : أن موقف الحبشة من جماعة المسلمين وأكرامهم على اعتبار أنهم جماعة ثورية ضد قريش ومكة ، ردًا على موقف قريش ومكة لما أحدثوه من إساءة وتدنيس للقليس الذى بناه أبرهة الأشرم فى اليمن لنجاشى الحبشة ,
انظر المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام حـ٣ ص٥٠٨ .

(٤) عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية حـ١ ص١٠٥ مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة السابعة ١٩٨٢م .

أقام المسلمون الذين هاجروا إلى الحبشة ثلاثة أشهر أسلم أثناءها عمر بن الخطاب ، وعلم هؤلاء المهاجرين ما حدث على أثر إسلامه من رجوع قريش عن إيذائها محمدًا ﷺ ومن اتبعه ، فعاد كثير منهم إلى مكة ، فلما بلغوها رأوا قريشًا عادت إلى إيذاء المسلمين وإلى الإمعان فى عدوانهم أشد مما عرف هؤلاء المهاجرون من قبل ، فعاد إلى الحبشة من عاد ودخل مكة من دخل مستخفيًا أو بجوار ويقال أن الذين عادوا اصطحبوا معهم عددًا آخر من المسلمين أقاموا بالحبشة إلى ما بعد الهجرة وإلى حين استتب الأمر بالمدينة(١) .

وكان العام العاشر للبعثة النبوية (عام الحزن) حيث فقد الرسول ﷺ زوجته خديجة وعمه أبو طالب ، وأشتد إيذاء الكفار وبالغوا فى الاعتداء عليه وطمعوا فيه(٢) ، لذا فكر الرسول فى الهجرة إلى الطائف ، فهاجر إليها ومعه زيد ابن حارثة ، لعله يجد فيها عونًا عما لاقى من إعراض قريش ، إلا أن أهل الطائف تصدوا لدعوته وطاردوه من بلدهم(٣) .

ولم يكن غريبًا أن تقف الطائف هذا الموقف من الرسول ﷺ . ذلك أن أهل الطائف كانت لهم علاقات قرابة ونسب بأهل مكة ، كما كانت الطائف مصيف أهل مكة ، ويقيم بها أثرياؤها الذين كانت لهم فيها بساتين وأراضى وعقار ؛ ثم إن أهل الطائف مثل المكيين عبدة أوثان وأصنام ، واللات أم الآلهة

---

(١) محمد حسين هيكل : حياة محمد ص١٤٠ دار المعارف الطبعة الثامنة عشر . وبلغ عدد المهاجرين فى الهجرة الثانية نيف وثمانون وفيها جعفر بن أبى طالب وقد عاد مهاجروا الحبشة تباعًا إلا جعفرًا وأصحابه فإنهم لم يعودوا إلا بعد فتح خيبر . عبد الله الطيب الأنصارى : هجرة الحبشة وما وراءها من نبأ ص٩٥ .

(٢) ذكر عنه ﷺ أنه قال : ما نالت منى قريش شىء أكرهه حتى مات أبو طالب . المقريزى : إمتاع الأسماع جـ١ص٢٧ .

(٣) ابن الأثير : الكامل جـ٢ ص٦٣ - ٦٤ بيروت .

ومعبدها فى مدينتهم ، فضلاً عن ذلك فإن أغنياء ثقيف بالطائف سمعوا ما يدعوا إليه النبى من تحريم للربا والخمر ولحم الخنزير ، وبلدهم بلد الربا والزنا وأعنابهم تصنع منها الخمور ، وأراضيهم ترعى فيها الخنازير ، كما أن أهلها أصحاب شراب ؛ ثم كيف يتساوى العبيد والأجراء مع السادة وأصحاب الأموال ؟ لذا فإن الدعوة إلى الإسلام فى الطائف كان أمرًا مرفوضًا وغير مقبول[١] . من أهلها ، الذين سلطوا على الرسول سفهائهم وكلابهم وصبيانهم للاعتداء عليه ومطاردته[٢]، فعاد ﷺ إلى مكة فى جوار المطعم بن عدى[٣] لأن الرسول بعرض نفسه على القبائل يكون قد خلع نفسه من قريش ؛ وهو أمر له خطورته ، إذ أنه فى حالة تعرض حياته ﷺ للخطر يضيع دمه هدرًا[٤] .

بيعتا العقبة[٥] الأولى والثانية :

بدأ الرسول ﷺ فى إتخاذ استراتيجية جديدة فى الدعوة إلى الإسلام وبخاصة بين العرب الوافدين إلى مكة فى موسم الحج ، وقريش تقوم بالدعاية المضادة ، وتنشر جواسيها حول الكعبة ، وفى أسواق مكة حتى لا يتصل الرسول ﷺ بأحد من الوافدين ، بل هدد القريشيون كل من يتصل بالرسول بالطرد والتعذيب ونهب تجارته ومصادرة بضاعته .

---

(١) عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية حـ١ ص١٠٦ .

(٢) محمد جمال الدين سرور : قيام الدولة العربية فى حياة النبى محمد ﷺ ص٧٩ دار الفكر العربى ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .

(٣) أحد تجار الطائف الأثرياء . ابن سعد : الطبقات الكبير حـ١ ص١٩٥ - ١٩٦ .

(٤) بدر عبد الرحمن : حكومة الرسول فى المدينة ودورها فى توحيد الجزيرة العربية ص٥٦ - ٥٧ مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٦م .

(٥) العقبة . منزل فى طريق مكة على مقربة من منى بعد واقصة وقبل القاع لمن يريد مكة وهو ماء لبنى عكرمة من بكر بن وائل . حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى حـ١ ص٩٤ هامش (١) طبعة ١٩٥٩م .

اتجهت أنظار الرسول ﷺ إلى يثرب وسكانها من الأوس والخزرج الوافدين على مكة فى موسم الحج ، وبدأ أول اتصال بين الرسول ﷺ وأهل يثرب أثناء دعوته القادمين على مكة من العشائر والأفراد ، ويذكر ابن إسحاق أن الرسول ﷺ كان لا يسمع بقادم من العرب له اسم وشرف إلا تصدى له فدعاه إلى الله وعرض عليه ما عنده[1] .

ويروى أن الرسول ﷺ اتصل بنفر من بنى عبد الأشهل جاءوا إلى مكة يلتمسون حلف أهلها ضد الخزرج ، غير أن الوفد لم يتسجب لدعوة الرسول الدينية وقالوا له : « جئنا لغير هذا »[2] .

وأول اتصال مثمر بين الرسول ﷺ وأهل المدينة حدث عندما قدم مكة نفر اتصل الرسول ﷺ بستة منهم ودعاهم إلى الإسلام فاستجابوا وهم أسعد بن زرارة (زريق) وعوف بن الحارث) (بنى الحارث) ورافع بن مالك (زريق) وعتبة بن عامر (سواد) وقطبة بن عامر (سلمة) ، وجابر بن عبد الله[3] ويضيف الواقدى إليهم أبو الهيثم بن التيهان (حليف عبد الأشهل) ويذكر أنه كان يكره الأصنام ويقول بالتوحيد ، ويجعله فى الثمانية من النفر الذين آمنوا برسول الله ﷺ فى مكة من الأنصار ، ويجعل أبو الهيثم أيضًا فى الستة نفر الذين يروى أنهم أول من لقى رسول الله ﷺ من الأنصار بمكة ، اسلموا قبل قومهم وأفشوا الإسلام[4] .

---

(١) السيرة النبوية جـ٢ ص٤٣ ، صالح العلى : الدولة فى عهد الرسول ص٦٠ .

(٢) ابن هشام : جـ٢ ص٣٤ ، البلاذرى : أنساب الأشراف جـ١ ص٢٣٨ .

(٣) ابن هشام : جـ٢ ص٣٩ فى رواية أنهم ثمانية ويضيف عبادة بن الصامت وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة سعد .

(٤) ويقول الواقدى أن أول من أسلم من الستة هما أبو الهيثم بن اليتهان وأسعد بن زرارة : ابن سعد : جـ٣ ص٢٥ ويذكر ابن حزم أن أول من أسلم أبو رافع عبيد بن زيد عامر العجلان (الأنساب ص٣٩٩) .

وكان هؤلاء الستة قد جاءوا للحج ولم يسلموا المصالح شخصية أو لغرض سياسى ، كما لم يوجه الرسول ﷺ إلى المدينة مسلمى قريش . غير أن اتصالهم بالرسول وإن كان لفترة قصيرة يعنى إدراكهم مبادىء الإسلام الأساسية دون تفاصيلها .

ويذكر ابن إسحق أنه عندما عاد الستة إلى المدينة « فقدموا إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله ﷺ ودعوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم ، فلم يبق دار من دور الأنصار إلا فيها ذكر من رسول الله »[1] .

لقيت دعوة هؤلاء الستة فى المدينة الاستجابة فى عشائر متعددة ، ولم تنحصر فى عشيرة معينة أو جماعة محددة ، ولا بد أن الأراء التى عرضوها كانت مقنعة للناس إذا لم يرد ذكر معارضة لها . ولا توجد إشارة إلى إنهم أرادوا من تحقيقها أهدافًا أو طموحات سياسية ، فالاستجابة كانت على أسس فكرية ورحية ، ولعل التفكك السياسى فى المدينة وعدم وجود مركز دينى فيها وضعف اتصالاتها الخارجية كان له أثر هذه في الاستجابة التى يرجع نجاحها إلى الظروف الداخلية فى المدينة ، علمًا بأن المصادر لم تذكر اتصالهم بالرسول بعد عودتهم ، أى أن نجاحهم قام على جهودهم الشخصية واجتهاداتهم الموفقة[2] .

بيعة العقبة الأولى :

وفى السنة التالية قدم مكة إثنا عشر ممن قبل دعوة الإسلام منهم الستة الأولون وأضيف إليهم ذكران بن عبد القيس (بنى زريق) وعويم بن ساعدة (الأوس) وأبو عبد الرحمن وعبادة بن الصامت ، وأبو الهيثم بن التيهان (من

---

(١) ابن هشام : جـ١ ، ص٢٦٨ ، ابن سعد : جـ١ ص١٤٧ .

(٢) صالح أحمد العلى : الدولة فى عهد الرسول المجلد الأول ص٦٢ مطبعة المجمع العلمى العراقى ١٩٨٨م .

بلى) والعباس بن عبادة ، ومنهم اثنان من الأوس أحدهما حليف([1]) ، فأسلموا وبايعوا على بيعة النساء « على أن لا نشرك با لله شيئًا ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ولا نأتى ببهتان نقترفه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه فى معروف»([2]).

طلب المبايعون فى العقبة عند عودتهم إلى المدينة من الرسول ﷺ أن يرسل معهم رجلاً يفقههم فى الدين ، فأختار الرسول ﷺ مصعب بن عمير([3]) وهو من بنى عبد الدار([4]) ، ومن أبرز من أسلم على يد مصعب بن عمير سعد بن معاذوأسيد بن حضير وكان أبوه زعيم الأوس فى معركة بعاث .

بيعة العقبة الثانية :

وفى العام التالى قدم مكة من أهل يثرب ثلاث وسبعون رجلاً وامرأتان للاتصال بالنبى ﷺ ومبايعته ، وكانوا من عشائر متعددة ، وفيهم أحد عشر رجلاً ينتمون إلى ثلاث عشائر أوسية ، أما الستون منهم من مختلف عشائر الخزرج وقد بايعوه على نصرته وحمايته والدفاع عن الدعوة الإسلامية وسميت هذه البيعة بيعة العقبة الثانية([5]) .

سمعت قريش ببيعة العقبة بعد تمام عقدها ، فلم تتخذ تدابير قوية لوقفها أو خطوات حاسمة لإبطالها واكتفت على ما يذكر ابن إسحق بالقول : « يا معشر

---

(١) ابن هشام جـ٢ ص٤٠ ، ابن سعد جـ١ ص١٤٨ .

(٢) ابن هشام جـ٢ ص٤٠ ، ابن سعد جـ١ ص١٤٨ .

(٣) ابن هشام جـ١ - ٢ ص٤٣١ - ٤٣٥ .

(٤) وهو ابن عم عبد الله والد الرسول ﷺ وكان فى شبابه لباسًا معطارًا وأسلم عندما كان الرسول يدعو سرًا فى دار الأرقم ثم هاجر إلى الحبشة وعاد منها فأرسله حيث بقى سنة ثم عاد إلى مكة وهاجر مع الرسول ثم قتل فى معركة أحد .

ابن سعد : الطبقات جـ٣ ص٨١ - ص٨٦ .

(٥) الطبرى : الأمم والملوك جـ٣ ص٩٠ .

الخزرج أنه قد بلغنا إنكم قد جئتم إلى صاحبنا هـذا تستخرجونه مـن بـين أظهرنـا وتبايعونه على حربنا ، وأنه وا لله ما من حى من العرب أبغض إلينا مـن أن تنشـب الحرب بيننا وبينهم منكم » . ويبدو من هذا الكلام أن مشركى مكة لم يتحمسـوا لمنعها أو إبطالها و لم يقدروا كل أبعاد آثارها ، فلم يروا فيها إلا إنها قـد تـؤدى إلى نشوب الحرب بينهم وبين أهل المدينة وهو مالا يريدونه([1]) .

تعبر بيعة العقبة عن مدى سعة أثر الإسلام فى المدينة فى هذه المرحلة المبكرة فقد كان عدد المشاركين فيها كبيرًا ، ولا بد أنهم كانوا يمثلون عددًا أكبر ، فإذا تذكرنا أن عدد المهاجرين من مكة كان حوالى ثمانين أدركنا مدى النجـاح الكبـير الذى أحرزته الدعوة الإسلامية فى يـثرب فـى هـذه المرحلـة المبكـرة ؛ علمـًا بـأن معظم من أسلم فى المدينة لم يكن قد اتصل بالرسول شخصيـًا .

ويروى « أن الرسول ﷺ قال : تبايعونى على السمع والطاعـة فـى النشـاط والكسل ، والنفقة فى العسر واليسر ، وعلى الأمـر بـالمعروف والنهـى عـن المنكـر وأن نقول الحق أينما كنـا ولا نخـاف فـى ا لله لومـة لائـم وعلـى أن تنصرونـى إذا قدمت عليكم وتمنعونى مما تمنعون به أنفسكهم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنـة . فقمنا نبايعه »([2]) .

ويروى البلاذرى أن عبـادة بـن الصـامت قـال : « بايعنـا رسـول ا لله علـى السمع والطاعة فى العسر واليسر والمكره والمنشـط وأن لا ننـازع الأمـر أهلـه وأن نقول بالحق حيث كان ولا نخاف فى ا لله لومة لائم »([3]) .

---

(١) صالح أحمد العلى : الدولة فى عهد الرسول ص٦٨ .

(٢) ابن هشام حـ٢ ص٦٣ .

ابن حنبل : المسند حـ٣ ص٣٢٢ ، ٣٣٩ .

(٣) أنساب الأشراف حـ١ ص٢٥٣ .

ويروى موسى بن عقبة أن الزبير سأل جابر بن عبد الله « كيف بايعتم رسول الله ﷺ أعلى الموت قال لا ولكن بايعناه على أن لا نفر »(١) وفي رواية عن عامر الشعبى عن أبى أمامة أن الرسول ﷺ قال : أسألكم لربى عز وجل أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا وأسألكم لنفسى ولأصحابى أن تأمرونا وتنصرونا وتمنعونا مما منعتم منه أنفسكم قالوا : فما لنا إذا فعلنا ذلك قال : لك الجنة قالوا : فلك ذلك »(٢) .

ومن الجدير بالذكر أنه لم يصلنا نص شامل للبيعة ، ولعل ذلك راجع أنها كانت شفهية وليست شروطًا مكتوبة أو اتفاقية مدونة ، غير أنه من المؤكد تأكيدها على الجانبين الحربى والسياسى . فأما الجانب الحربى فهو وعد أهل المدينة الرسول بأن ينصروه ويمنعوه مما منعوا فيه أنفسهم « وأن يثبتوا معه ولا يفروا حتى إذا أدى ذلك إلى حرب الأحمر والأسود » أى أنهم يحموا الرسول ﷺ ويدافعوا عنه إذ دهمه خطر(٣) .

اهتم المبايعون فى العقبة بأمر مصالحهم ، ونبهوا على وجوب تأمينها ، فيذكر ابن إسحاق أن أبا الهيثم بن التيهان قال : يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال حبالاً وإنا لقاطعوها - يعنى اليهود - فهل عسيت أن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا قال . فابتسم رسول الله ﷺ ثم قال : بل الدم بالدم والهدم بالهدم أنا منكم وأنتم منى أحارب بن حاربتم وأسالم من سالمتم »(٤).

---

(١) ابن حنل / جـ٣ ، ص٣٩٣ .

(٢) أنساب الأشراف جـ١ ص٢٥٢ .

ابن حنبل : المسند جـ٤ ص١١٩ .

(٣) صالح أحمد العلى : الدولة فى عهد الرسول ص٧٢ .

(٤) ابن هشام : جـ٢ ص٥٠ .

ابن حنبل : جـ٣ ص٦٤ .

كان الغرض من البيعة فى العقبة الأولى والثانية إيجاد قاعدة أمينة للإسلام توفر للمسلمين حرية العقيدة والعمل ، وتؤمن الحماية لمن يلجأ منهم إليها ، فهى توضح ما يمكن أن يظفر به المسلمون من ضمانات إذا قدموا المدينة . فأحكامها تشجع على الهجرة وإن كانت كلمة الهجرة لم ترد فى الاتفاقية بصورة صريحة .

وقبل نعرض لتفاصيل الهجرة إلى يثرب من المتسحسن أن نعرض للموقع الجغرافى للمدينة .

الموقع الجغرافى للمدينة المنورة :

تقع المدينة تقريبًا على الدرجتين ٤٠ طولاً شرقيًا و ٢٥ عرضيًا شماليًا وارتفاعها عن سطح البحر يصل إلى ٦٣٩مترًا(١) . وكانت المدينة إحدى مدن الحجاز الجديرة بالذكر(٢) ، وقد اعتبرها بعض الجغرافيين إحدى أقسام جزيرة العرب الرئيسية فقال : جزيرة العرب ومكة واليمامة واليمن(٣) .

يذكر المؤرخون المسلمون أن المدينة عرفت بيثرب نسبة إلى يثرب بن هذيل ابن أرم ، لما نزل أول مرة وقومه موضع المدينة بعد تفرق قوم عاد(٤) ، وقيل أن

---

(1) Crichton, A;History of Arabia. VOL. 1. p. 86.

أما تفصيلاتها فأنها تقع بالنسبة لخطوط الطول والعرض على الدرجة ٣٩ والدقيقة ٣٦ وثانية و٦١ من خطوط الطول وعلى الدرجة ٣٤ والدقيقة ٢٨ وخمس ثوان و٣٥٪ . (انظر : حافظ على : فصول من تاريخ المدينة ص١٣) وكان عمر كحالة قد ذكر أن المدينة تقع على الدرجة ٣٩ والدقيقة ٥٠ طولاً شرقيًا وعلى الدرجة ٢٤ والدقيقة ٣٢ عرضًا شماليًا (انظر جغرافية شبه جزيرة العرب ص١٧٤ مراجعة أحمد على الطبعة الثانية القاهرة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م).

(٢) فيليب حتى : تاريخ العرب جـ١ ص١٤٣ .

(٣) البكرى : معجم ما استعجم ص٥ .

(٤) العينى : عقد الجمان جـ١ ورقة ٣٢ (خطوط) .

يثرب نسبة إلى يثرب بن قانية بن مهلائيل بن أرم بن عبيل بن سام بن نوح وبه سميت يثرب([1]) . وهو من العماليق([2]) .

اشتهرت يثرب قديمًا بين العرب بحرارها وكثرة نخيلها([3]) ، ومناخها صحراوى متطرف ونزول الأمطار بها ليس له أوقات معينة أو أوقات متقاربة مما يجعلها عرضة لسنوات من الجفاف والقحط([4]) . . وأحيانًا تتعرض لسيول جارفة تكتسح ما يقابلها من مواشى وزروع وطرق .

وقد ساعد النشاط البركانى فى يثرب على حجز المياه الجوفية ، مما جعل فى الاستطاعة الوصول إليها فى أى بقعة عند حفر الآبار العميقة([5]) . وكان لتضافر تلك العوامل الطبيعية مثل توافر المياه بجميع مصادرها بالإضافة إلى خصوبة التربة البركانية أن أصبحت يثرب فى المقام الأول مدينة زراعية .

وجاء اسم المدينة من التمدن وهو التوطن وزنًا ومعنى وأصله اسم لكل بلد كبير ثم صار علمًا بالغلبة عند الإطلاق على المدينة المنورة ويقال أنها كانت معروفة بهذا الاسم قديمًا قبل الإسلام وأن اللفظ قد جاء من كلمة مدينتا([6]) Medinta أو مدينتو Medinto الأرمية التى تعنى مدينة فى اللغة العربية([7]) .

---

(١) السمهودى : وفاء الوفاء بأخبار دا المصطفى جـ١ المطفى جأ١ ص١٥٦ تحقيق/ محى الدين عبد الحميد القاهرة ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م .

(٢) البلاذرى : أنساب الأشراف جـ١ ص٦-٧ تحقيق/ محمد حميد الله مطبعة دار المعارف بمصر ١٩٥٩ م ، ابن عبد البر : القصد والأمم فى التعريف بأصول أنساب العرب والعجم ص١٤ النجف الأشرف ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م .

(٣) العينى : عقد الجمان جـ١ ورقة ٣٢ ؛ حتى : تاريخ العرب جـ١ ص١٤٦ .

(٤) صحيح مسلم : جـ٢ ص٣١٤ - ٦١٥

(5) Brita: Ency. Vol, 15. p. 206 .

(٦) العجيمى : تاريخ مكة والمدينة ورقة ٣٥ وقد ذكر أن للمدينة أسماء تقارب المئة (انظر ابن الحاج : رفع الخفاء على ذات الشفاء . مخطوط بمكتبة المتحف العراقى) .

(٧) جواد على : المفصل جـ٤ ص١٣٠ .

وذكر أن اسم يثرب أطلق على المدينة منذ زمن قديم ويقال أنه وجد مكتوبًا على حجر بوادى العقيق ضمن نص أورده ابن زبالة جاء فيه : « أنا عبد الله ورسوله سليمان بن داود إلى أهل يثرب »(١) .

ومن الباحثين المحدثين من يرى أن أقدم مورد أشير فيه إلى يثرب هو نص الملك نبونيد Nabonid (٥٦٦ - ٥٣٩ ق . م) الذى ذكر فيه أنه بلغ هذه المدينة(٢) ، كما ذكرها بطليموس (Ptolemy) فى جغرافيته وكذلك استيفانوس البيزنطى Stephanus Byzantins باسم يثربا La Thrippa(٣) .

وكان الجزء الجنوبى من المدينة (يثرب) يعرف بالعالية وقباء وذلك يعنى أن اسم يثرب لم يكن يطلق على جميع أجزاء المدينة فى الغالب . وقد لاحظ ذلك معظم مؤرخى المدينة فذكروا أن يثرب اسم ناحية من مدينة الرسول(٤) ، وإنما غلب الاسم على كل المدينة - فى بعض الأحيان - من باب إطلاق البعض على الكل(٥) .

وكانت ناحية يثرب قبل نزول الأوس والخزرج تعد أم قرى المدينة وبها كان معظم اليهود النازلين فيها على العماليق(٦) . ويذكر المطرى أن ناحية يثرب

---

(١) السمهورى : وفاء الوفاء ص١٥٨ - ١٥٩ ، ابن النجار : الدرة ص٣٠ .

(٢) جواد على : المفصل جـ١ ص٦١٠ - ٦١٥ ، جـ٤ ص١٣٠ .

(3) Brita: Ency. Vol. 15. p. 206.

(٤) المطرى : التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة ص١٩ تحقيق/ محمد بن عبد المحسن الخيال . منشورات أسعد درابزونى بالمدينة المنورة ١٣٧٢هـ .
المراغى : تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة ص٢٢ تحقيق/ محمد عبد الجواد الأصمعى الطبعة الأولى القاهرة ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م .

(٥) السمهودى : وفاء الوفاء جـ١ ص١٠ .

(٦) المطرى : التعريف ص١٩ .

كانت معروفة بهذا الاسم إلى أيامه ، وفيها نخيل كثير ملك لأهل المدينة وأوقاف الفقراء وغيرهم[١] ، ويحدد موضعها على أنه « غربى مشهد أبى عمارة حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ وشرقى الموضع المعرف بالبركة مصرف عين الأزرق ، ينزلها الراكب الشامى فى وروده وفى صدوره وتسميها الحجاج عيون حمزة[٢] » .

ومما قيل أيضًا فى تحديد موضع يثرب ما بين طرف قناة إلى طرف الجرف وما بين المال الذى يقال له البرنى إلى زبالة[٣] . وهذا التحديد لا يتعارض ما سبق

---

(١) المطرى : نفسه .

(٢) المطرى : ص١٩ ، المراغى : تحقيق النصرة ص١٩ .
مشهد حمزة فى الركن الشمالى الشرقى من جبل عينين جنوبى جبل أحد وهو على مسافة أربعة ونصف كيلو مترات فى الخط الممتد من مسجد الغمامة وسط المدينة (انظر العياشى: إبراهيم بن على : المدينة بين الماضى والحاضر ص٥٣١ - ٥٣٢ منشورات المكتبة العلمية دمشق ١٣٩٢ وعين الأزرق : تسميها العامة العين الزرقاء وهى عين أجراها مروان بن الحكم لما كان واليًا لمعاوية على المدينة . وكان أزرق العينين أضيف إليه العين التى أجراها بأمر معاوية وأصلها بئر معروفة بقباء غربى مسجد قباء وهى عذبة الماء وغزيرته ، أما البركة فهى بئر رومة شمال غربى المدينة آخر العقيق - تصلها قناة يجرى فيها الماء من عين الأزرق انظر العباسى : أحمد بن عبد الحميد (توفى فى القرن العاشر الهجرى) كتاب: عمدة الأخبار فى مدينة المختار ص٣٧٩ ، الأنصارى، عبد القدوس : آثار المدينة المنورة ص٢٦٢ وما بعدها بيروت ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .

(٣) السمهودى : وفا الوفاء جـ١ ص٨ - ٩ .
الجرف : بالضم ثم السكون . موضع على ثلاثة أميال من المدينة من جهة الشمال الغربى . انظر : العباسى : عمدة الأخبار ص٢٨٨ .
البرنى : ويقال البرناوى (انظر ابن النجار : الدرة ص٨) والبرنى لفظ يطلق على نوع من التمر كان مشهورًا بالمدينة وحقيقة المال المعروف بالبرنى أو البرناوى مجهولة الآن وربما أنه بعض بساتين العيون فى الشمال الغربى للمدينة . أما زبالة فهى شمال جبل سلع إلى قرب وادى قناة (انظر الأنصارى: عبد القدوس: آثار المدينة ص١٧٧، العياشى : ص٢٤ - ٢٥)

ذكره من أن يثرب تقع فـي تلـك الجهـات الممتـدة غربـي مشـهد حمـزة إلى مجمـع الأسيال برومة([1]) .

ومن الجدير بالذكر أن الرسول ﷺ حينما هم بالتحول من قبـاء إلى موضـع مسجده قال : أمرت بقرية تأكل القرى يقولون يثرب وهى المدينة([2]) وذلك يعنـى أن موضع مسجد الرسول ﷺ اليوم وما حوله كان يعرف أيضًا باسم يـثرب([3]) ، وبالإضافة إلى ذلك فقد ذكر بعض مؤرخى المدينة أنه كان بيثرب عدد من الصاغة اليهود([4]) . وقد غاير بعضهم بين يثرب هنا وبين زهرة([5]) . واعتـبروا أن الصاغـة إنما كانوا بزهرة وكانت أعظم قرى المدينة([6]) .

---

(١) المطـرى : التعريـف ص١٩ ، العباسـى : عمـدة الأخبـــار ص٢٨٨ ، ٣٣٢ ، ٣٩٩ ، العياشـى : ص٢٤ .

(٢) المطرى : التعريف ص١٩ .

(٣) يذكر ابن الحاج : رفع الخفـاء على ذات الشـفاء ورقـة ٦٨ (مخطـوط) أن الرسـول ﷺ حيناسار من قباء ركب ناقته وجاء يثرب أى المدينة .

(٤) قيل أنهم ثلاثمائة صائغ (انظر : المطرى: التعريف ص١٩ - ٢٠ وهو عـدد كبير يصعب تصديقه ، على الرغم من اشتهار معظم اليهود بصياغة الذهب إلا أنه - فما يبدو - وعلى فرض صحة تلك الرواية فإن تلك الناحية من المدينة كـانت ولا بـد مركـزًا خاصـًا لمعـامل الصاغة ومكانًا لمتاجرهم فى المدينة .

(٥) السمهودى : وفاء الوفاء جـ١ ص٩ .
ابن النجار : الدرة ص٨ .
زهرة : بالضم ثم السكون : موضع بالمدينة بين الحرة الشرقية والسافلة .
(انظر العباسى : عمدة الأخبار ص٣٣٤١) .

(٦) السمهوى : نفس المصدر جـ١ ص٨ - ٩
العباسى : عمدة الأخبار ص٣٣١
المراغى : تحقيق النصرة ص٢٣ .

ويمكننا التوفيق بين الروايات السابقة إذا اعتبرنـا أن المـراد بيثرب هـو جميع سافله المدينة بما فى ذلك زهرة ، بالإضافة إلى منطقة المسجد النبوى المحيطة بـه مع عدم استبعاد أن التسمية إنما كانت تطلق أصلاً على الجهة الشمالية العربية للمدينة، وثم عرفت به كل سافل الجهـات الشـرقية ليثرب وذلـك مـن بـاب إطـلاق اسـم البعض على الكل .

أهمية موقع المدينة (يثرب) الاقتصادى :

حرص معظم مؤرخى المدينة على الإشارة إلى قدم العمـران وسـكنى النـاس بها[1] ، كما أجمعوا فى كتاباتهم على أن الصراع والتنافس بـين سـكانها العـرب وبين جيرانهم اليهود كان قديمًا واستمر إلى ما قبل الإسلام[2] .

وقد كانت يثرب إضافة إلى أنها واحة خصيبـة التربـة ومـن أمهـات المراكـز الزراعية فهى تقع على طريق القوافل التجارية التى تحمل مختلف السـلع بـين اليمـن

---

(١) السمهودى : وفاء الوفاء حـ١ ص١٥٩ .

العدوى : أبو البقاء محمد بها ، الدين بن ضياء المكى الحنفـى القـرش العمـرى (كـان حيًا حتى نهاية النصف الأول للقـرن الثـانى عشـر الهجـرى) : أحـوال مكـة المشـرقة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف وغير ذلك حـ٢ ورقـة ١١١ مخطـوط بدار الكتب المصرية فى مجلدين والمخطوط فى مجلدين . أفراد المجلـد الأول وجـزء مـن الثانى للحديث عن أحوال مكة وباقى الجزء الثانى مختص بالحديث عن أحـوال المدينـة وتاريخ النسخ سنة ١١٣٠هـ .

محمد لبيب البتنونى : الرحلة الحجازية ص٢٥٢ الطبعة الثامنة القاهرة ١٣٢٩هـ .

(٢) السمهودى : وفاء الوفاء حـ١ص١٥٩، العدوى : نفسه حـ٢ ورقة١١١.

ابن النجار : الدرة ص٩

والشام[١] . وذلك الواقع جعل من يثرب مطمعًا للقوى المتنافسة حينذاك . وهو ما كان يحرك روح العداء ويثير الحروب ، سواء بين العرب من جهة أو بين الأوس والخزرج أنفسهم . ونتيجة لتلك الأهمية السياسية . فقد تمتعت المدينة قبيل الإسلام بمركز اقتصادى مرموق فى مجالات التجارة والصناعة . فأصحبت بذلك محطة تجارية هامة للتجار العائدين إلى الشام والشرق من الحجاز واليمن[٢] .

ولم يقتصر الأمر فى المدينة على ازدهارها التجارى الخارجى ، بل إن التجارة الداخلية فيها كانت نشطة ومزدهرة ، ودل على ذلك ما ذكر من كثرة أسواقها ومتاجرها[٣] وكان التعامل فيها كبيرًا بين أهلها وبين من يفد عليهم من جيرانهم[٤] .

ولقد كان من أبرز سمات النشاط التجارى الخارجى للمدينة ما ذكر من أن التجار من الشام وغيرهم كانوا يقدمون إلى المدينة لتصريف تجارتهم[٥] ، كما

---

(١) ابن إسحاق : السيرة جـ٣ ص٧٨٨ ، اليعقوبى : البلدان ص٦٨ وما بعدها ، والنجف الأشرف ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م .
راجع ذلك بالتفصيل : عبد الله عبد العزيز بن إدريس : مجتمع المدينة فى عهد الرسول ص٢٥ وما بعدها .

(٢) ابن إسحاق: السيرة جـ٢ ص٣٠٠، البلاذرى: فتوح البلدان جـ١ ص٤١ - ٤٢ وما بعدها .

(٣) السمهودى : وفاء الوفاء جـ٢ ص٧٤٧ وما بعدها

(٤) انظر أحمد إبراهيم الشريف : مكة والمدينة فى الجاهلية وعهد الرسول ص٣٦٥ القاهرة ١٩٦٥م .

(٥) ابن حجر : شهاب الدين وبو الفضل أحمد بن على بن محمد بن محمد . بن أحمد الكنانى الفسقلانى المصرى ثم القاهرة الشافعى (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٩م) : الإصابة فى تمييز الصحابة الطبعة الأولى جـ٤ ص٤٤ - ٤٥ ، ص١٠٧ مطبعة السعادة القاهرة ١٣٩٨هـ .

كان تجار المدينة يحملون بضائعهم إلى الشام بواسطة القوافل ويستوردن منها الأقمشة المختلفة(١) .

الهجرة إلى يثرب :

لما علمت قريش بنبأ تحالف الرسول ﷺ مع عرب يثرب في بيعة العقبة الثانية ، اضطربت اضطربًا شديدًا ، واشتد أذاها على المسلمين ، واجتمع رجالها في دار الندوة للتشاور في هذا الأمر الخطير ، فأشار بعضهم بحبسه وبعضهم بقتله ، وانتهى بهم الرأى إلى أن يؤخذ من كل قبيلة فتى جلدًا ، وأن يعطى كل واحد منهم سيفًا صارمًا فيضربونه ضربة رجل واحد ، وبذلك يتفرق دمه في القبائل ، فلا يستطيع بنو عبد مناف أن يحاربوا العرب جميعًا(٢) ، فأذن الرسول لأتباعه بمكة في الهجرة إلى يثرب ، فتجهزوا إليها في ستر وخفاء ، وصاروا يتعاونون بالمال ، وكان كل مهاجر من قريش وحلفائهم يستودع دوره وماله رجلاً من قومه ، وخرج المسلمون جماعة بعد جماعة حتى لم يبق بمكة إلا رسول الله ﷺ وأبو بكر الصديق وعلى بن أبي طالب ومن احتبسه المشركون كرهًا(٣) .

ولما بلغ قريش تأهب الرسول للهجرة إلى يثرب ، استقر الرأى على قتله فاعلمه الله بذلك . وخرج من داره ليلاً بعد أن أمر على بن أبى طالب أن ينام

---

(١) الديار بكرى : (حسين بن محمد بن الحسن (ت ٩٦٦هـ/١٥٥٩م) : تاريخ الخميس في أحوال انفس نفيس جـ٢ ص١٢ (جزآن في مجلد) طبعة مؤسسة شعبان بيروت عن الطبعة القديمة بالمطبعة الوهبية القاهرة ١٢٨٣ هـ) .

(٢) ابن هشام : جـ٣ - ٤ ص٩٢ - ٩٥ .

بدر عبد الرحمن محمد : حكومة الرسول في المدينة ص٦٠ .

(٣) ابن سعد : الطبقات جـ١ ص٣١١ - ٣١٦ .

المقريزى : إمتاع الأسماع جـ١ ص ٣٧ - ٣٨ .

على فراشه ، واصطحب أبو بكر معه فى هجرته مترسمًا طريق يثرب[١] . إلى الشمال حيث اختفيا فى غار ثور .

جدت قريش فى البحث عن الرسول ﷺ ومن معه من المهاجرين ، وانتدب من تتبع أثره حتى وصل بعضهم إلى الغار وأوجس أبو بكر خيفة أن ينظر أحد هؤلاء المتتبعين تحت أقدامهم فيروهم ، فكان الرسول يهدىء من روعه ونزلت الآية : ﴿ إِلا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾[٢] .

بناء المسجد النبوى (مركز الحكم والإدارة الإسلامية) :

وبهجرة النبى ﷺ إلى يثرب التى أصبحت بعد الهجرة تعرف بمدينة رسول الله ﷺ أو المدينة المنورة[٣] . بدأت مرحلة جديدة فى تاريخ الدعوة الإسلامية .

وصل الرسول ﷺ وصاحبه الصديق قباء[٤] ، لثمان خلت من ربيع الأول سنة ١هـ/ ٢٠ سبتمبر ٦٢٢م وبنى فى قباء مسجدها[٥] الذى وصفه الله عز وجل

---

(١) دعا الرسول ربه حين خرج من مكة قائلاً : اللهم إنك أخرجتنى من أحب أرضك إلى فانزلنى فى أحب أرضك إليك فأنزله المدينة فلما نزلها قال : اللهم اجعل لنا بها قرارًا ورزقًا واسعًا . ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ٧ ص٤٢٦ مطبعة السعادة .

(٢) سورة التوبة : الآية ٤٠ .

(٣) يذكر ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ٧ ص٤٢٥ للمدينة المنورة وعشرون اسمًا منها المدينة ويثرب وطيبة وطابة والمسكينة والعذراء وطابا والمحببة والناحية والمجبورة .

(٤) تعد قرية قباء من أهم قرى العالية على ميلين من المدينة ومتصلة بها . ياقوت الحموى : جـ٥ ص٨٢ ويقول المطرى : التعريف ص٥٠ أنها كانت على ثلاثة أميال عن المدينة وبقباء كانت منازل الأوس والخزرج قبل الإسلام . اليعقوبى : البلدان ص٧٣ .

(٥) جعل الرسول لمسجد قباء فضلاً حيث ذكر عنه قوله : من توضأ فى بيته وصلى فى قباء كان له كأجر عمرة .

بأنه (مسجد أسس على التقوى) . وبعد أربعة أيام توجه الرسول إلى المدينــة فـى ضيافة أبى أيوب خالد بن زيد الأنصارى حيث بنى مسجده ومسكنه .

ويعتبر بناء المسجد النبوى من أول دعـائم الدولـة العربيـة الإسـلامية ، ففيـه مصلى الرسول ﷺ وعامة المسلمين ، كما تتم فى هذا المسجد مناقشة الأمور التـى تخصهم وفيه تعقد المعاهدات ، ويتم تشكيل الألوية للحـرب ، والتشـاور لمواجهـة عداء قريش ، ومحاولة إجبارها على الأنصيــاع لسـيادة الدولـة الناشئة وحاضرتهـا المدينة المنورة[١] .

كان للمسجد النبوى إلى جانب وظائفه الدينية وظائف اجتماعية فهو لـذى الحاجة والعلة والليلـة المطـيرة والليلـة الشـاتية[٢] . وقـد شـرع الرسـول ﷺ حـال قدومه المدينة فى بناء المسجد الجامع[٣] وحرص على أن يكون موقعه وسـط حـرم المدينة[٤] . ما بين جبـل عـير ثـور مـن الجنـوب إلى الشـمال ومـا بـين لابتيهـا أى

---

(١) يشير إلى ذلك سير توماس أرنولد فى كتابه The Ca;iphaate .pp. 36 38 فيقول : لم يكن المسجد مكانًا للعبادة وحدها ، بل كان أيضًا مركز الحيـاة السياسـية والاجتماعيـة فكـان النبى يستقبل فى المسجد السفراء ، ويدير شئون الدولة ويخطب جماعـة المسـلمين مـن علـى المنبر فى الأمور السياسية والدينية .

(٢) الطبرى : جامع البيان جـ١١ ص٢٢ - ٢٣ القاهرة ١٣٧٣هـ/١٩٥٤ م الطبعة الثانية

(٣) ابن إسحاق : السيرة جـ٢ ص٣٤٣ - ٣٤٥

ابن فضل الله العمرى : مسالك الأبصار جـ١ ص١٢٣

الكلاعى : أبو الربيع سليمان بن موسى الأندلسى (ت ٦٣٤هـ/١٢٣٨م) : الاكتفاء فـى مغازى رسول الله والثلاثة الخلفاء جـ١ ص٤٦١ تحقيق / مصطفى عبد الواحد (جـزءان) القاهرة ١٣٨٧هـ/١٩٦٨ .

(٤) الديار بكرى : تاريخ الخميس جـ١ ص٣٤١ .

حرتيها الشرقية والغربية[١] . وقد يسر توسط المسجد على المسلمين مهمة الاتصال بالرسول والالتقاء به في كل الأوقات . فقد ذكر عن أنس أنه قال : كنا نصلي العصر ثم يذهب الذاهب إلى قباء فيأتيهم والشمس مرتفعة[٢] ، وقيل أن الرسول ﷺ كان يأتي قباء راكبًا وماشيًا[٣] ، كما أن بني سلمة وكانوا في الطرف الشمالي الغربي للمدينة يحرصون على أداء الصلاة جماعة في المسجد النبوي[٤] .

وقد رأى الرسول ﷺ ألا يكون لأحد من القبائل فضل التفرد ببناء المسجد أو تملك أرضه[٥] ولذلك طلب من بني النجار أن يثامنوه بحائطهم لبناء المسجد عليه ، و لم يقبل عرضهم في أن يعطوه الحائط بدون ثمن فابتاعه بعشرة دنانير[٦] .

---

(١) كبريت : محمد كبريت بن عبد الله الحسيني المدني الموسوي (ت ١٠٧٠هـ/١٦٦٠م) : الجواهر الثمينة في محاسن المدينة ورقة ٨ (مخطوط بمكتبة الأوقات العامة ببغداد برقم ١٧٧ تاريخ.

(٢) مالك بن أنس : الإمام (ت ١٧٩هـ/٧٩٥م) : الموطأ جـ١ ص٩ صححه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي القاهرة ١٣٧٠هـ/١٩٥١م .

(٣) نفس المصدر جـ١ ص١٦٧ .

(٤) السمهودي : وفا الوفاء جـ١ ص٢٠٣ .

(٥) كانت أرض المسجد مربدًا لسهل وسهيل . غلامين يتيمين من الأنصار وكانا في حجر أبي أمامة أسعد بن زرارة فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدًا ، فقالا بل نهبه لك يا رسول الله فأبى رسول الله حتى ابتاعه منهما بعشرة دنانير .

ابن سعد : جـ١ ص٣ .

السمهودي : جـ١ ص٢٣٢ - ٢٣٥ .

أحمد فكري : مساجد القاهرة ومدارسها ص١٦٩ دار المعارف بمصر .

(٦) البلاذري : فتوح البلدان جـ١ ص٥ . =

وحرص الرسول ﷺ أن يعمل جميع الصحابة فى بناءه([1]) ، ووزعهم جماعات ووحدانا فى العمل لحمل الماء من الآبار القريبة ولعجن الطين وضرب اللبن([2]) . ومنهم من كان ينقل الصخور ويحمل اللبن([3]) وقد شارك الرسول الصحابة فى نقل اللبن احتسابًا وترغيبًا فى الخير ليعمل الناس كلهم ولا يرغب أحد بنفسه عن رسول الله ﷺ([4]) .

وعرف المسجد النبوى على عهد النبى باسم مسجد المدينة([5]) . مما يؤكد الغرض من بنائه([6]) وهو أن يكون مسجدًا جامعًا للمسلمين فى المدينة . وكانت القبائل تحرص على أن تؤدى الصلاة فيه حتى ولو كانت منازلهم بعيدة بعض الشىء عنه مثل بنى سلمة الذين فكروا فى بيع بيوتهم والنزول قرب المسجد لولا

= العصامى : عبد الملك بن حسين بن عبد الملك الملكى (ت ١١١١هـ/١٦٦٩م) سمط النجوم العوالى فى أنباء الأوائل والتوالى حـ١ ص٣١٢ المطبعة السلفية القاهرة ١٣٧٩هـ وقيل عوضهم رسول الله عنه بنخيل فى بنى بياضة . الذهبى : تاريخ الإسلام حـ١ ص٢٠٢ القاهرة ١٣٦٧هـ .

(١) ابن كثير : البداية والنهاية مجلد ، حـ٢ ص٢١٧ ، مجهول : فى سيرة الرسول وغزواته ورقة ٥ (مخطوط بمكتبة الأوقاف العامة ببغداد برقم ١٣٦٧/٣٥٨) .

(٢) مجهول : نفس امكان .

(٣) ابن كثير : نفس المكان ، مجهول : المصدر السابق ورقة ٥٨ .

(٤) مجهول : نفس المصدر والصفحة .

(٥) ابن حجر : الإصابة حـ١ ص٥٦٠ ، حـ٣ ص٤٣٠ .
مجهول : المصدر السابق ورقة ٤ .

(٦) أشار ابن سعدوا البلاذرى إلى فترة إنشاء المسجد النبوى بسبعة أشهر وقد أقام الرسول ﷺ أثناء فترة الإنشاء فى منزل أبى أيوب الأنصارى .
السمهودى : حـ١ ص٢٦٤ - ٢٦٥ ، صالح لمعى مصطفى : المدينة المنورة ص٥٥ .

أن الرسول أمرهم أن يلزموها[1] . وفى هذا يذكر أن رجلاً من الأنصار كان بيته فى أقصى المدينة ومع ذلك لم يكن تخطئه الصلاة مع رسول الله فى المسجد النبوى[2] .

لم يكن المسجد النبوى عند تأسيسه كبيرًا إذ كان طوله سبعين ذراعـًا فى عرض ستين أو يزيد قليلاً[3] ، ثم زيد عليه لما ضاق على أهله مبلغ أقل من مائة فى مائة[4] وقد وصفه العجيمى بقوله : « فكان فى ابتداءه غير مربع ، وكان مقداره فيما بين جهتى الجنوب وهى القبلة[5] والشمال وهى الشامية المقابلة لها ، سبعين ذراعـًا من الجانبين ، ومقدارها فيما بين المشرق وهى التى فيها الحرة الشرقية والمغرب ، المقابلة لها ستين ذراعـًا من الجانبين ، ثم زاد فيه ﷺ فى جهاته كلها وجعله مربعـًا كل جهة مائة ذراع . وكان جداره من جهة المشرق داخلاً لجهة القبر الشريف . وكانت سواريه من جذوع النخل ، وسقفه من جريد النخل

---

(١) مسلم : الصحيح حـ٤١ ص٤٦١ - ٤٦٢ ، السمهودى : وفاء الوفاء حـ١ ص٢٠٣

(٢) مسلم : نفسه ص٤٦١ .

(٣) العدوى : أحوال مكة والمدينة حـ٢ ورقة ١٣٥ (مخطوط) .
ابن فضل الله العمرى : مسالك الأبصار حـ١ ص١٢٤ .
السخاوى : التحفة اللطيفة فى تاريخ المدينة الشريفة حـ١ ص٣١ القاهرة١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م .

(٤) السخاوى : نفسه ، مجهول : فى سيرة الرسول ورقة ٦ (مخطوط) .

(٥) جعلت قبلة المسجد إلى بيت المقدس .
ابن سعد : حـ١ ص٢ ، السمهودى : حـ١ ص٢٣٢ - ٢٣٥ .
أحمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها ص١٦٩ .

مع قليل من الطين بحيث لا يمنع ماء المطر من رأس المصلى بحيث لو رفع يده لمسه ، وكان له درجة فى وسطه ، وكانت جدرانه مبنية بلبن مضروب من بقيع الغرقد قبل جعله مقبرة ، وكان جعل فى أساسه عند البناء الثانى نحو ثلاثة أذرع من الحجر ، وكان له ثلاثة أبواب إحداها شرقى فى محاذاة باب النساء الأن يقال له باب آل عثمان ، وثانيها غربى فى مقابل باب الرحمة ويقال له باب عاتكة وثالثها جنوبى فى الجهة القبلية أقرب إل الجهة الغربية ، ثم لما حولت القبلة سده وجعل بابا فى مقابلته من الجهة الشامية(١) وكان خلوا من الزخرف والنقوش(٢) ، وارتفاعه نحو سبعة أذرع أو خمسة(٣) .

لم يشتمل المسجد النبوى على مئذنة ولا محراب بجوف ، فقد كان بلال(٤) يصعد إلى سطح منزل لأسرة من بنى النجار لكونه أعلى منزل حول المسجد عن

---

(١) تاريخ مكة والمدينة ورقة ٣٧ – ٣٨ (مخطوط) وانظر أيضًا السخاوى : التحفة اللطيفة جـ١ ص٣١ .

(٢) السخاوى : نفسه ، مجهول : المصدر السابق ورقة ٦ (مخطوط) .

(٣) مجهول : نفسه . والذراع الهاشمى ٥٢ سم وهو المقياس الذى اتخذه السمهودى : جـ١ ص٢٣٣ – ٢٣٤ وقد رفض الرسول ﷺ أن يغطى السقف بالطين حتى ينتهوا من البناء ويتفرغوا للهدف الأساس وهو نشر الإسلام وحمايته من المتربصين به .

(٤) بلال بن رباح : ولد كعبد فى مكة تولى الآذان فى العام الأول من الهجرة ، صاحب الرسول فى كل غزواته ، عمل كمؤذن أيام أبى بكر سافر مع الجيوش إلى الشام توفى فى ١٧ أو ١٨ أو ٢٠ أو ٢١هـ/ ٦٣٨م دفن فى حلب ومن بعض الأقوال فى دمشق أو الدرعية

Encyclopaedia of Islam. I-IV. FF.p. 1215 .

طريق أقتاب[١] إلى دعامة مربعة فى دار عبد الله بن عمر فى جنوب المسجد[٢] ويرفع الآذان من فوقها[٣] .

وقد أفادت المصادر المختلفة بعمل منبر للرسول ﷺ من خشب الآثل (Tamarisk) يتكون من درجتين ومقعد وذلك عندما شق القيام عليه ، ويرجح أن يكون ذلك فى عام ٨ - ٩هـ/٦٢٩ - ٦٣٠م[٤] وكان عرض المنبر ذراعًا حوالى ٠,٥٠سم وطوله ذراعيه حوالى ١,٠٠ متر وارتفاعه ذراعين حوالى ١,٠٠ متر[٥] . وقد اختلف حول اسم الصانع[٦] ، فبعض المصادر ترجع الفكرة إلى تميم الدارى[٧] ، وآخرون يرون أن الصانع هو غلام العباس بن عبد المطلب[٨] وفى

---

(١) أقتاب : أكتاف صغيرة على قدر سنام البعير يوضع عليه .
، السمهودى : جـ٢ ص٥٣٠ بيروت ١٩٧١م .

(٢) السمهودى : جـ٢ ص٥٢٩ - ٥٣٠ .

(٣) صالح لمعى مصطفى المدينة المنورة تطورها العمرانى وتراثها المعمارى ص٥٩ دار النهضة العربية بيروت ١٩٨١م .

(٤) السمهوجى / جـ٢ ص٣٩٥ - ٣٩٨ .

(٥) نفسه : جـ٢ ص٤٠١ .

(٦) نفسه : جـ٢ ص٣٩٠ - ٣٩٨ .
أحمد العباسى : عمدة الأخبار ص١٣٢ - ١٣٣ .

(٧) تمم الدارى : تحول إلى الإسلام فى عام ٧هـ/٦٢٨م ، وإن كان يرجح أن ذلك كان فى عام ٩هـ/٦٣٠م بعد غزوة تبوك (٩هـ /٦٣٠م) وبعد مقتل عثمان ترك المدينة وعاد إلى وطنه بفلسطين حيث توفى حوالى عام ٤٠هـ/٦٦٠م .
Encyclopaedia of Islam. IV. p. 646 - 648 (Leyden 1934) .

(٨) العباس بن عبد المطلب : عم الرسول ﷺ ، تزوج الرسول أخت زوجته ميمونة فى عام ٧هـ/٦٢٩م ، أسلم ٨هـ/٦٣٠م والرسول فى طريقه إلى فتح مكة (رمضان ٨هـ/ كانون الثانى (يناير ٦٣٠) توفى عام ٣٢م عن عمر يناهز ٨٨ عامًا .
محمد حسين هيكل : حياة محمد ص٤١١ القاهرة ١٩٨٦م .

البعض الآخر أن الذى صنعه هو باقوم الرومى بانى الكعبة لقريش عام ٦٠٨م . أى قبل الهجرة بأربعة عشر عامًا(١) .

استعان الرسول ﷺ فى بناء المسجد النبوى بكثير من أهل الخبرة والمعرفة فى صنع البناء فى معظم الأقطار ، فاستعان برجل من حضر موت كان يحسن عجن الطين(٢) ، وبرجل من اليمامة يقال له « طلق »من بنى حنيفة قال : بنيت المسجد مع رسول الله ﷺ فكان يقول : قربوا اليمامى من الطين فإنه أحسنكم له مسكًا وأشدكم له منكبًا(٣) .

اتخذ الرسول ﷺ من المسجد النبوى مكانًا للعبادة وإدارة دفة الأمور وكان بمثابة دار للحكومة الإسلامية ، ففيه تعقد الاجتماعات العامة وتعقد مجالس الحرب واتخذ أيضًا ميدانًا للتدريب العسكرى على القتال ، كما كان يتخذ أيضًا دارًا للقضاء ولاستقبال الوفود ولمعالجة جرحى المسلمين وتعليم القرآن ، فهو مكان للصلاة والحكم والقضاء وشئون الجهاد(٤) .

وكانت أوامر الرسول ﷺ لوفود القبائل حين يرجعون إلى بلادهم مسلمين أن يهتموا ببناء مساجدهم ويولوها عظيم عنايتهم(٥) .

---

(١) صالح لمعى مصطفى : المدينة المنورة تطورها المعمرانى وتراثها المعمارى ص٥٩ .

(٢) مجهول : فى سيرة ورقة ٥ (مخطوط) .

(٣) نفس المصدر والصفحة .

(٤) ابن هشام / حـ١ ص٤٦٩ ، حـ٢ ص٥٦٠ ، ص٥٧٣ ، ص٥٨٥ .
ابن سعد : الطبقات حـ١ ص٢٣٩ - ٢٤١ .
الطبرى : الأمم والملوك حـ٢ ص٥٨٦ ، ٥٩٢ ، ابن تيمية : مجموع فتاويه حـ٣٥ ص٣٩
رجب محمد عبد الحليم: تاريخ عصر النبوة والخلافة الراشدة ص٧٦ دار النهضة العربية ١٩٨٧م.

(٥) ابن حجر : الإصابة حـ١ ص٦٠ ، حـ٢ ص٣٥٥ .
رجب عبد الحليم : نفس المرجع ص١٢٤ .

الصُفّة :

اهتم الرسول بأمر الفئة الفقيرة من الصحابة فبنى ظلة فـى مؤخـرة مسـجده فى جهة الشمال ، يأوى إليها المساكين . وكانت تعرف باسم الصفـة[١] ويعـرف من يأوى إليها بأهل الصفة[٢] أو أصحاب الصفة[٣] .

وكان بناء الصفة قد أنجز مع بناء المسجد النبوى فى قبلته ، لما كـانت هـذه القبلة فى شمالى المسجد ، لأنه ﷺ صلى ستة عشر شـهرًا أو سبعة عشر شـهرًا إلى بيت المقدس ، فلما حولت القبلة بقي حائط القبلة الأولى مكان أهل الصفة[٤] .

والغرض الرئيسى من بناء الصفة هـو إيـواء فقـراء الصحابـة وتـأمين معيشتهم[٥] ، خصوصًا وأن الحالة المعيشية كانت فى المدينة سيئة إلى ما بعد فتـح خيبر . وقد وصف أبو هريرة رضى الله عنه حال أهل الصفة وكان أحدهم بقوله: لقد رأيت سبعين من أهل الصفة ما منهم رجل عليه رداء إما إزار وأمـا كسـاء قـد

---

(١) السمهودى : وفاء الوفاء جـ٢ ص٤٥٣ .

والصفة : بضم الصاد وتشديد الفاء : واحده صفف الـدار ، وهى مكـان مظلـل أعد لنزول الغرباء فيه ممن لا مأوى ولا دار لهم (انظر : مجهول : فى سيرة الرسول ورقة ٧ مخطوط).

ياقوت : معجم البلدان جـ٣ ص٤١٤ .

المرجانى : تاريخ هجرى المختار ورقة ١٣٠ - ١٣١ (مخطوط) .

(٢) ابن سعد : الطبقات جـ١ ص٢٥٥ .

فريد شافعى : العمارة الإسلامية فى مصر الإسلامية فى عصر الولاة ص٦٥ المجلد الأول .

(٣) مجهول : فى سيرة الرسول ورقة ٧ (مخطوط) ، السمهودى : جـ٢ ص٤٥٤ .

وكان على رأسهم المحدث المعروف أبو هريرة،الذى اعتبر أكثر الرواة عن رسول الله ﷺ. انظر: عبد الحليم عويس : شخصية الرسول ﷺ ص٦٨ دراسات تاريخ الجزيرة العربية الكتاب الثالث.

(٤) ابن فضل اله العمرى : مسالك الأبصار جـ١ ص١٢٤

(٥) ابن النجار : الدرة الثمينة ص٧١ - ٧٢ .

ربطوا فى أعناقهم ، فمنها ما يبلغ الساقين ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته(١) ، كما وصفوا أيضًا بأنهم أهل الحاجة(٢) ، وكان أبو هريرة يقول : كنت من أهل الصفة فى حياة الرسول وإن كان ليغشى على فيما بين بيت عائشة وأم سلمة من الجوع(٣) .

ولما جاء الله بالغنى ، أصبح أهل الصفة مجموعة من أصحاب رسول الله لا منازل لهم ينامون فى المسجد ، ويظلون فيه ليس لهم مأوى غيره(٤) . وهم أيضًا أضياف الإسلام ، لا يأوون على أهل ولا مال ولا أحد(٥) . وذكر فى هذا المجال أنه لما كثر المجاهدون بالمدينة و لم يكن لهم دار ولا مأوى أنزلهم رسول الله المسجد(٦) وكان من قدم المدينة فكان له بها عريف ، نزل على عريفه ، ومن لم يكن له عريف نزل الصفة(٧) .

---

(١) ابن النجار : نفسه .

المرجانى : تاريخ هجرة المختار ورقة ١٣٠ (مخطوط) وأبو هريرة صحابى جليل ، وكان احفظ الصحابة لأخبار رسول الله وهو من قبيلة دوس أسلم بين الحديبية وخيبر (انظر ابن حجر : الإصابة جـ٤ ص٢٠٢ - ٢٠٧) .

(٢) قالت أم سلمة رضى الله عنها : كان أهل الحاجة من الصحابة : ربيعة بن كعب وأسماء وهند أبنا حارثة الأسلميين ، وطهينة (وقيل طهيفة وقيل صحفه الغفاوى وهو المرجح) وعباد بن خالد الغفارى ، وجعيل بن سراقة ، وعرباض بن سارية وعمرو بن عوف وعبد الله بن مغفل وأبو هريرة ، وواثلة بن الأسقع . انظر ابن حجر: الإصابة جـ٢ ص ٢٣٥ - ٢٤٦

(٣) ابن سعد : الطبقات جـ١ ص٢٥٦ .

(٤) ابن النجار : الدرة الثمنية ص٧١ - ٧٢ ، السمهودى : وفاء الوفاء جـ٢ ص٤٥٥ .

(٥) مجهول : فى سيرة الرسول ورقة ٧ (مخطوط) .

(٦) السمهودى : جـ٢ ص٤٥٦ .

(٧) ابن الأثير: أسد الغابة جـ١ ص٧٣ - ٧٤ ، ابن سعد : الطبقات جـ١ ص٢٥٥ - ٢٥٦.

ابن النجار : ص٧١ - ٧٢ .

وهكذا وبمرور الأيام تحولت الصفة إلى دار للضيافة تستقبل من لا أهل له ولا دار فى المدينة إلى أن يتدبر أمره ويجد له مسكنًا ومصدر رزق يعيش منه، وهذه الحال التى أصبحت عليها الصفة جعلها تعرف باسم صفة المهاجرين(١) .

وذكر أن الرسول ﷺ كان يجالس أهل الصفة ويوآنسهم ويتدارس معهم القرآن وأموردينهم ، كما كان يدعوهم إلى طعامه ولو فى ظلمة الليل ، قبل أن تتطور أحوالهم المعيشية(٢) .

وترتب على طول ملازمة أهل الصفة لرسول الله ﷺ أن أصبحوا أكثر من غيرهم حفظًا لأخبار الرسول وأحاديثه وأفعاله ، ولعل هذا يعد هدفًا من الأهداف التى بنيتمن أجله الصفة ، إذ عمل على حفظ الصلة الدائمةبين الرسول وبين فئة من الصحابة ، لم تشغلهم هموم العيال والأهل أو سائر مطالب الحياة عن تلقى العلم من رسول الله ﷺ(٣) .

وقد شهد الجميع لأهل بهذه الصفة الفضيلة. فذكر أن رجلاً جاء إلى طلحة فقال : أرأيتك هذا اليمانى أعلم بحديث رسول الله ﷺ منكم - يعنى أبا هريرة - نسمع منه أشياء لا نسمعها منكم ؟ قال : أما أن قال قد سمع من رسول الله ﷺ ، ما لم نسمع فلا شك ، وسأخبرك إناكنا أهل بيوت ، وكنا إنما نأتى

---

(١) ابن الأثير : أسد الغابة جـ١ ص٧٣ - ٧٤ ، ابن حجر : الإصابة جـ١ ص٣٦ .

(٢) مجهول : فى سير الرسول ورقة ٧ (مخطوط) ، السمهودى : جـ٢ ص٤٥٤ .

ابن الأثير : أسد الغابة جـ١ ص٧٣ - ٧٤ ، ابن سعد : الطبقات جـ١ ص٢٥٥ - ٢٥٦.

ابن النجار : ص٧١ - ٧٢ .

(٣) البخارى : الصحيح جـ٣ ص٤٦ .

رسول الله غدوة وشية ، وكان مسكيناً لا مال له ، إنما هو على باب رسول الله. فلا أشك أنه قد سمع ما لم نسمع[1] .

وقد زاد عدد أهل الصفة على مائة رجل[2] ، وقيل أن أهل الصفة كانوا إذا أمسوا انطلق رجل من الصحابة بالواحد منهم والرجل بالاثنين والرجل بالجماعة للعشاء ، أما سعد بن عبادة سيد الخزرج فكان يعشى لكل ليلة ثمانين من أهل الصفة[3] .

ومن الجدير بالذكر أن إقامة الصحابة فى الصفة لم تكن دائمة ، فكانوا يكثرون ويقلون بحسب من يتزوج منهم أو يموت أو يسافر[4] ، وكانوا من عدة قبائل عربية وكان فيهم بعض الموالى[5] .

---

(١) الذهبى : سير أعلام النبلاء جـ١ ص٢٤ وطلحة هو بن عبد الله بن عثمان بن عمرو القرش التيمى أحد العشرة المبشرين بالجنة . وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام مات سنة ست وثلاثين من الهجرة وله أربع وستون سنة .

انظر ابن حجر : الإصابة جـ٢ ص٢٢٩ .

(٢) السمهودى : وفاء الوفاء جـ٢ ص٤٥٣ .

(٣) ابن حجر : الإصابة جـ٢ ص٣٠ وذكر الرسول ﷺ كان يفرق أهل الصفة على الصحابة وتتعشى طائفة منهم معه حتى جاء الله بالغنى .

(انظر ابن سعد : الطبقات جـ١ ص٢٥٥) .

(٤) مجهول : فى سيرة الرسول ورقة ٧ (مخطوط) .

(٥) وممن عد من أهل الصفة عدا من مر ذكرهم : أسماء بن حارثة بن سعيد الأسلمى وأوس الثقفى وبلال بن رباح مولى أبى بكر الصديق ، وثوبان مولى رسول الله وجابر بن جميل الأشجعى والأسفع البكرى ، وجرهد بن خويلد الأسلمى ، والحارث ابن نبيه والد أنس ، وربيعة بن كعب الأسلمى ، وسالم بن عبيد الأشجعى وعبد الرحمن بن قرط الثمالى ، وعرباض بن سارية السلمى ، وغرقة الأزدى ، وهلال مولى المغيرة بن شعبة وغيرهم . انظر

إنشاء سوق المدينة :

من الملامح الرئيسية للمدن[1] أنها ذات طابع تجارى ، بل إن بعض الباحثين يغزو نشأة المدن أصلاً إلى إنها مراكز للتبادل التجارى كانت تنشأ عند ملتقى طرق التجارة[2] . وتمثل الأسواق مراكز النشاط التجارى بصوره ومراحله المختلفة التى انعكست انعكاسًا مباشرًا على نمطية الأسواق وأنواعها[3] .

وإنشاء الأسواق فى المدن الإسلامية كان من محاور النهضة بعمرانها . فهو من متطلبات الجماعة الإسلامية . وهو أحد الركائز الاقتصادية لأن المدن تتفاضل بالأسواق وكثرة الأزراق وانفاق الأسواق من تفاضل عمرانها فى الكثرة والقلة[4] ومن ثم فإن الازدهار الاقتصادى ينعكس على ازدهار الأسواق وعمارتها .

ويرجع الفضل فى نشأة الأسواق فى المدن الإسلامية إلى عهد رسول الله ﷺ ؛ فقد أنشأ سوقًا للمدينة قريبة من دورها . وكانت هذه السوق بداية لتطور

- ابن سعد / الطبقات حـ١ ص٢٥٦ ، السخاوى : التحفة اللطيفة حـ١٤ ص٣٣٥ ، ص٣٧١ ، ص٣٨١ ، ص٣٨٦ ، المرجانى : تاريخ هجرة المختار ورقة ١٣١ (مخطوط) ، وابن حجر : الإصابة حـ١ ص٣٦ ، ص٣٩ ، ص٢٣١ ، ص٢٩١ ، ص٥١١ ، حـ٥ ، ص٢٣٥ ، ص٤١٩ ، ص٤٧٢ ، حـ٣ ، ص٦٠٨ .

(١) حدد اليونانى باوسنياس Pausanias (ت ١٧٦م) ماهية المدينة فقال : إنها السلطة والجمنازيوم والمسرح والسوق وماء الشرب وتحديد الحدود وأعضاء وممثلون عن المدن فى المجلس .

Edited by : Von Grunbaum : The Muslim Town. and the hellenistic Town p. 364 (1955) .

(٢) عرفان سامى : نظريات العمارة ص١٢٨ دار المعارف .

(٣) محمد عبد الستار عثمان: المدينة الإسلامية ص٢٥٢ عالم المعرفة الكويت أغسطس١٩٨٨م.

(٤) محمد عبد العزيز الحسينى : قرطبة درة الأندلس ص٤٤ مجلة المدن العربية منظمة المدن العربية العدد ١٤ سنة ١٩٨٤م .

عمراني استمر بعد ذلك فى المدن الإسلامية فى عصورها المتتابعة . وكانت سوق المدينة المنورة على عهد رسول الله ﷺ عبارة عن ساحة من الأرض خالية من البناء سمح لأهل المدينة باستغلالها دون دفع أى أجر ، ومنع البناء فيها ، فلا سقوف سوى ظلال « بوارى » من الحصير كان يضعها الباعة لتظلهم فى الأماكن التى يختاورنها للبيع والشراء(1) . وكان نظام الأسواق على سنة المساجد . فمن سبق إلى موضع فهو له حتى يفرغ منه ، وقد أكد على ذلك الخليفة عمر بن الخطاب عندما قال : « الأسواق على سنة المساجد ، فمن سبق إلى مقعده فهو له حتى يقوم إلى بيته أو يفرغ من بيعه(2) .

وكان لابد من وجود مؤسسة إدارية تتولى الإشراف على تنظيم السوق ، وتمثل ذلك فى وظيفة المحتسب ، وهى وظيفة وجدت منذ عهد الرسول ﷺ ممثلة فى « عامل السوق » . لكن مهامها فى عهد الرسول والصحابة اقتصرت على الإشراف على نوعية المبيعات والتأكد من أن المعاملات فى السوق تتم حسب المبادىء والقيم الإسلامية(3) .

التطور فى تخطيط المدينة بعد بناء المسجد النبوى :

كان المسجد النبوى أول شىء أختط فى وسط المدينة بعد قدوم الرسول ﷺ من قباء ، وقد ظلت قواعده ، منذ أسسه الرسول ﷺ النواة التى نمت حولها مشاريع تعميره وتوسعته منذ عهد الرسول إلى أيامنا هذه ، ولهذا فإن المسجد النبوى يعد خير إحداثية يمكن اتخاذها كبداية لتعيين خطط المهاجرين فى المدينة بعد

---

(1) اليعقوبى : تاريخه جـ1 ص75 طبعة النجف الأشراف ١٩٦٤م .

(2) كاظم الجنابى : تخطيط الكوفة ص٨٦ .

(3) محمد عبد الستار عثمان : المدينة الإسلامية ص٢٥٦

الهجرة والتى كانت- فى معظمها - عبارة عن قطائع أو خطط تنازل عنها الأنصار للمهاجرين من كل فضل كان فى خططهم(١) أو كانت فى عفا من الأرض ليست لأحد ، فيقطعها الرسول لأصحابه(٢) .

ولعل أول ما بنى في خطط المهاجرين حول المسجد بيوت نساء النبى ﷺ وهى تسعة بيوت بنيت فى أوقات مختلفة(٣) ، وكانت عبارة عن مجموعة حجرات خارجة عن المسجد محيطة به ثلاث جهات هى أولاً الجنوبية حيث بدأ البناء حولها ثم الشرقية فالشمالية(٤) وهى غير ملتصقة بجدار المسجد إذ أن أبوابها كانت

---

(١) مجهول : المصدر السابق ورقة ٤ (مخطوط) .

(٢) الهمذانى (ابن الفقيه) : مختصر البلدان ص٢٤ (طبعة ليدن ١٣٠٢ هـ) .
السمهودى : وفاء الوفاء جـ٢ ص٧١٨ .

(٣) انظر ابن فضل الله العمرى : مسالك الأبصار جـ١ ص١٢٦ وذكر أن لحارثة بن النعمان الأنصارى منازل قرب المسجد حوله . فكلما أحدث الرسول أهلاً تحول له حارثة عن منزله حتى صارت كلها لرسول الله (انظر مجهول : فى سيرة الرسول ورقة ٧) وكان النبى ﷺ قبل بناء المسجد ينزل على أبى أيوب خالد بن زيد الأنصارى النجارى (انظر ابن إسحاق : السيرة جـ٢ ص٣٤٤) حيث أقام عنده سبعة أشهر (انظر : مجهول فى سيرة النبى ورقة ٦) وتقع دار أبى أيوب فى الناحية الجنوبية الشرقية للمسجد وبينها وبين دار عثمان بن عفان في شرق المسجد زقاق يعرف بزقاق الحبشة (انظر المطرى : التعريف ص٤٢ ، الأنصارى ، عبد القدوس : آثار المدينة ص٢٨ - ٢٩ .

(٤) مجهول : فى سيرة الرسول ورقة ٧ (مخطوط) وكانت بيوت النبى ﷺ بالإضافة إلى ما ذكر متسمة بالبساطة ومنها أربعة بلبن من جريدة وخمسة بيوت من جريد مطينة لا حجر لها على أبوابها مسوح الشعر وقد ذرع ذلك الشعر فوجد أنه ثلاثة أذرع فى ذراع (انظر ابن سعد : الطبقات جـ١ ص٤٩٩ - ٥٠٠) .
العدوى : أحوال مكة والمدينة ورقة ١٣٥ - ١٣٧ (مخطوط) .

شارعة(١) فيه وكانت فاطمة بنت رسول الله وزوج على بن أبى طالب تسكن أحد البيوت اللاصقة لبيوت أبيها فى الجهة الشرقية(٢) .

وحين خط الرسول ﷺ حول المسجد لم يخط بادىء الأمر لمعظم المهاجرين الأوائل ، فظلوا نازلين فى خطط الأنصار بعالية المدينة وبقباء كل على من نزل عنده(٣) ، ويذكر ابن سعد أن المقداد بن عمرو وخباب بن الأرث لما هاجرًا إلى المدينة نزلاً على كلثوم ابن الهدم فلم يبرحًا منزله توفى قبل أن يخرج الرسول إلى بدر بيسير ، فتحولا فنزلا على سعد بن عبادة ، فلم يزالاً عنده حتى فتحت بنو قريظة(٤) . وكان أبو بكر الصديق قد نزل على خارجة بن زيد بن أبى زهير فى بنى الحارث بن الخزرج بالسنح وتزوج ابنته ، ولم يزل فيهم حتى توفى رسول الله ﷺ(٥) ، كما نزل بعض بنى زهرة فى بنى عمرو بن عوف فى قباء(٦) .

---

(١) العدوى نفسه .

(٢) مجهول : فى سيرة الرسول ورقة ٧ (مخطوط) ، المطرى : التعريفص٣٦ - ٣٧.

(٣) المقريزى : إمتاع الأسماع حـ١ ص٥٠ ومن هؤلاء المهاجرين أبى حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ومولاه سالم ، وعتبة بن غزوان بن جابر بن وهب حليف بنى نوفل بن عبد مناف والزبير بن العوام بن خويلد ، وحاطب بن أبى بلتعة وسعد مولاه وهم حليفان لبنى أسد بن عبد العزى بن قصى وغيرهم (انظر ابن سعد : الطبقات حـ٣ فى أماكن متفرقة) .

(٤) الطبقات : حـ٣ ص١٦٥ - ١٦٦ .

(٥) ابن سعد : الطبقات حـ٢ ص١٧٤ ويذكر أيضًا أن لأبى بكر دار قريبة من بيوت النبى ﷺ فى شرق المسجد أقطعها الرسول أبا بكر .

(انظر السمهودى : وفاء الوفاء حـ٢ ص٧١٨ - ٧١٩) .

وموضع دار أبى بكر تلك فى شارع الملك عبد العزيز وقد أدخل جزء منها فى الرحبة المقابلة لباب النساء (انظر الأنصارى ، عبد القدوس : آثار المدينة ص٣٧) .

(٦) ذكر أن سعد بن أبى وقاص وعمير أخوه لما هاجرًا من مكة إلى المدين نزلاً فى منزل لأخيهما عتبة بن أبى وقاص وكان بناه فى بنى عمرو بن عوف وحائط له وكان عتبة أصاب دما بمكة فهرب فنزل فى عمرو بن عوف وذلك قبل يوم بعاث .

(انظر ابن سعد : الطبقات حـ٣ ص١٣٩) .

وكان الرسول ﷺ يقطع بعض المهاجرين فى خطط الأنصار فاقطع - فيما بعد - المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك القضاعى ، حليف بنى زهرة بن جديلة، شمال المسجد النبوى ، وذلك بعد أن دعاه إلى تلك الناحية أبى بن كعب(١) . كما ذكر أن بالمدينة قومًا من الحضرميين ولهم دار تعرف بدار الحضرميين فى بنى جديلة(٢) ، وقد نزل فى بنى ساعدة بعض الكنديين(٣) وكذلك نزلوا فى بنى الأزرق(٤) .

وقد كونت الدور الشوارع حول المسجد ، ما يشبه الخطة الواحدة ، حيث جمعت عدة قبائل من المهاجرين وبعض الأنصار . وكانت تلكم الخطة فى معظمها قطائع فردية اقتطعت من كل فضل كان فى خطط الأنصار(٥) ، وكانت قبل الهجرة عبارة عن خطة قبلية كان يشغلها عدة بطون خزرجية مثل بنى النجار وبنى جديلة وبنى ساعدة(٦) .

ومن تلك الدور الشوارع حول المسجد دور بنى زهرة شمالى المسجد . ودور بنى عدى ومن أشهرها دار آل عمر بن الخطاب جنوبى المسجد(٧) وقد تمتد دورهم إلى البقيع شرقًا(٨) وإلى السوق غربًا(٩) .

---

(١) ابن سعد : الطبقات جـ٣ ص١٦١ .

(٢) البلاذرى : الأنساب جـ١ ص١٠ وقد ذكر السمهورى : أن هناك زقاقا فى المدينة يعرف بزقاق الحضارمة فى شرق مؤخر سوق المدينة مما يلى الشمال (وفاء الوفاء جـ٢ ص٢٦١).

(٣) ابن حجر : الإصابة جـ٣ ص٥٦٠ .

(٤) نفسه جـ٢ ص١٤٣ .

(٥) مجهول : فى سيرة الرسول ورقة ٣ (مخطوط) ، محمد عبد الستار عثمان : المدينة الإسلامية ص١٧٥ - ١٧٦ عالم المعرفة الكويت أغسطس ١٩٨٨ .

(٦) مجهول : فى سيرة الرسول ورقة ٤ (مخطوط) .

(٧) المطرى : التعريف ص٣٧ - ٤٠ ، السمهودى : وفاء الوفاء جـ٢ ص٧١٨ - ٧٢٠ .

(٨) مالك : الموطأ جـ١ ص٧٢ .

(٩) ابن حجر : الإصابة جـ٣ ص٤٤٨ وكانت دار آل عمران مربدًا يتوضأ فيه أزواج النبى ﷺ فلما توفى استخلصته حفصة بنت عمر بثلاثين ألف درهم فورثها عنها عبد الله ابن عمر (انظر السمهودى / وفاء الوفاء جـ٢ ص٧١٨) .

وبالقرب من بنى عدى فى الجهة الجنوبية للمسجد توجد دور لبعض مهاجرى ثقيف[١] . ويلى دار آل عمر فى جنوبى المسجد من غربيها[٢] دار القضاء وكانت لعمر بن الخطاب فبيعت فى قضاء دينه بعد موته[٣] . وكان بعض هذه الدار للنحام - يعنى نعيم بن عبد الله من بنى عدى غرب المسجد[٤] ، وبعضها من دار العباس بن عبد المطلب وقرب دور بن عدى دار عبد الله بن مكحل الزهرى[٥] ، وهى شارعة فى رحبة دار القضاء[٦] .

ولبنى تيم فى الجهة الجنوبية الغربية للمسجد النبوى دور عامرة ، شارعة فى المغرب[٧] ، وهذه الجهة هى منازل بنى النجار وخاصة بنى مالك بن النجار[٨].

---

(١) ابن حجر : الإصابة جـ١ ص٥٢٢ .

(٢) السمهودى : جـ٢ ص٧٢٠ .

(٣) الفيروز آبادى : المغانم المطابة فى معالم طابة ص١٨ تحقيق أحمد الجاسر ط١ الرياض ١٣٨٩هـ دار القضاء : وقد آلت دار القضاء إلى ملك أمير المدينة مروان بن الحكم فى أوائل النصف الثانى من القرن الأول الهجرى فعرفت بدار مروان بن الحكم ، وكانت ملاصقة للمسجد النبوى قبل إزالتها فى جهته الجنوبية الغربية شرقى باب السلام وقد ادخل بعض أرضها فى الشارع الجديد جنوبى المسجد وداخل بعض أرضها الآخر فى بناء المحكمة الشرعية الكبرى وذلك أثناء توسعة المملكة السعودية للمسجد النبوى .
(انظر السمهودى : وفاء الوفاء جـ١ ص٧٢٠ - ٧٢١ ، الأنصارى ، عبد القدوس : آثار المدينة المنورة ص٤٣) .

(٤) السمهودى : وفاء الوفاء جـ١ ص٧٢٠ .

(٥) نفسه : جـ٢ ص٧٢٤ ، ابن حجر ، الإصابة جـ٥٢ ص٣٧٣ .

(٦) السمهودى : جـ٢ ص٧٢٤ غربى المسجد .

(٧) نفسه : جـ٢ ص٧٢٦ - ٧٢٧ .

(٨) نفسه : جـ٢ ص٧٢٥ ، ابن حجر : الإصابة جـ١ ص٣٢٦ .

وقد ذكر أن لطلحة بن أبى طلحة الأنصارى حشا كان ينعطف على المسجد من جهة الشام(١) ، ولبنى تيم أيضًا دور فى زقاق البقيع شرقى المسجد النبوى(٢) .

ومن دور المهاجرين فى الخطة المحطية بالمسجد أيضًا ، دور بنى مخزوم فى أول جهة المشرق مما يلى الشمال ، أى أنها فى بنى جديلة(٣) ، وجنوب دورهم تقع دار عثمان بن عفان(٤) ، وكانت تعرف بدار مشيخة الحرم(٥) .

ويوجد فى الجهات الغربية للمسجد مما يلى مصلى العيد حتى منازل بنى زريق من الأنصار عدة دور لكثير من القبائل مثل بنى مخزوم وبنى زهرة وبنى عدى وبنى عامر بنى لؤى وبنى أسد وبنى دوس وبعض أهل اليمن(٦) .

وكما أسلفنا القول ، فإن معظم القطائع فى الخطة المحيطة بالمسجد ، كانت - فى معظمها - قطائع فردية ، بعكس ما أصبح عليه الحال بالنسبة لبعض القطائع الأخرى ، ظاهر المسجد ، إذ كانت قطائع جماعية قبلية تقطع لمجموعة كبيرة ، وقد

---

(١) السمهودى : جـ٢ ص٧٢٧ ، العباسى : عمدة الأخبار ص٣٠٧ .

(٢) ابن سعد : الطبقات جـ٣ ص١٧٥ ، السمهودى : جـ٢ ص٧٣١ - ٧٣٢ .

(٣) السمهودى : جـ٢ ص٧٢٩ - ٧٣٠ .

(٤) نفسه : جـ٢ ص٧٣٢ .

(٥) مشيخة الحرم : هى دار كانت مخصصة لإقامة شيخ الحرم النبوى فى عهد الحكومة العثمانية ويحدها شمالاً طريق البقيع وجنوبًا زقاق الحبشة (عرضه حوالى مترين) وقد ادخل جزء من الدار فى الشارع الجديد الواقع شرقى المسجد بعد التوسعة السعودية (انظر الأنصارى، عبد القدوس : آثار المدينة ص٣٤ - ٣٦) ويذكر المطرى : التعريف ص٣٨ أن باب جبريل (وهو باب عثمان بن عفان وكان يدخل منه النبى ﷺ) الكائن فى الحائط الشرقى للمسجد النبوى ، كان مقابلاً لدار عثمان ، ثم اشترى عثمان ما حولها إلى الجنوب والشرق وشمالى الدار ، الطريق من باب جبريل إلى البقيع .

(٦) المطرى : التعريف ص٥٤ ، السمهودى : وفاء الوفاء جـ١ ص٧٤٠ - ٧٤٧ .

يشاركهم فيها غيرهم . والمثل على ذلك خطة بنى غفار (**وهم بنو غفار بن مليل** بن ضمرة بن بكر بن عبد مناف بن كنانة) وكانت **قطيعة قطعها لهم النبى ﷺ فى** الجهات الكائنة غربى سوق المدينة ومصلى العيد **إلى وادى بطحان**(١) ، **والذى** سهل انفرادهم بالمنزل أنهم كانوا ظاهر المسجد ، وأن **مساكنهم كانت عبارة عن** مجموعة خيام حول مسجدهم(٢) . ويفصل بين **خطة بنى غفار شمالاً ، وخطة بنى** ليث ابن بكر طريق يدعى طريق بنى الليث ومن **يشركهم فى ذلك**(٣) ، **ودور بنى** ليث من طرف المصلى الغربى إلى وادى بطحان(٤) ، **وقد تمتد إلى شمال شرقى** سوق المدينة وشمال منزلة بنى ساعدة(٥) أى شمال غربى المسجد النبوى ، **وإلى الشمال** من بنى ليث نزل بنو ضمرة بن بكر محلتهم التى يقال **لها ضمرة بثنية الوداع**(٦) ، وإلى الشمال الغربى نزل بنو الديل بن بكر ، محلتهم **إلى جبل المستندر**(٧) .

ويبدو أن بنى ضمرة وبنى الديل كانوا يكونون **خطة واحدة مع أسلم** ومالك ابن **أقصى** بن حارثة بن عمرو بن عامر ، ويشاركهم **أيضاً هذيل بن** مدركة ؛ فقد ذكر أن منازل أسلم ومالك كانت تشمل **تلك الجهات الكائنة** شمالى ثنية عثعث(٨) وشرقى مؤخر المدينة مما يلى الشمال(٩) .

---

(١) السمهودى : جـ٢ ص٧٥٧ - ٧٥٩ .

(٢) المطرى : التعريف ص٧٦ ، المرجانى : تاريخ هجرة المختار ورقة ١٥٧ (مخطوط)

(٣) السمهودى : جـ٢ ص٧٥٩ .

(٤) نفسه .

(٥) العياشى : المدينة بين الماضى والحاضر ص٤١١ - ٤١٢ .

(٦) السمهودى : جـ٢ ص٧٦٠ ، العياشى : ص٤١٤ .

(٧) السمهودى : نفسه ، العياشى : ص٤١٥ .

(٨) ابن شبة: أخبار المدينة ورقة ٨٥ (مخطوط) بمكتبة عارف حكمت المدينة المنورة برقم ١٥٧ السمهودى : جـ٢ ص٧٦٠ .

ثنية عثعث : تنسب إلى الجبيل الذى يقال له سليع - مصغرًا والثنية بينه وبين سلع فى الجنوب الشرقى لسلع ، وهى إلى الجنوب من ثنية الوداع (انظر العباسى : عمدة الأخبار ص٢٨٤) .

(٩) السمهودى : جـ٢ ص٧٦١ .

وكانت منازل هذيل في السفح الجنوبي الشرقي لجبل سلع ما بين شمالي منازل أشجع (ابن ريث بن غطفان) إلى جنوبي ثنية عثعث[١] . وبالنسبة لمزينة وهم بنو هدية بن لاطم بن عثمان بن عمرو[٢] ، فتمد منازلهم في غرب مصلى العيد إلى عدوة وادي بطحان الشرقية[٣] ، وقد تأخذ في اتساعها نحو الجهات الجنوبية للدور التي بالمصلى ثم خطة بني زريق[٤] ، وقد نزل معهم في محلتهم بنو شيطان بن يربوع من بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر ، كما نزل معهم بنو سليم بن منصور وعدوان بن عمرو بن قيس[٥] .

ويبدو أن كثرة عدد بني مزينة ومن حل معهم ، قد اضطرهم إلى التوسع في المنزل نحو الشرق ، حتى وصلت دورهم إلى قرب البقيع[٦] .

---

(١) السمهودي : جـ٢ ص٧٦١ .
وتمتد منازل اشجع من ثنية الوداع إلى جوف شعب سلع والمعروف بشعب اشجع في السفح الشرقي لجبل سلع . ويشير عروة بن الزبير إلى أشجع بقوله : قدمت أشجع في سبعمائة يقودهم مسعود بن رحيلة ، فنزلوا شعبهم فخرج إليهم رسول الله ﷺ بأحمال التمر فقال : يا معشر أشجع ما جاء بكم ؟ قالوا : يا رسول الله جئناك لقرب ديارنا منك وكرهنا حرب قومنا لقلتنا فيهم . (انظر السمهودي : جـ٢ ص٧٦١ - ٧٦٢ ، ابن حجر : الإصابة جـ٢ ص٤١٠) .

(٢) ابن حزم : الجمهرة ص٤٨٠ وما بعدها .

(٣) السمهودي : جـ٢ ص٧٦١ - ٧٦٢ .

(٤) السمهودي : نفسه ، ابن حجر : الإصابة جـ٢ ص٣٠٣ - ٣٠٤

(٥) ويذكر أنهم إنما نزلوا جميعًا لأن دارهم في البادية واحدة (انظر السمهودي : جـ٢ ص٧٦١) .

(٦) السمهودي : جـ٢ ص٧٦٢ .

وقد شكلت منازل جهينة (ابن زيد بن الأسود بن الحارث بن قضاعة) وبلى (ابن عمرو ابن الحاف بن قضاعة) خطة واحدة تمتد إلى الشمال من خط أسلم الذى بين أسلم وجهينة إلى دار بنى حرام فى بنى سلمة ، غربى مساجد الفتح ، بمحاذاة السفح الغربى لجبل سلع[١] . وكان النبى هو الذى خط المسجد لجهينة ولمن هاجر من بلى ، بين خيامهم[٢] .

ونزل بنو جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن فى محلتهم التى يقال لها بنو جشم[٣] . وهى فى بنى زريق من الشرق ، أى فى الجنوب الغربى للمسجد[٤] .

أما بنو فزارة (هم من ذبيان بن بغيض من غطفان) فكانت خطتهم إلى الشمال من خطة أشجع فى السفح الشمالى الشرقى لسلع . حيث نزلت بنو مالك بن حماد ، وبنو زنيم وبنومسكين من فزارة بن ذبيان فى تلك الجهة[٥] .

ومن الجدير بالذكر بعد هذا الاستعراض لخطط الأنصار والمهاجرين أن نشير إلى أن البناء لم يكن منتشرًا بشكله الواسع فى كل مساحة المدينة المعروفة والتى

---

(١) المطرى : التعريف ص٧٦ ، السمهودى : وفاء الوفاء جـ ٢ ص٧٦٣ .

(٢) المطرى : نفسه ، المرجانى : تاريخ هجرة المختار ورقة ١٥٧ - ١٥٨ (مخطوط) .

(٣) السمهودى : جـ٢ ص٧٦٤ .

(٤) نفسه .

(٥) السمهودى : نفسه جـ٢ ص٧٦٤ - ٧٦٥ .

تقدر على أنها يريد فى بريد[1] ولذلك كان الجغرافيون المسلمون يرون أن المدينة أقل من نصف مساحة مكة[2] .

وقد كان البناء والعمران بالمدينة منتشرًا فى جهات العالية وقباء والعصبة ويثرب القديمة ، بالإضافة إلى الأجزاء المحيطة بالمسجد النبوى . بينما لم تحظ بقية أجزاء المدينة الأخرى - على عهد الرسول ﷺ - بتوسع البناء وانتشاره نحو الغرب - على وجه الخصوص - كما حدث فيما بعد[3] . وقد استنتجنا ذلك من حديث رواه أبو أسيد بن على بن مالك الأنصارى قال : قال رسول الله : إذا رأيت البناء قد بلغ سلعا فأغرب بالشام فإن لم تستطع فاسمع واطع[4] .

وبصرف النظر عن ضعف الحديث أو عدمه فهو يهدينا إلى حقيقة كانت قائمة على عهد النبى ﷺ وهى أن البناء لم يكن قد وصل إلى جبل سلع . وذلك على الرغم أن سلعًا لم يكن بعيدًا عن الخطة المعمورة حول المسجد النبوى من زاويتها الشمالية الغربية ولذلك كانت جوارى الأنصار يخرجن لرعى غنم سادتهن بسلع[5] .

---

(١) المطرى : التعريف ص١٥ - ١٦ ، ابن النجار : الدرة الثمينة ص٢٨ - ٢٩ ،ص٤٠ ويقال أن لفظ بريد أطلق فى بادىء الأمر على الدابة التى تركب لمهمة رسمية ، ثم أطلق على الراكب نفسه ، ثم أطلق على المسافة التى يقطعها الراكب وقد قدر الفقهاء وعلماء المسالك البريد بأربعة فراسخ والفرسخ ثلاثة أميال أى أن البريد هو مسافة أثنى عشر ميلاً .
انظر أحمد مختار العبادى : فى التاريخ العباسى والفاطمى ص٩٥ دار النهضة العربية .

(٢) الاصطخرى : المسالك ص٢٣ .

(٣) ذكر أن سعد بن أبى وقاص مات فى قصره بالعقيق على عشرة أميال من المدينة فحمل إلى المدينة وصلى عليه مروان بن الحكم سنة ٥٥هـ (انظر ابن سعد : الطبقات حـ٣ ص١٣٩ -١٤٩) ويمكننا أن نستدل من هذا النص على مدى اتساع العمران فى المدينة بعد عصر النبى .

(٤) ابن حجر : الإصابة حـ٤ ص٨ .

(٥) نفس المصدر حـ٣ ص٤٢٨ .

ويبدو أن من أسباب قلة البناء أو التوسع فيه إلى جبل سلع ، واكتفاء معظم المهاجرين بالسكنى فى الأخبية أو الخيام إنما يعود إلى الحالة الاقتصادية التقشفية التى مرت بالمسلمين مع بداية هجرتهم . فقد ذكر أن أم سلمة (زوج النبى ﷺ) لما غزا رسول الله غزوة دومة الجندل ، بنت حجرتها بلبن (وكانت من جريد) فلما قدم رسول الله نظر إلى اللبن فدخل عليها أول نسائه فقال : ما هذا البناء ؟ فقال : أردت يارسول الله أن أكف أبصار الناس فقال : يا أم سلمة إن شر ماذهب فيه مال المسلمين البنيان[1] .

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار :

وإذا كان المسجد الجامع فى المدينة على عهد الرسول ﷺ رمزًا لاجتماع المسلمين واتحاد كلمتهم ، وكانت مشاركة جميع الصحابة فى بنائه دليلاً عمليًا على تعاونهم وتوادهم - وما أدى إليه من تطور البنيان فى المدينة - فإن ذلك التعاون والتواد كان عامًا ثم خصص بين المسلمين بما عرف باسم المؤاخاة وهو التنظيم الثانى لجماعة المسلمين فى بناء الدولة العربية الإسلامية .

بدأ تنظيم المؤاخاة فى السنة الأولى من الهجرة بعد خمسة أشهر أو ثمانية من قدوم النبى ﷺ إلى المدينة[2] . وقد سبق تلك المؤاخاة التى عقدت بين المهاجرين والأنصار مؤاخاة بين المهاجرين أنفسهم[3] . وكانت هذه المؤاخاة بين المهاجرين

---

(١) ابن سعد : الطبقات جـ١ ص٤٩٩ .

(٢) مجهول : فى سيرة الرسول ورقة ١١ (مخطوط) .

(٣) انظر ابن سعد : الطبقات جـ١ ص٢٣٨ .

وابن سيد الناس : عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير جـ١ ص١٩٩ مطبعة دار الجيل ص ، بيروت ١٩٧٤ .

مجهول : المصدر السابق ورقة ١٢ (مخطوط) .

على نطاق محدود ولم تفرض على الجميع[1] . على أنه من المرجح أن المواخاة بين المهاجرين حدثت بشكل نظرى ولم يعرف أمرها إلا بعد قدوم النبى المدينة[2] .

على أنه من المتفق عليه أن المواخاة بين المهاجرين والأنصار كانت قبل معركة بدر[3] ، حيث دعا الرسول أصحابه من المهاجرين والأنصار إلى اجتماع فى مسجد المدينة حدد فيه أسماء نخبة من المسلمين[4] قيل أنهم تسعون وقيل بل مئة[5] ، وهناك روايات أخرى تذكر أن جملتهم ثلاثمائة[6] .

وذكر أنهم كتبوا فى أمر المؤخاة كتابا فى دار أنس[7] ، وبين الرسول لهم أثناء ذلك الاجتماع أنه اصطفاهم وأحب أن يؤاخى بينهم[8] . وكانت صفة

---

(١) انظر ابن إسحاق : السيرة حـ٢ ص٣٥١

ابن سعد : الطبقات حـ٣ فى أماكن متفرقة .

(٢) ذكر ابن حبيب أن الرسول ﷺ آخى فى مكة بين المهاجرين على الحق والمواساة وعدد ثمانية عشر ممن آخاهم . انظر المحبر : ص٧٠ - ٧١ .

صالح أحمد العلى : الدولة فى عهد الرسول ص٨٦ .

(٣) ابن سعد : الطبقات : نفس المكان ، ابن حبيب : المحبر : ص٧١ - ٧٢

(٤) الحلبى : على بن إبراهيم بن أحمد (ت ١٠٤٤هـ/١٦٣٥م) انسان العيون فى سيرة الأمين والمأمون المعروف بالسيرة الحلبية حـ٢ ص٩٦ القاهرة ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م .

(٥) ابن سعد : الطبقات حـ١ ص٢٣٨ .

مجهول : فى سيرة الرسول ورقة ١١ (مخطوط) .

(٦) العامرى : عماد الدين يحى بن أبى بكر (كان حيًا سنة ٨٥٥هـ) بهجة المحافل وبغية الأماثل فى تلخيص المعجزات والسير والشمائل حـ١ ص١٦٩ شرح الأشخر اليمنى مطبعة الجمالية سنة ١٣٣٠هـ .

(٧) مجهول : فى سيرة الرسول ورقة ١١ (مخطوط) .

(٨) الحلبى : السيرة الحلبية حـ٢ ص٩٦ - ٩٧ .

صحة عقد المؤاخاة تتم بأخذ يد أحد الأخوين ، الذين عينهما الرسول بيد الآخر مرددين أنهما أخوان فى الله[١] ، وترتب على تلك الأخوة الإسلامية حقوق ميزتها عن أخوة ذوى الأرحام وسمت بها كثيرًا فالأخ فى الله هو المقدم على ذوى الأرحام فى الميراث[٢] . إذ كانوا يتوارثون بهذا الإخاء فى ابتدائه إرثا مقدما على القرابة[٣] . وذلك بقصد بث الطمأنينة فى قلوب المهاجرين وإبعاد الإحساس بالغربة عن نفوسهم .

والواقع أن ذلك البند الخاص كان يتعارض - شكلاً - مع الأعراف والتقاليد السائدة حينذاك ، ولذلك لم يدم طويلاً إذ أعقبه نزول آية المواريث ناسخة له بقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾[٤]

ومن الواضح أن الرسول حينما وضع ذلك التنظيم وهو المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار كان يرمى إلى السمو بالرابطة الإنسانية من عصبية الدم إلى العصبية الدينية فجعل الأخ فى الله مقدمًا على القرابة فى المواريث ، وعظم أمر المؤخاة لما سيترتب عليها من أمور عظيمة فى صالح الإسلام وقيام مجتمع إسلامى

---

(١) ابن إسحاق : السيرة جـ٣ ص٣٥١ ، ابن كثير : البداية جـ٣ ص٢٢٦ . ويذكر ابن إسحاق هذه الصفة بقوله : وآخى رسول الله بين أصحابه من المهاجرين والأنصار فقال ، فيما بلغنا ونعوذ بالله من أن نقول عليه ما لم يقل : تآخو فى الله أخوين أخوين ؛ ثم أخذ على بن أبى طالب فقال : هذا أخى .

ابن إسحاق : السيرة جـ٢ ص٣٥١ .

(٢) ابن سعد : الطبقات جـ١ ص٢٣٨ ,

ابن حبيب : المحبر : ص٧١ .

(٣) المقريزى : أمتاع الأسماع جـ١ ص٥٠

(٤) سورة الأنفال : الآية ٧٥ .

تنمحي فيه العصبية القبلية فالمواخاة بذلك المعنى كانت عملاً مثاليًا لما يجب أن يكون عليه المسلمون ، ولم تكن نظامًا يجب أن يفرض على الجميع ، إذ أن باب الخيار كان مفتوحًا لمن أراد أن يتبعه ، ولعل مما يدل على ذلك ما وجد من عناية فائقة اتبعت عند اختيار المتآخين من الصحابة .

ومن الجدير بالذكر أن الرسول ﷺ راعى في تنظيمه المواخاة العوامل النفسية والعملية والفكرية ، وتوخيه تقارب المستوى الاجتماعي والفكري بين المتآخين بغية توفير كل الأسباب اللازمة لنجاحها وتقويتها)(١) ، وحتى يكون في تشابه مشاربهم وطباعهم ما يذهب عنهم وحشة الغربة ويؤنسهم عن مفارقة الأهل والعشيرة(٢) .

ومن الأمثلة الكبيرة عن المراعاة في تلك النواحي المواخاة بين جعفر بن أبي طالب ومعاذ بن جبل فهما متفقان في الطباع والسلوك فكلاهما يهتم بالعلم حتى عدا من فقهاء الإسلام وعلمائه فقيل عن جعفر بن أبي طالب أنه أفضل الناس بعد النبي(٣) ، وقالوا عن معاذ بن جبل إنه المقدم في الحلال والحرام(٤) ؛ وإلى جانب توفر تلك الصفة العلمية بين جعفر ومعاذ فإنهما من الناحية الفكرية والاجتماعية متقاربان في الدرجة فجعفر يعد خير الناس للمساكين(٥) ، أما معاذ فوصف بأنه كان سمحًا من خير شباب قومه(٦) .

---

(١) يقول الغزالي : « الإخاء لا ينبت في البيئات الخسيسة فحيث يشيع الجهل والنقص والجبن والبخل لا يمكن أن يصبح إخاء أو تترعرع محبة ولولا أن أصحاب رسول الله جبلوا على شمائل نقية واجتمعوا على مبادىء رضية ما سجلت لهم الدنيا التآخي الوثيق في ذات الله » انظر فقه السيرة ص١٩٣ .

(٢) السهيلي : الروض الأنف جـ٢ ص٢٥٢ .

(٣) ابن حجر : الإصابة جـ١ ص٢٣٧ .

(٤) ابن عبد البر : الاستيعاب (هامش كتاب الإصابة جـ١) ص٥٠ .

(٥) ابن حجر : الإصابة جـ١ ص١٣٧ .

(٦) نفسه : جـ٣ ص٤٢٦ - ٤٢٧ .

وكان سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وأبى بن كعب متقاربان فى الناحية العلمية فسعيد بن زيد كان مهتمًا ومعنيـًا بالفقه والحديث وروى عنه كثيرمن الصحابة(١) . كذلك فإن أبى بن كعب كان سيد القراء وكان عالمـًا وأول من كتب للنبى(٢) ، كما أنه يعد من فقهاء الصحابة المعدودين(٣) .

وجمعت الصفة العلمية أيضًا بن مصعب بن عمير بن هاشم وبين أبى أيوب ، إذ كان مصعب أول من بعثه الرسول ﷺ مع أصحاب العقبة من الأنصار إلى المدينة ليفقههم فى الدين(٤) ، وكان يسمى المقرىء بالمدينة(٥) ، أما أبو أيوب فقد كان بحكم نزول الرسول عليه – أول مقدمه المدينة – كثير الاهتمام بسماع أحاديث الرسول ولذلك روى عن النبى وعن كثير من الصحابة(٦) .

كذلك نجد أن سلمان الفارسى قد اشترك مع أبى الدرداء عويمر بن ثعلبة فى الاهتمام الفقهى والعلمى ، ويبدو أنه كان بينهما تنافش شريف وكبير لتنمية تلك الصفة فى التحصيل الفقهى والعلمى ونستنتج ذلك من ممازحة الرسول لأبى الدرداء بقوله : « سلمان أفقه منك »(٧) .

ومن أمثلة الاتفاق فى الطباع بين المتآخين ما نجده فى مؤاخاة عبد الرحمن ابن عوف وسعد بن الربيع فهما مجبولان على الكرم ومحبان للبذل فى وجهه حتى

---

(١) نفسه : جـ٢ ص٤٩ .

(٢) نفسه : جـ٢ ص١٩ .

(٣) ابن عبد البر : الاستيعاب (هامش كتاب الإصابة جـ١) ص٤٨ .

(٤) ابن حجر : الإصابة جـ٣ ص٤٢١ .

(٥) ابن إسحاق : السيرة جـ٢ ص٢٦٩ .

(٦) ابن حجر : الإصابة جـ١ ص٤٠٥ .

(٧) نفسه : جـ٢ ص٣٦٢ .

أن سعد بن الربيع وكان أكثر الأنصار مالاً ، عرض على عبد الرحمن بعد أن آخى الرسول بينهما أن يقاسمه ماله(١) فأبى عبد الرحمن بن عوف أن يأخذ منه شيئًا مدللاً على كرمه وامتلاء قلبه بالقناعة وقال : دلني على سوق المدينة(٢) . وكان له ما أراد فعمل بالتجارة حتى كثر ماله فتصدق بشطره في سبيل الله ، وكان ذلك المال يحمل على خمسمائة فرس مع أربعين ألف درهم(٣) .

أما الزبير بن العوام وسلمة بن سلامة بن وقش فكانا شجاعين وجريئين كثيرًا ما انتدبا للمهمات الصعبة والحروب(٤) وجمعت صفة الشجاعة أيضًا بين علي بن أبي طالب(٥) وسهل بن حنيف . ولعل أبرز مثال عليها فدائية علي بن أبي طالب ليلة هجرة الرسول حين رقد في فراشه غير عابيء بما كانت قريش تبيته لصاحب ذلك الفراش(٦) . وقد كان لسهل بن حنيف مواقف بطولية وفدائية في الزود عن الرسول ﷺ(٧) ، وقد بلغ من جرأته في الأيام للهجرة أنه إذا أمسى عدا على أوثان قومه فكسرها غير عابيء بما يتربص به(٨) .

---

(١) نفسه : جـ٢ ص٢٦ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية جـ٣ ص٢٢٧ - ٢٢٨

(٣) ابن حجر : الإصابة جـ٢ ص٤١٦ .

(٤) النووي : أبو زكريا محي الدين بن شريف (ت ٦٧٦هـ) : تهذيب الأسماء واللغات جـ١ ص١٩٥ منشورات دار الكتب العملية - بيروت .

ابن حجر : الإصابة : جـ١ ص٥٤٥ - ٥٤٦ ، جـ٢ ص٦٥ .

(٥) ابن سعد : الطبقات جـ٣ ص٢٣ .

(٦) ابن إسحاق : السيرة جـ٢ ص٣٣٣ .

(٧) ابن حجر : الإصابة جـ٢ ص٨٧ .

(٨) الطبري : الأمم والملوك جـ٢ ص٣٨٢ .

وروعيت فى المؤاخاة كذلك التكافؤ فى السلم الاجتماعى والوظيفى لإبعاد الوحشة بين المتأخين بسبب ما قد يظهره أحدهما من الأنفة بحكم تفوقه وعلو مكانته الاجتماعية لذلك نجد الرسول حين آخى بين عمر بن الخطاب وعتبان بن مالك الخزرجى ، راعى ناحية التكافؤ تلك ، وأخذ بعين الاعتبار منزلتهما الاجتماعية ، فكان عمر وهو - أمير المؤمنين فيما بعد - الرجل المقدم فى قومه وكان إليه السفارة فى الجاهلية(١) ، أما عتبان بن مالك فقد كان أمام قومه بنى سالم(٢).

وروعى التكافؤ الاجتماعى كذلك عند المؤاخاة بين أبى عبيدة عامر بن الجراح ، وهو من السابقين ومن علماء الإسلام وأمين الأمة(٣) . وسعد بن معاذ سيد الأوس والمطاع فيهم وإسلامهم تم على يديه(٤) .

وتتجلى تلك المراعاة بوضوح أكثر عند المؤاخة بين عمار بن ياسر حليف بنىمخزوم، وأمه مولاة لهم)(٥). وبين حذيفة بن اليمان حليف بنى عبد الأشهل(٦)

---

(١) ابن حجر : الإصابة جـ٢ ص٥١٨ - ٥١٩ .

(٢) نفس المصدر جـ٢ ص٤٥٢ .

(٣) ابن إسحاق : السيرة جـ٢ ص٣٥٢ .

ابن حجر : الإصابة جـ٢ ص٢٥٢

(٤) ابن إسحاق : نفسه .

ابن حجر : جـ٢ ص٣٧ .

(٥) ابن حجر : جـ٢ ص٥١٢ .

(٦) ابن عبد البر : الاستيعاب (هامش كتاب الإصابة جـ١) ص٢٧٧

ابن حجر : جـ١ ص٣١٧ .

كذلك نجد أن حاطب ابن أبى بلتعة اللخمى وحليف بنى أسد من قريش[1] ، آخى الرسول بينه وبين عويم بن ساعدة البلوى وحليف بنى أمية من الأوس[2] أما بلال بن رباح وكان عبدًا حبشيًا . فقد آخى الرسول بينه وبين أبى رويحة عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمى ، وقد كان مملوكًا فاعتق[3] .

ورغم أن المؤاخاة قد انقطعت بعد غزوة بدر[4] ونزول آية المواريث التى أرجعت المواريث فى أهلها من عصبية الدم والقرابة بحيث لم يفرض الرسول على أحد الالتزام بالمؤاخاة ، إلا إننا نجد ذكر لبعض حالات فردية من التأخى يشير إليها ابن حجر حين يذكر أن عوف بن مالك أسلم عام خيبر وآخى النبى بينه وبين أبى الدرداء[5] ، وذكر أيضًا أن ربيعة بن السكن قال : أتيت النبى ﷺ وهو يؤاخى بين الناس فآخى بينهم وبقيت فقدم رجل من الحبشة فآخى بينى وبينه وقال : أنت أخوه وهو أخوك[6] والمعروف أن قدوم مهاجرى الحبشة كان عام خيبر سنة سبع من الهجرة تقريبًا[7] .

ويبدو أن مؤاخاة كل من عوف بن مالك مع أبى الدرداء ومؤاخاة ربيعة بن السكن مع الهاجر الذى قدم من الحبشة ، ربما حدثت بناء على طلب منهم

---

(١) ابن إسحاق : السيرة جـ٢ ص٣٥٢ .

ابن حجر : جـ١ ص٣٠٠ .

(٢) ابن حجر : جـ٣ ص٤٤ وعويم : بصيغة التصغير ليس فى آخره راء : قيل أنه من بنى أمية من الأوس ، وقيل أنه بلوى حالف بنى أمية من الأوس .

(٣) ابن حجر : الإصابة جـ٤ ص٧٢ .

(٤) ابن سعد : الطبقات جـ١ ص٢٣٨ ، مجهول : فى سيرة الرسول ورقة ١٢ (مخطوط) .

(٥) الطبقات جـ٣ ٤٣ .

(٦) ابن حجر : الإصابة جـ١ ص٥٠٨ -٥٠٩ .

(٧) ابن إسحاق : السيرة جـ٣ ص٧٧٤ ، ٧٩١ ، ٨١٨ ، ٨٢١ .

أنفسهم وبعد إلحاح كبير ، إذ لم يكن هناك إلزام أو أمر من الرسول ﷺ بأن يتآخو ، إنما الذى يمكن ترجيحه هو أن المؤاخاة استمرت كسنة يثاب فأعلها ولا يعاقب تاركها وذلك بعد نسخ أساسها المعتمد على أن يرث الأخ أخاه فى الله بعد الممات(١) ، بنزول آية المواريث(٢) بعد وقعة بدر ، فنسخ التوريث كبند من بنود المؤاخاة لا يعنى إنقطاعها بمعنى أن المتآخى غير ملزم بأن يرث أخيه وإلا فإن له مطلق الحرية إذا أراد أن يوصى إلى أخيه بعد وفاته ، كما أوصى حمزة بن عبد المطلب يوم أحد إلى زيد بن حارثة حين حضر القتال(٣) ، ثم إن عمر بن الخطاب فى عهده حين دون الدواوين بالشام قال لبلال بن رباح وكان قد خرج إلى الشام فأقام بها مجاهدًا : « إلى من تجعل ديوانك يا بلال ؟ قال : مع أبى رويحة لا أفارقه أبدًا للأخوة التى كان رسول الله ﷺ عقد بينى وبينه ، فضم إليه وضم ديوان الحبشة إلى خثعم لمكان بلال فيهم(٤) ، وذلك أنه حتى عهد عمر كان للمؤاخاة منزلة معتبرة وأن لم يكن هناك إلزام بإتباعها أو فرضها .

وقد نحا بعض المؤرخين المسلمين إلى الاعتقاد بأن الغرض من المؤاخاة كان تحقيق منافع اقتصادية لمواجهة الضائقة المالية التى كان عليها المهاجرون بعد هجرتهم إلى المدينة(٥) . والذى يبدو لنا ونرجحه فى نفس الوقت أن الرسول

---

(١) ابن سعد : الطبقات جـ٣ ص٢٢ .

(٢) سورة الأنفال : الآية ٧٥ .

(٣) ابن سعد : الطبقات جـ٣ ص٩ .

(٤) ابن إسحاق : السيرة جـ٢ ص٣٥٣ .

(٥) يقول ابن كثير : « إلا أن النبى ﷺ لم يجعل مصلحة على غيره ، فإنه كان ينفق عليه رسول الله من صغره فى حياة أبيه أبى طالب ، كما تقدم عن مجاهد وغيره وكذلك يكون حمزة قد التزم بمصالح مولاهم زيد بن حارثة فأخاه بهذا الاعتبار والله أعلم » .

انظر البداية والنهاية جـ٣ ص٢٢٧ ، وانظر أيضًا البقرى : الانصار والإسلام ص٨٠ القاهرة ١٩٦٤م .

لم يكن فى حاجة إلى وجود من يلتزم بمصالح أصحابه من المهاجرين ، لأنه سبق أن أكد على هذه الناحية فى بيعة العقبة الأخيرة ، وجعل الالتزام بمصالح أصحابه شرط لصحة عقد البيعة حيث جاء فيه : « اشترط لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، واشترط لنفس أن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم وأهلكم ، واشترط لأصحابى المؤاساة فى ذات أيديكم »(١) . ومن ذلك نرى أن الضمان المالى لصالح المهاجرين كان بندًا رئيسيًا فى بيعة العقبة . وقد التزم الأنصار به وقبلوه على أن لهم الجنة(٢). ولو كان الغرض من المؤاخاة اقتصاديًا يجعل مصلحة الفقراء إلى الأغنياء لما وجدنا أن كثيرا من الصحابة لم يدخلوا فى المؤاخاة مع أنهم كانوا فقراء ومن السابقين إلى الإسلام مثل آنسة مولى رسول الله وأبى كبشة مولى رسول الله وصالح شقران غلام رسول الله ﷺ(٣) . ومثل يزيد بن رقيش بن رشاب بن يعمر، وعكاشة بن محصن بن حرثان وأبى سنان بن محصن بن حرثان بن أبى سنان ومالك بن عمرو وسعد مولى حاطب وغيرهم(٤) .

فلو كان الهدف جعل مصلحة الفقراء إلى الأغنياء لكان أولئك أولى من غيرهم بالمؤاخاة وإضافة إلى ذلك فإن عددًا من الأنصار ، كانوا شديدى الفقر ومع ذلك آخى الرسول بينهم وبين المهاجرين ، ومنهم سهل بن حنيف من بنى عمرو بن عوف بن مالك من الأوس ، وأبو دجانة سماك بن خرشة من بنى ساعدة من الخزرج ، فقد قيل أن رسول الله ﷺ لم يعط من أموال بنى النضير أحدًا من

---

(١) ابن قدامة : الاستبصار فى نسب الصحابة من الأنصار (مخطوط بمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة رقم ٥٩٧ تاريخ) ورقة ١١ ، الدولابى (أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد) (ت ٣١٠هـ/٩٢٣م) كتاب الكنى والأسماء حـ١ ص١ مطبعة حيد أباد الهند سنة ١٣٢٢هـ .

(٢) ابن قدامة : الاستبصار ورقة ١١ (مخطوط)

(٣) ابن سعد : الطبقات حـ٣ ص٤٨ - ٥٠ .

(٤) نفس المصدر حـ٣ ص٩١ - ٩٧ ، ص١١٥ .

الأنصار إلا سهل بن حنيف وأبا دجانة بن خرشة وكانا فقيرين[١] . كما أن من الأنصار ممن آخى الرسول بينه وبين أحد المهاجرين من كان لا يجد ما يأكله[٢] .

وقد رأى بعضهم أن المؤاخاة إنما هى تسمية إسلامية لنظام الحلف[٣] المعروف عند العرب قبل الإسلام[٤] . والمراد بالحلف هنا قبول فرد ما محالفة قبيلة غير قبيلته والدخول فى عهدها ، وهو رأى من الصعب التسليم به ، لأن التحالف قبل الإسلام ، بذلك المعنى يمثل نظامًا طبقيًا ينظر فيه إلى الحليف على أنه أقل منزلة من حليفه أو سائر أفراد القبيلة التى دخل فى حلفها حتى أن ديته كانت النصف[٥] ، بينما نجد أن المؤاخاة الإسلامية كانت تجعل الأخ المسلم منزلة تقدمه على أخوة ذوى الأرحام فى ناحية الميراث بعد الممات[٦] . ثم أن المؤاخاة لو كانت كالأحلاف فى الجاهلية لاقتضى ذلك ضرورة تواجد المتحالفين وطلب أحدهما من الآخر محالفته . بينما فى المؤاخاة كنظام عام يمكن فرضه ، نجد أنها تتم حتى ولو كان أحد المتآخين فى سفر بعيد ، كما حدث بالنسبة لجعفر بن أبى

---

(١) ابن سعد : الطبقات جـ٣ ص٤٧٢ .

(٢) نفس المصدر جـ٣ ص٥٤٧ .

(٣) اختلفت المؤاخاة عن الحلف من حيث أن لها سمة اجتماعية أعمق وتتبعها التزامات مالية ، وكانت فردية ، وبعضها بين فردين من المهاجرين إلا أن أكثرها كانت بين الأنصار والمهاجرين فقد شملت خمسة وأربعون رجلاً من المهاجرين مع مثل هذا العدد من الأنصار من ضمنهم سبعة عشر ممن حضر بيعة العقبة وهم من عشائر مختلفة إلا أن أكثرهم من بنى النجار .

صالح أحمد العلى : الدولة فى عهد الرسول المجلد الأول ص٨٦ .

(٤) أحمد إبراهيم الشريف : مكة والمدينة ص٣٨٦ .

(٥) جاد المولى وآخرين : أيام العرب ص٦٢ - ٦٤ .

(٦) يقول ابن سعد : « آخى بينهم على الحق والمؤاساة ويتوارثون بعد الممات ، دون ذوى الأرحام » انظر الطبقات جـ١ ص٢٣٨ .

طالب الذى كان مقيمًا فى الحبشة بعد هجرته إليها حين آخى الرسول بينه وبين معاذ بن جبل وكان موجودًا مع الرسول فى المدينة([1]) . ولربما أن من أهداف المؤاخاة أن تصبح بديلاً للحلف الجاهلى ، إلا أنها تختلف عنه فى طريقة التعاقد . وكان الرسول ﷺ حين سئل عن الحلف قال : لا حلف فى الإسلام([2]) .

والمرجح أن يكون الهدف الرئيسى للمؤاخاة ، وهو الرغبة فى ربط القبائل عن طريق دخول أفرادها فى أخوة إسلامية([3]) من شأنها التخفيف من حدة العصبية القبلية([4]) . وذلك يعنى أن عدم تمثيل أى بطن أو عشيرة فى المؤاخاة ، إنما قصد به الضغط بطريق مباشر على القبائل وإشعارهم بطريقة عملية بأن العصبية القبلية والافتخار بصلة الدم والقرابة لم تعد ذات شأن عظيم فى هذا المجتمع الإسلامى القائم على المحبة والتعاون والتضحية بين أفراده([5]) .

ومن ثم فعليهم أن يذعنوا لرأى الأمة الإسلامية ويدخلوا فى عصبتها السامية . وندلل على ذلك بما لوحظ من عدم دخول بعض بطون الأوس فى المؤاخاة مثل بنى حارثة الذين كانوا رغم إسلامهم ، متمسكين بعصبيتهم القبلية كثيرًا . فكانوا يبدون شيئًا من النفور تجاه بنى عبد الأشهل ، لما كان بينهم من عداوة قديمة فى الجاهلية([6]) . وذلك يعنى أن الأسرة والعشيرة ملزمة بأن تتنازل

---

(١) ابن إسحاق : السيرة جـ٢ ص٣٥٢ .

(٢) ابن حجر : الإصابة جـ٢ ص١٧٢ .

(3) Arnold : Sir Thomad. S. The Preching of Islam p. London 1935.

(٤) يشير الدكتور/ محمد عبد الستار عثمان فى كتابه : المدينة الإسلامية ص٥١ إلى اتجاه الرسول إلى إبدال العصبية القبلية بعصبية الموطن ، فبدأنا نسمع مسميات أخرى بدل مسميات القبائل « كأهل قباء » و« أهل الطائف » .

(٥) ابن سعد : الطبقات جـ١ ص٢٣٨ .

(٦) ابن إسحاق : السيرة جـ٢ ص٢٩٨ .

الأمة عن حق النظر فى النزاع المدنى أى النزاع يحدث بين أسر المدينة حيث أن أول مهمة للأمة هى أن تمنع القتال بين ذويها[١] .

ولا ريب أن التخلى عن العصبية القبلية أو إضعافها سوف يجرد القبيلة من بعض تقاليدها الجاهلية ، وخاصة تلك التى تعد إحدى وظائف الدولة كالإجارة حيث كان الرجل يضطر بدافع من عصبيته إلى التمسك بها ؛ أما وقد ضعف تأثير العصبية القبلية و لم تعد ذات قيمة لأن كل المسلمين أخوة فإنه بالتالى سوف لا يكون للإجارة قيمة أو معنى .

ومبدأ العقد والجوار كان يحق للفرد بموجبه أن يتدخل لحماية من له عقد وجوار لديه ، دون أن يكون للسلطة حق الاعتراض[٢] . وذلك أن المجير يكون ملزمًا أدبيًا بتنفيذ بنود الإجارة وإلا لحقه عار ، حتى وإن كان من يجير على غير دينه أو معتقده[٣] .

والمعروف أن بين قريش والخزرج علاقات فى مجالات التجارة[٤] والسياسية[٥] إلى جانب ما كان بينهم من صلات المصاهرة[٦] ؛ وقد زادت

---

(١) قال تعالى : ﴿ فإن تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول ﴾ النساء : الآية ٥٩ .
انظر أيضًا : فلهوزن : الدولة العربية ص١٨ .

(٢) ابن إسحاق : السيرة جـ٢ ص٣٠٨ ، Arnold : The Preching of Islam pp. 31 - 32
الشريف : مكة والمدينة ص٣٢ - ٣٤

(٣) ابن إسحاق : السيرة جـ٢ ص٣٠٨

(٤) ابن إسحاق : نفسه ، الطبرى والملوك جـ٢ ص٣٦١ .

(٥) ابن إسحاق : نفسه ، الطبرى ، جـ٢ ص٣٦٨ .
العصامى (عبد الملك حسين بن عبد الملك المكى (ت ١١١١هـ/١٦٩٩م) : سمط النجوم العوالى فى أنباء الأوائل والتوالى جـ١ ص٣١١ المطبعة السلفية القاهرة ١٣٩٧هـ .

(٦) ابن إسحاق : نفسه ، ابن قدامة : الاستبصار ورقة ٣ (مخطوط) .

ولا شك العلاقات قوة بمبدأ المؤاخاة الذى ربط بين كثير من الخزرج وقريش(١) وذلك سوف يسقط أى محاولة قد تقوم بينهم لإحياء مبدأ الإجارة .

الصحيفة (دستور أهل المدينة) :

يتجلى تنظيم الرسول ﷺ الإدارى للمدينة فى أوائل الهجرة فى الصحيفة التى أصدرها فى السنة الثانية من الهجرة ووضع فيها الأحكام التى تبين الخطوط الرئيسية لتنظيم الدولة والمجتمع ولتنسيق العلاقة بنيهما(٢) ، وهى توضح الأحوال الجديدة حيث أصبح المسلمون يؤمنون بإله واحد ويخضعون لأوامر دينية واحدة ويطيعون رسولاً واحدًا .

الأمــة :

فالمسلمون « أمة واحدة من دون النــاس »(٣) أى جماعة يرتبط أعضاؤها برابطة العقيدة الدينية ، فالتنظيم قائم على أسس فكرية أخلاقية وعقائدية وليس على أساس الدم ، والأمة قابلة للتوسع والتقلص تبعًا لعدد من ينضم إليها أو يتركها باختياره ، فبالإمكان أن تتسع عندما يزداد عدد من يؤمن بالعقائد التى تعتنقها ، أو تتقلص بقدر من يترك من أفرادها تلك العقيدة بصرف النظر عن أصله وثروته ، وما دامت تقوم على رابطة العقيدة فإنها تستند على مبادىء روحية

---

(١) انظر ابن حجر : الإصابة جـ٢ ص٥١٨ - ٥١٩ .

(٢) ورد نص الصحيفة فى سيرة ابن هشام جـ٢ ص١١٩ - ١٢١ وفى كتاب الأموال لأبى عبيد ص٢٠٢ - ٢٠٥ وكتاب الأموال لزنجويه ص٤٦٦ - ٤٧٠ كما وردت مقتطفات فى هذين المصدرين وعدد من المصادر القديمة وقد جمعها ونشرها محمد حميد الله تحت عنوان : مجموعة الوثائق السياسية فى العهد النبوى والخلافة الراشدة ، نشر مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة .

(٣) محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية ص١ .

وأخلاقية ، فالسياسة فى الإسلام ممتزجة بالعقيدة والأخلاق ورابطة الأمة تسود كافة الروابط بحيث تنمحى فيها العصبية القبلية .

ونصت الصحيفة على أن « ذمة الله واحدة يجير عليها أدناها »(١) وأن المؤمنين يحمى كل منهم الآخر ، فهم سواسية لا فرق بين صغير وكبير أو غنى أو فقير ، ولكل فرد أن يجير من يشاء من وتكون إجارته باسم الإسلام وعلى كافة المسلمين حماية من يجيره أحد أفرادها(٢) .

والمسلمون « تتكافأ دماؤهم » فديتهم واحدة ، و« المؤمنون بعضهم موالى بعض من دون الناس » وهم « لا يتركون مفرحًا بينهم أن يعطوه بالمعروف والقسط بين المؤمنين » فهم كتلة واحدة يحمى كل منهم الآخرين ويتمتع بحمايتهم ويحظى بمعونتهم عندما يحتاجها(٣) .

الأمن :

وتتجلى وحدة الأمة وتكتلها والروح الجماعية فى وجوب اشتراك المسلمين فى صيانة الأمن ومطاردة المفسدين والامتناع عن حماية المخلين بالأمن حتى ولو كان ولدهم فقد نصت الوثيقة على أن « المؤمنين المتقين أيديهم على كل من بغى منهم أو ابتغى ظلمًا أو إثمًا أو عدوانًا أو فسادًا بين المؤمنين وأن أيديهم عليه جميعًا ولو كان ولد أحدهم(٤) » . وأنه « لا يحل لمؤمن أقر بما فى هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثًا أو يؤيه ، وأن من نصره أو آواه فإنه عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل »(٥) . ومن ثم فالأمن

---

(١) محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية ص٣ .

(٢) صالح أحمد العلى : الدولة فى عهد الرسول ص١٠٥ .

(٣) مجموعة الوثائق السياسية ص٢- ٣

(٤) محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية ص٣ .

(٥) نفس المرجع : ص٤ .

مسئولية جميع الأفراد على اختلافهم يسهم الجميع فى تحقيقه لمصلحتهم وليس تنفيذًا لأوامر خارجية ، فلم يضع الرسول فى المدينة شرطة لمطاردة المفسدين ولاسجونا لحجزهم .

إقرار مبدأ السلطة القضائية فى يد الرسول ﷺ :

تظهر الصحيفة اهتمام الرسول ﷺ بأمر العدالة وتنظيم القضاء ، فقد خصتها الصحيفة بعدد من الأحكام بحيث يمكن القول أنها كانت من أبرز الغايات التى استهدفت الصحيفة تأمينها ، ولا بد أن هذا راجع إلى إدراك الرسول ﷺ أهمية العدالة والقضاء لكل مجتمع سليم ، وأن فقدانها كان من أبرز العيوب فى كل من المجتمع المكى والمدنى ، ومن أقوى أسباب القلق والاضطراب قبل الإسلام وقد نص القرآن الكريم على جعل القضاء من الأمور المتعلقة بالأمن العام إجباريا وحصره بيد الرسول ﷺ لقوله تعالى : ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾(١) .

نصت الوثيقة على « أنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو شجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله »(٢) . وبهذه المادة أوجد الرسول ﷺ سلطة قضائية مركزية يرجع إليها الجميع ، وجعلها ترجع إلى الله وإلى الرسول ، فهى مصطبغة بصبغة قدسية ، ولها قوة تنفيذية ، لأن أوامر الله واجبة الطاعة وملزمة التنفيذ ، كما أن أوامر الرسول ﷺ هى من الله وطاعتها واجبة(٣) .

---

(١) سورة النساء : الآية ٦٥ .

(٢) محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية ص٦

(٣) يشير الدكتور/ محمد عبد الستار فى كتابه : المدينة الإسلامية ص٥٣ إلى ذلك بقوله « ومع استقرار الرسول فى المدينة أضحى رأس الحكومة الإسلامية الناشئة وبهذه الهجرة صارت للنبى ﷺ صفة جديدة هى صفة رئيس الدولة بجانب الصفة الأساسية الأولى وهى صفة النبوة ».

والقضايا التى جعلت مركزية بيد الرسول ﷺ اقتصرت على ما يتعلق بالأمن العام . أما القضايا والخلافات الشخصية المحدودة ، وخاصة ما يتعلق بما نسميه اليوم القانون المدنى من زواج أو إطلاق أو ميراث ، أو فى المعاملات التجارية ، فأنها لا تلزم احالتها إلى الرسول لقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾(١) .

ولا ريب فى أن حكم الرسول ﷺ يقوم على أسس الأعراف المنسجمة مع العدالة ومبادىء الإسلام لقوله تعالى :﴿ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ﴾(٢) وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾(٣) .

- أحوال الحرب والسلم :

ومن المظاهر الجماعية فى تنظيم الرسول ﷺ الإدارى للمدينة هى أمر الحرب والسلم ، فقد خصصت له الصحيفة عدة نصوص ، نظرًا لاقتصار الإسلام فى تلك الظروف على المدينة ، وكان (أى الإسلام) محاطًا بالإعداء والخصوم المتربصين به والعاملين على القضاء عليه بالقوة والقتال ، وقد نصت الصحيفة على أن « سلم المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم »(٤) و« أن المؤمنين يبىء بعضهم عن بعض بما نال

---

(١) سورة المائدة : الآية ٤٢ .

(٢)سورة المائدة : الآية ٤٨ .

(٣) سورة المائدة : الآية ٤٩

(٤) محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية ص٣

دماءهم فى سبيل الله »[١] فلا يجوز أن يقتصر الاشتراك فى الحرب على بعض المسلمين ويبقى آخرون فى حالة سلم مع العدو ، وأن المسلمين يتعاونون فى دماء من يقتل فى سبيل الله .

ولا تقتصر أحكام الحرب على المسلمين ومن تبعهم فحسب ، بل تمتد إلى اليهود أيضا ، وقد نصت الصحيفة على ضمان الحرية الدينية : « لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم أو أثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه أهل بيته »[٢] ونص أيضًا على أن « من تبعنا من يهود فإنه له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم »[٣] .

ولما كانت الهجرة فى الأساس لاتخاذ المدينة قاعدة لنشر الإسلام فى البقاع المجاورة فقد توحد هدف الجميع فى أن قريش عدوة لسكان المدينة على اختلاف أجناسهم واتفقوا على « أنه لا تجار قريش ولا من نصرها وأن بينهم النصر على من دهم يثرب »[٤] ، ليس هذا فحسب ، بل أنه تحتم عليهم الاشتراك فى الحروب الدفاعية عن المدينة « وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم »[٥] .

كذلك نصت الصحيفة على عدم السماح لليهود بإشهار حرب دون إذن الرسول ، ولهذا تأثير كبير فى عدم السماح لهم بمخالفة قريش استنادًا على ما سبق ذكره بأنه لا تجار قريش ولا من نصرها .

---

(١) نفس المرجع والصفحة .

(٢) نفسه ص٤ .

(٣) نفسه ص٣ .

(٤) نفسه ص٦ .

(٥) محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية ص٥ .

وقد نظمت الصحيفة الالتزامات المالية الناجمة عن الحروب التى قد يشترك فيها الفريقان ؛ فقد نصت على « أن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين »(١) « وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم »(٢) أى أنه إذا حدثت حرب وشارك فيها اليهود فأنهم يقومون بالإنفاق على ما يحتاجونه من نفقات . وهو نص عادل إذ لم تجعل الصحيفة الإنفاق على الحرب قسمة بين المسلمين واليهود ، بل إن كل فريق ينفق حسب النسبة العددية لكل منهم وعلى حسب مساحة المنطقة التى يقيمون فيها ويتوجب عليهم الدفاع عنها .

وأعطت الصحيفة للمدينة المنورة من القداسة مالمكة فقد نصت « أن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة »(٣) . ويعنى هذا منع الحروب والقتال بين القبائل والعشائر وتثبيت السلم فى المدينة ، وبذلك وضع الرسول ﷺ حدًا لأقوى عامل فى خلق القلق والاضطرابات ، ولا ريب أن استخدام كلمة « حرام » قصد منه إعطاء السلم طابعًا دينيًا فيكون أثره أقوى ، كما أن هذه المادة تعطينا فكرة عن كيفية ظهور بعض الحرم فى الجزيرة ، وقد استلزم ذلك تحديد حرم المدينة ، فتقررت حدوده ببعض العوارض البارزة فى أطراف المدينة ، وهى لا تتجاوز بضعة أميال ، يسود السلم بين من يقيم داخلها فحسب ، ولا ريب فى أن المسلمين كانوا آنذاك منحصرين فى هذه المنطقة . أما من كانوا خارجها فلم يكونوا قد اعتنقوا الإسلام حتى ذلك الوقت(٤) .

أصبح الرسول ﷺ بعد إصدار هذه الصحيفة التى وضعت القواعد الأساسية لتنظيم العلاقات والنظم الاجتماعية بين سكان المدينة على اختلاف عناصرهم ،

---

(١) نفس المرجع ص٦ .

(٢) نفسه ص٥ .

(٣) مجموعة الوثائق السياسية ص٦ .

(٤) صالح أحمد العلى : الدولة فى عهد الرسول ص١٠٩ .

أصبح الزعيم الذى يتطلع إليه المسلمون من سكان المدينة ولا يعترفون بغير سلطانه(١) .

– محالفات الرسول مع القبائل الواقعة على الطريق بين مكة والمدينة:

وإذا كان رسول الله ﷺ قد نظم مجتمع المدينة ووضع أسس سياستها الداخلية ، فإنه قد حرص على قيام علاقات وطيدة مع القبائل العربية ، وبخاصة تلك القبائل الضاربة على طريق القوافل التجارية بين مكة والمدينة(٢) . فارتبط مع أكثرها برباط الحلف(٣) واستمالها إليه(٤) ، وأمن من حولها من ريف .

ومن الطبيعى أن يبدأ الرسول ﷺ بتنظيم علاقاته مع القبائل القاطنة فى الأطراف القريبة من المدينة والتى تمر من ديارها قوافل قريش ؛ والواقع أنه بدأ ذلك فى وقت مبكر ، ففى الشهر السابع من الهجرة ، كان له حلف قائم مع مجدى ابن عمرو الجهنى ، الذى كان حليفًا لقريش أيضًا . وفى الشهر الثانى عشر تقدم إلى الأبواء وواد ع مخشى بن عمرو الضمرى سيد بنى ضمرة من كنانة (على أن لا يغزو بنى ضمرة ولا يغزونه ولا يكثروا عليه جمعًا ولا يعينوا عليه) و كتب معهم

---

(١) توماس ارنولد : الدعوة إلى الإسلام ص٣٦ - ٣٧ نقله إلى العربية حسن إبراهيم حسن بالاشتراك مع الأستاذين عبد المجيد عابدين وإسماعيل النحراوى .

(٢) رجب محمد عبد الحليم : تاريخ عصر النبوة والخلافة الراشدة ص٨٩ دار النهضة العربية ١٩٨٧م .

(٣) وذلك فى مواجهة ارتباط قريش مع عدد كبير من القبائل فى الحجاز وخارجه باتفاقات ومعاهدات وإيلاف يومن لها علاقة طيبة بها .

صالح أحمد العلى : الدولة فى عهد الرسول ص٢١٣ .

(٤) محمد جمال سرور : قيام الدولة العربية فى حياة النبى محمد ص٩٩ دار الفكر العربى ١٣٧٩هـ/١٩٧٧م .

معهم كتابًا بذلك ، وفى الشهر السادس عشر خرج بنفسه إلى ذى العشيرة وواد ع بنى مدلج وحلفائهم من بنى ضمرة(١) .

ولا شك أن عقد تلك المحالفات كان خطوة ذكية من جانب النبى ﷺ ، إذ أنه بذلك قد أمن جانب تلك القبائل من أن تقوم بالاعتداء ومن ناحية أخرى فإن الارتباط مع الرسول برباط الحلف يضمن به تحذير تلك القبائل له ولجماعة المسلمين بالمدينة فى حالة قيام قريش بغزو مفاجىء فيقوم الرسول وسكان المدينة بإتخاذ التدابير الدفاعية اللازمة لصد هذا العدوان .

– تكوين السرايا الإسلامية :

وكان على الدولة العربية الناشئة أن تستكمل عناصر قوتها ، وخاصة فى المجال الحربى ، فبدأ الرسول ﷺ بإعداد السرايا ، وعقد أول الأمر ألوية بعض السرايا للمهاجرين دون الأنصار ، لأنهم تعرضوا وحدهم لإيذاء قريش بمكة ، وقاسوا آلام الهجرة(٢) . وكانت سرية عبيد بن الحارث أول رأيه عقدها ﷺ ، إذ بعث فى مقامه بالمدينة عبيد بن الحارث فى ستين أو ثمانين راكبًا ليس فيهم من الأنصار أحد(٣) .

كذلك أعد الرسول ﷺ عدة سرايا تقوم بالدوريات الاستطلاعية وللمحافظة على الحدود ، وأحيانًا إيقاع الضرر بمن يعتدى على المدينة مع الانسحاب بسرعة ؛ وكان الهدف من أعمال هذه السرايا تقوية الجبهة الداخلية بالمدينة لتوفير الأمن ورد العدوان الذى يأتى من الخارج ، كما كان من مهمة هذه

---

(١) ابن هشام : جـ١ ص٥٩١ ، ٥٩٩ ، ابن سعد :جـ١ ص٨ ، ١٠ ، الطبرى : جـ١ ص٤٠٣ ،جـ٢ ص٤٠٦ .

(٢) جمال سرور : قيام الدولة العربية ص٩٨ .

(٣) ابن هشام : جـ١ - ٢ ص٥٩١ .

السرايا منع تجارة قريش من المرور بأرض الدولة الإسلامية فى المدينة طبقـًا لنص الصحيفة ، وإشعار قريش بأن أرض الدولة الجديدة لابد من احترامها ، وأنه يتعين عليها الأعتراف بها ، والانفاق معها وإشعارها أيضا بأن مرور تجارتها إلى الشام والعراق مرهون برضاء حكومة الرسول فى المدينة ، كذلك أيضًا كان على قريش أن تغير سياستها العدوانية ، وتترك حرية الهجرة للمسلمين ، الذين ما زالت تمنعهم من الهجرة إلى المدينة وإلا تقف فى وجه الدعوة وأن تترك المجال لحرية نشرها .

وبتكوين السرايا الإسلامية يكون الرسول ﷺ قد استكمل تنظيماته فى المدينة المنورة ، والتى بدأت باختيارها حاضرة للدولة العربية الإسلامية بعد هجرته إليها ، وعمل على سير الحياة فى المدينة بطريقة جديدة خرجت على المألوف والمتعارف عليه بين العرب - عندما أنشأ « المسجد النبوى » ليكون مركزًا للحكم والإدارة الإسلامية فضلاً عن كونه مكانـًا يجتمع فيه المسلمون لأداء مشاعرهم الدينية - وأصر ﷺ أن يؤدى ثمن الأرض التى أقام عليها مسجده حتى لا يكون هناك فضل لقبيلة على أخرى فى أمر إنشائه ، إلا أنه ترك الباب مفتوحـًا أمام الجميع ليشاركوا فى بنائه .

وعلى هذا المنوال عول على أن تكون حياة المسلمين المهاجرين إلى المدينة سهلة وميسرة ولا يشعرون بوطأة الغربة والإحساس بالحاجة فعمد إلى المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، وفى هذا المنحى الذى نحى إليه الرسول لم تكن المؤاخاة أمرًا عاديًا مما تعوده العرب ، بل سما الرسول ﷺ بالمؤاخاة إلى درجة ارتقت بها عن العصبية القبيلية فأصبح ما يربط بين المتآخين الرابطة الدينية وأصبح التوارث بالمؤاخاة إلى أن بطلت بعد غزوة بدر فى رمضان من العام الثانى من الهجرة ونزول آية المواريث التى أعادت المواريث إلى ذوى الأرحام وليتفرغ المسلمون للهدف الأسمى الذى جاؤا من أجله إلى المدينة وهو نشر الإسلام .

و لم تكن المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار عشوائية ، بل حاول الرسـول ﷺ أن تكون متكافئـة بـين الطرفـين فـى أغلـب الأحـوال مـن حيـث المكانـة العلميـة والأدبيـة ، والدرجة الاجتماعية . ونجح فى ذلك نجاحًا كبيرًا .

وأخـذت تنظيمـات الرسـول ﷺ بعـدًا اجتماعيـًا إذ لم يفتـه أن كثـيرًا مـن المهاجرين تركوا ديارهم وأموالهم فبنى لهم فى مؤخرة مسجده الصفة التـى كـانت بمثابة دار للضيافة يأوى إليها من لا دار ولا مأوى له ومنزلاً لـنزول الوافديـن علـى المدينة وعلى رسول الله ﷺ .

وترتب على التحام أهل الصفة بالرسول ﷺ ازدياد التلاحـم بـين المهـاجرين والأنصار والتواد ؛ وإظهار كل فرد من القادرين مشـاعر الحـب والإخـاء وتقديـم كل ما يمكن من تسهيلات ليخفف عن أهل الصفة معاناتهم بقدر الإمكان .

كذلك كان لطول ملازمة الرسول لأهل الصفة أن ظهر منهـم علمـاء رووا عن الرسول ما لم يروه الرواة المعروفين واعترف بذلك طلحة بن عبيد الله(١) .

ونظمت الصحيفة العلاقات بـين المسـلمين مهـاجرين وأنصـار واليهـود فـى كافة المجالات فى شئون السلم والحرب والعقيـدة حتـى ينطلـق الجميـع إلى الهـدف الأسمى وهـو إرغـام قريـش علـى الإذعـان لسـلطان الدولـة العربيـة والدخـول فـى الإسلام .

---

(١) الذهبى : سير إعلام جـ١ ص٢٤ .

الدولة العربية الإسلامية
ودورها فى توحيد الجزيرة العربية

أولاً: موقف الدولة العربية الإسلامية من قريش بعد الهجرة:

- حروب الرسول ضد قريش وحلفائها .
- صلح الحديبية .
- شروط صلح الحديبية .
- فتح مكة .

ثانيًا: دور الرسول فى نشر الإسلام فى الجزيرة العربية وخارجها:

(أ) رسائله إلى ملوك ورؤساء الدول المعاصرة .

(ب) سياسة الرسول تجاه القبائل العربية بعد فتح مكة .

(جـ) حجة الوداع .

الدولة العربية الإسلامية

ودورها فى توحيد الجزيرة العربية

أولاً : موقف الدولة العربية الإسلامية من قريش بعد الهجرة :

لقد كانت الهجرة إلى يثرب والتى أصبحت فيما بعد المدينة المنورة أو مدينة الرسول ﷺ أعظم حدث فى تاريخ الدعوة الإسلامية ، إذ أرست هذه الهجرة دعائم الدولة الإسلامية وأصبح النبى ﷺ نبيًا وزعيمًا سياسيًا لجماعة المسلمين فى المدينة المنورة .

وكانت الخطوة التالية فى سياسة الدولة العربية هى إرغام قريش على الإذعان لسلطان الدولة العربية، فلم تكن الهجرة هروبًا من عنت واضطهاد قريش لجماعة المسلمين فى مكة ، وليست خنوعًا واستكانة لحسن استقبال الأنصار من الأوس والخزرج وركونا إلى الدعة والراحة ، فقد كانت مهمة السرايا الإسلامية التى شكلها الرسول أن تقوم بالدوريات الاستطلاعية المحافظة على الحدود ، وأحيانًا إيقاع الضرر بمن يعتدى على المدينة مع الانسحاب بسرعة ، فقد كان التجاء المسلمين إلى يثرب التى تقع على طريق مكة التجارى فى رحلتها إلى الشام يعرض مصالح قريش للخطر - فضلاً عن أن إيواء يثرب محمدًا وأصحابه من المهاجرين يعتبر بالنسبة للمكيين تحديًا لكبريائهم ، وكان الخوف من غدر المكيين هو الذى دعا الرسول إلى أن يرسل من وقت لآخر بعض السرايا ، لترصد عن كثب تحركات المكيين(١) ، وإشعارهم بان مرور تجارتهم إلى الشام والعراق مرهون برضاء حكومة المدينة ، وإذن فعليها أن تغير سياستها العدوانية نحوها وألا تقف فى وجه الدعوة الإسلامية وأن تترك المجال لحرية نشرها .

---

(١) عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية جـ١ ، ص١١٢ .

على أن قريشًا أغفلت قوة الجماعة الإسلامية في المدينة ، ولم تعترف بالوضع الجديد للرسول في المدينة بوصفه نبيًا مرسلاً وزعيمًا سياسيًا لجماعة المسلمين(١) ، ولم تفكر في الاتصال بالدولة الإسلامية اتصالاً سليمًا ،ولم تعبأ بما حملته سرايا المسلمين من تهديد لقوافلها التجارية ، بل أن قريشًا كما ذكرنا اعتبرت وجود محمدًا وأصحابه في تلك المدينة تحديًا لها وخطرًا يجب القضاء عليه. لذلك انتهزت فرصة أن إحدى سرايا المسلمين دفعها الحماس الديني إلى مهاجمة قافلة لقريش في آخر رجب سنة ٢ هـ / يناير - فبراير ٦٢٤ م فقتلت مكيا وأسرت اثنين(٢) بدون إذن الرسول . فقامت بشن حرب دعائية ضد الرسول وأعلنت أن محمدًا وأصحابه قد استحلوا الشهر الحرام(٣) .

وقد كان في الإمكان لو أراد القرشيون السلام تسوية هذه الحادثة(٤) . وخصوصًا وأن النبي أعلن استعداده فدية الاسيرين(٥) . ومن هنا بدأ الصراع بين مكة والمدينة ، وهو صراع لم تتعود عليه القبائل العربية من قبل ، إذ أنه ليس صراعًا تقليديًا بين القبائل على الكلأ والماء ، وإنما هو صراع على العقيدة ، وكان لا بد من قضاء أحدهما على الآخر(٦) .

---

(١) نفس المرجع ص١١ .

(٢) ابن هشام : السير النبوية جـ١ ، ص ٦٠١ - ٦٠٤ مؤسسة علوم القرآن .

(٣) كانت العرب توقف القتال في أربعة أشهر حرم رجب الفرد وذى القعدة وذى الحجة والمحرم من كل عام ز وقد حسم القرآن الكريم هذه القضية حين نزل على رسول الله قوله تعالى : ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله والبيت الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله ﴾ سورة البقرة آية ٢١٧ .

(4) Bertram : Ies Arabes, p. 41 .

(٥) ابن الأثير : جـ٢ ، ص ٨٦ بيروت .

(٦) عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى لدولة جت١ ، ص١١٢ .

ولم يلبث أن نزل بالمدينة آيات تشرع القتال لحماية العقيدة وتأمين حرية انتشارها ، فليس من أهداف الحرب في الإسلام « نشر » الدعوة ، بل تأمين حرية نشرها ، فلا إكراه في الدين[1] . ثم إن الحرب في الإسلام حربًا دفاعية لصد الاعتداء الخارجي على بلاد المسلمين ، ولم يحدث أن قامت حرب قام فيها المسلمون بالاعتداء على أحد ، ولم يقاتلوا إلا مكرهين لقوله تعالى : ﴿ كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئًا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾[2] ، ثم أذن الله لهم بالقتال من أجل عقيدتهم وأموالهم ولدفاع عن أنفسهم[3] لقوله تعالى : ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنه ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولون ربنا الله ﴾[4] ، وكذلك فإن الحرب لدرء الفتنة ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله الله﴾[5] ، كما أن الحرب لرد العدوان ﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴾[6] .

ومن ثم نرى أن تشريع القتال في الإسلام لم يقصد العدوان أو السيطرة بقدر ما يكون لمنع الفتنة ودفع الظلم ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن

---

(١) لقوله تعالى : ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾ سورة البقرة ٢ آية ٢٥٦ .
(٢) سورة البقرة آية ٢١٦ .
(٣) كان الجهاد استعمال لحق من حقوق الدولة الطبيعية المعترف بها في القانون الدولي الحديث وهو حق البقاء ، وحق الدفاع الشرعي وحق المساواة وحق الحرية، وحق الاحترام المتبادل.
انظر وهبة الرحيلي : آثار الحرب في الفقه الإسلامي ص٩٠ المكتبة الحديثة دمشق ١٩٦٥م .
(٤) سورة الحج آية ٣٩ - ٤٠ .
(٥) سورة الأنفال آية ٣٩ .
(٦) سورة البقرة آية ١٩٠ .

الإسلام يدعو للسلم حتى ولو اضمر العدو الخديعة لقوله تعالى : ﴿ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ، إنه هو السميع العليم ، وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله وهو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين ﴾(١) .

ولقد تطورت الأحداث بعد حادثة رجب سنة ٢ هـ ، ففى ١٧ رمضان سنة ٢هـ/ مارس ٦٢٤م التقى الجمعان فى بدر(٢) ، فقد خرج المكيون فى حوالى ألف محارب يقودهم أبو سفيان شيخ بنى أمية - وهم أعداء بنى هاشم - لمحاربة المسلمين فى المدينة(٣) . فأسرع الرسول ومعه قوة عددها ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ، ودارت المعركة(٤) ، عند بئر يقال لها بدر ، أسفرت عن استشهاد اربعة عشر مسلمًا ، بينما قتل من المشركين سبعين وأسر سبعون آخرين(٥) ، وكان النصر حليف الرسول عليه الصلاة وأصحابه من البدريين(٦) .

---

(١) سورة الأنفالآية ٦١ - ٦٢ .

(٢) بئر على الطريق من مكة إلى المدينة وهى إلى المدينة أقرب إذ تبعد عنها حوالى ١٧٠ كيلو متر والطريق من مكة إلى المدينة حاليًا ٤٢٥ كيلو متر . وبدر الآن مدينة عامرة بها مقابر الشهداء ومسجد العريش فى مكان العريش الذى كان الرسول عليه الصلاة والسلام يدير منه المعركة .

(٣) ابن هشام : حـ ١ ، ص٦٠٧ .

(٤) احصى المؤرخون ستا وعشرون أو سبعًا وعشرين غزوة قادها الرسول قاتل فى تسع منها هى: بدر ، أحد ن الخندق ، قريظة ، المصطلق ، خيبر ، مكة ، حنين ، الطائف ، هذا غير بعوثه وسراياه بقيادة بعض الصحابة اختلف المؤرخون فى عددها ما بين خمس وثلاثين وأربعين . د . محمد أمين صالح : العرب والإسلام ص٦٧ مكتبة نهضة الشرق .

(٥) اختلف فى عد القتلى والأسرى ابن هشام حـ١ ، ص ٦٠٦ وما بعدها . الطبرى : الأمم والملوك حـ٢ ، ص ٤٧٧ ، طبعة بيروت بدون تاريخ .

(٦) يعتبر انتصار المسلمين فى بدر إحدى معجزات الرسول إذ أمكن لجيشه الذى يبلغ ثلث عدد المشركين أن يقتل سبعين ويأسر سبعين بينما لم يستشهد منهم سوىأربعة عشر رجلاً الأمر الذى رفع معنوياتهم وجعلهم يوقنون بأن نصر الله قريب من المسلمين .

وكان لانتصار المسلمين بعيدة الأثر فى تقوية معنويات المسلمين فقد تغلبوا وهم الفئة القليلة على الفئة الكثيرة ونزل فى ذلك قوله تعالى : ﴿ ولقد نصركم الله ببدر وانتم أذلة ، فاتقوا الله لعلكم تشكرون إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ﴾(١) ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق وأضربوا منهم كل بنان ﴾(٢) . بالإضافة إلى ذلك فقد ترتب على ذلك الانتصار دخول كثير فى الإسلام ، فضلاً عن ضعف شوكة اللنافقي واليهود فى المدينة ، كما أن الرسول لم يتردد فى أن يضيف إلى النصر المؤيد من الله نصر آخر ، وذلك بالتخلص من يهود بنى قينقاع ، الذين كانوا يسخرون من مسلمى المدينة ، فحاصرهم الرسول فى ديارهم حتى استسلموا(٣) . ولعله أراد بذلك أن يعطى درسًا لبقية اليهود فى المدينة .

لم يعترف المكيون بانتصار الرسول عليه ، ولذلك صمموا على قتاله والأخذ بثأرهم ، خصومًا أن الرسول قد فرض الحصار الاقتصاد عليهم ، وأصبح دائم التعرض لقوافلهم ، وكان بذلك يريد التأثير المادى والمعنوى على قريش(٤) ، لتعيد النظر فى سياستها وموقفها العدائى من المسلمين ، لكن المكيين خرجوا(٥)

---

(١) سورة آل عمران آية ١٢٤ .

(٢) سورة الأنفال آية ١٢ .

(٣) فقد احتمع بهم الرسول في سوقهم بعد أن اظهروا له الحسد بعد عودته من بدر يقللون من نصره ، فلما أخذ يحذرهم أن يحل بهم ما حل بقريش فردوا عليه بقوله : لا يغرنك أنك لقيت قومًا لا علم لهم بالحرب ، فاصبت منهم فرصة ، أنا والله لئن حاربناك لتعلمن انا نحن الناس .
ابن هشام : حـ٣ ، ٤ ، ص٤٧ - ٤٨ .

(٤) بلغ من تأثر قريش لهزيمتها فى موقعة بدر أنها رصدت جميع أموال القافلة التى حاول المسلمون اعتراضها لحرب الرسول والقضاء على أصحابه .
ابن هشام : حـ٣ - ٤ ، ص ٦٠ .

(٥) دعت قريش حلفائها من ثقيف وقبائل تهامة وكنانة للاشتراك معها فى محاربة المسلمين ، كما استعانت أيضًا بالأحابيش .
الطبرى : حـ٢ ، ص٥٠١ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حـ٢ ص ٥٦ بيروت بدون تاريخ .

فى ألـف فـارس بـالدروع وثلاثـة آلاف مـن المشـاة ، وخلفهـم النسـاء ينشـدون الأناشيد لرفع معنويـاتهم(١) ، يتقدمهـم أبـو سـفيان - القـائد المنهـزم فـى بـدر - فخرج الرسول فى ألف رجل من المسلمين ، وهو راكب فرسه وليس مع المسلمين غيره، وفرس آخر لأحد الصحابة . وفى الطريق تخلف ثلاثمائة مع عبد الله بن أبـى رأس النفاق فى المدينة(٢) . ثم عسكر الرسول بمـن معـه مـن المسـلمين عنـد جبـل أحد، ليجعل المدينة فى أعقابهم إذا ما توجه إليه الكفار ، وبذلك يتمكن من قطـع خطوطهم ، ولقد برهن الرسول عليه الصلاة والسلام فى هذه الوقعة علـى مقـدرة حربية فائقة ، إذا نظم المقاتلة فى صفوف للقتال بأسلوب الصف ، وتخـير الأشـداء منهم ليكونوا طليعة الصفوف ، وأصدر أوامره بألا يقاتل أحد إلا بـأمره ، وحثهـم على الصبر فى القتال ، وجعل الرسول جبل أحد خلف ظهره ، ووضع رماة النبال فى المؤخرة على جبل عينين - جنوبى أحد - لحماية ظهور المسلمين(٣) ، وأمرهـم

---

(١) ابن هشام : جـ٢ - ٤ ص٦١ - ص ٦٢ ، ص ٦٧ .

(٢) أشار البعض على الرسول بالبقاء فى المدينة والدفاع عنها ، بينما رأى البعض الآخر وهم فريق الشباب أن يخرجوا للقاء عدوهم ، فلما مال الرسول إلى الرأى الثانى تخلف عبد الله بن أبى ومن معه .

ابن هشام : جـ٣ - ٤ ص ٦٣ - ص ٦٤ ، الطبرى : جـ٢ ص ٥٠٢ ، وما بعدها .

(٣) عين الرسول ﷺ عبد الله بن جبير قائدًا رفوقة الرمـاة وأوصـاه بقولـه : انضـح الخيـل عنـا بالنبل ، لا يأتون من خلفنا أن كانت لنا أو علينا ، فأثبت مكانك لا نؤتين من قبلك .

ابن هشام : جـ٣ - ٤ ص٦٥ - ص ٦٦ ، ابن الأثير : جـ٢ ص١٠٥ .

اهتم الرسول فى أول تنظيمه لجيشه بوضـع الرمـاة هكـذا لأنـه ﷺ لاحـظ أمريـن أولهـا أن موضع جبل الرماة نقطة ضعف ميدانية يمكن الولوج منها وهى خلف جيشه وثانيها مـا رآه من تفوق مطلق لفرسان العدو بقيادة خالد بن الوليد فسد هذه النقطة بخمسين منتقيـن مـن أمهر الرماة بقيادة بطل رأم هو عبد الله بن جبير .

عبد الفتاح عشماوى : نظرة فى غزوة أحد ص٨٨ ، محاضرات الجامعـة الإسـلامية بالمدينـة المنورة ، الموسم الثقافى ١٣٩٤ - ١٣٩٥هـ .

بالثبات فى مواضعهم وألا يتركوها مهما حدث(١) . ودار القتال عنيفًا فاضطر القرشيون إلى الهرب فى بدء القتال ، فترك رماة النبال أماكنهم لجمع الغنائم مخالفين بذلك أمر النبى(٢) ، فانتهز خالد بن الوليد أحد قواد المشركين - وكان ما يزال على الشرك - الفرصة ، والتف بفرسانه حول المسلمين وهجم عليهم من ناحية الجبل وقتل كثيرًا منهم(٣) ، فاضطربت صفوفهم وتفرقوا ، ما عدا قلة من المسلمين(٤) ، وقفوا بجانب الرسول يقاتلون فى شجاعة المؤمنين وحرصهم على الموت ، واستطاع الرسول أن يفك الحصار ويصعد قمة الجبل فيراه المشركون وقد اشيع بينهم أنه قتل(٥) ، ويحاولون الفتك به ، لكن المسلمين كانوا قد ألتفوا حوله بعد أن دوى صوت كعب بن مالك يعلن أن الرسول مازال حيًا ووحدوا صفوفهم وقاموا بهجوم مضاد على فرسان خالد بن الوليد واستطاعوا صد قواته ، فلما فشلت جميع محاولات المكيين الهجومية للقضاء على جيش المسلمين ، قررت قريش إنهاء القتال ، بعد أن أخذت بثأرها من المسلمين . وأسفرت المعركة عن استشهاد واحد وسبعون من المسلمين ، وقتل من قريش إثنان وعشرون رجلاً(٦) .

---

(١) ابن هشام : حـ ٣ ، ٤ ، ص ٦٥ ، الطبرى : حـ٢ ص ٥٠٧ . بيروت .

(٢) عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربةي حـ١ ص١١٦ .

(٣) ابن الأثير : حـ٢ ص ١٠٧ بيروت .

المقريزى : امتاع الأسماع حـ١ ، ص ١٢٥ - ص ١٢٨ .

(٤) وصار المسلمون كما يقول الطبرى ثلاثة أقسام ما بين قتيل وجريح ، وفريق منهزم جهدته الحرب لا يدرى ما يصنع ، وقد حاول هذا الفريق الهرب فى ثنايا الجبال . ولم يثبت مع الرسول سوى أربعة عشر ، سبعة من المهاجرين ومثلهم من الأنصار .

، تاريخ الأمم والملوك حـ٢ ، ص ٥١٤ وما بعدها .

، المقريزى : أمتاع الأسماع حـ١ ، ص١٥٧ .

(٥) ابن هشام : حـ٣ - ٤ ص ٧٩ وما بعدها .

وان الرسول قد سقط على جانبه فى الحجارة فاصيبت رباعيته وشج فى وجهه وجرحت شفته وكان الذى أصابه عتبة بن أبى وقاص .

(٦) ابن هشام : حـ٢ - ٤ ص ٩٣ ، ص ١٠١ ، ص ١٢٢ ، ص ١٢٩ .

، ابن الأثير : حـ٢ ، ص١٠٥ - ص ١١٠ .

ولكن على الرغم من كثرة خسائر المسلمين فإن النصر بقى إلى جانبهم ، ذلك أن خسائر المسلمين بلغت واحدًا وسبعين شهيدًا من بين سبعمائة رجل اشتركوا في المعركة ، إذن فالخسارة تبلغ نسبتها ١٠٪ ولما كان هدف المكيين القضاء على قوة المسلمين قضاء تامًا . إذن فمعنى فك الحصار وخروج ٩٠٪ من قوات المسلمين سليمة أن العدو لم يحقق غرضه ، كما أن هذا الانتصار لم يستطيع أن يؤثر في معنويات المسلمين ، وإلا لما استطاع المسلمون الخروج لمطاردة قريش بعد يوم واحد من المعركة بقيادة الرسول وبنفس القوات التى اشتركت فعلاً فى أحد ، دون أن يستعين بغيرهم من الناس(١) ، وفضلا عن ذلك فقد تلقى المسلمون في هذه الموقعة أنفع درس حل بهم بعد تلك الانتصارات التى اعتادوها ، كما كشفت لهم عن المنافقين فى المدينة ، فطهروا صفوفهم وهذا مكسب كبير لا يقدر بثمن .

كان من أثر معركة أحد أن لجأ الرسول عليه الصلاة والسلام إلى يهود بنى النضير يستعينهم فى دية رجلين قتلهما عمرو بن أمية الضمرى من بنى عامر استنادًا لما نصت عليه الصحيفة « بأن اليهود ينفقون مع المؤمنين مادموا محاربين : وبينما كان الرسول جالسًا بجانب جدار منزل ألقى أحدهم حجرًا يريد قتله ، فقام من فوره وعاد إلى المدينة ليجمع المسلمين على حربهم فى ربيع الأول سنة ٤هـ أغسطس - سبتمبر ٦٢٦ م وحاصرهم فى حصونهم خمسة عشر ليلة ، ولما لم يجد بنو النضير آية مساعدة من جانب أخوانهم بنى قريظة أو من جانب المنافقين ، لذلك

---

(١) ابن هشام : نفسه .
، انظر أيضًا ولفنسون : تاريخ اليهود ص١٣٥ .
، عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى جـ١ ص١١٦ .

طلبوا الصلح على الجلاء عن المدينة ، فأجيبوا إلى ذلك ، وخرجوا من المدينة ونزل أكثرهم بخيبر والباقي ذهب إلى الشام[١] .

لما علمت قريش أن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يقتل أفزعها ذلك وأدركت أن القضاء عليه لن يكون إلا بتدمير المدينة التي تأويه ، وصممت هذه المرة على قتاله في عقر داره ، وكونت حلفا كبيرًا - سعى إليه يهود بني قينقاع وبني النضير[٢] - وانضم إلى قريش حلفائها من الأحابيش وبني كنانة وغطفان[٣] والقبائل البدوية والعشائر في تهامة ونجد ، هذا بجانب يهود بني قريظة[٤] ، وتكون منهم عشرة آلاف مقاتل بقيادة أبو سفيان الذي أرسل قبل أن يزحف بجيشه إلى الرسول كتابًا يطالبه بنصف نخل المدينة ، ولكن الرسول رد عليه بكتاب قال فيه أنه في انتظاره[٥] ، فزحفت الأحزاب إلى شمال المدينة في معسكرين في

---

(١) ابن هشام : جـ٣ - ٤ ص١٩٠ - ١٩٢ .
، البلاذري : أنساب الأشراف جـ١ ص٣٣٩ ، دار المعارف ١٩٥٩ .
، ابن الأثير : جـ٢ ن ص ١١٩ بيروت .

(٢) عز على يهود بني النضير أرضهم التي أخرجوا منها ، وعزموا على الانتقام من الرسول والمسلمين ، ولما لم يكن ذلك ممكنا لهم بمفردهم ن فقد تحالفوا مع مشركي قريش واعترفوا لهم بأن الوثنيةخير من دين الإسلام ، وأقر بذلك حيي بن أخطب وسلام ابن أبي الحقيق وغيرهما . ابن هشام جـ٣ - ٤ ص ٢١٤ - ص ٢١٥ .

(٣) خرجت غطفان وزعيمها عيينة بن حصن الفزاري ، والحارث بن عوف في بني مرة ومسعر بن رحيلة في أشجع . ابن هشام جـ٣ - ٤ ص ٢١٥ .

(٤) وهم بقية اليهود في المدينة والذين كانوا يكرهون المسلمين لأخراجهم بني قينقاع وبني النضير .
ولفنسون : تاريخ اليهود ص١٤١ ، عبد النعم ماجد : ص ١١٧ .

(٥) انظر الطبري : جـ٢ ص ٥٦٤ - ص٥٨١ ، ص ٥٩٤ .

شوال عام ٥ هـ / مارس ٦٢٧م عند مجمع الأسيال من رومة وغطفان بذنب نقمى إلى جانب أحد(١) ، وعندئذ جمع الرسول أصحابه للنظر فيما تتعرض له مدينتهم ، واستقر الرأى على عدم الخروج من المدينة ، مع حفر خندق(٢) ، لحمايتها من الجهة الشمالية(٣) ، وقد عين الرسول لكل قبيلة حدًا يحفرون إليه واشتغل معهم بنفسه فى الحفر ، وجعل للخندق أبوابًا عهد بحراسته إلى نفر من المسلمين ، فاختار من كل قبيلة رجلاً وولى الزبير بن العوام الرئاسة عليهم(٤) ، ولما تم حفر الخندق عسكر الرسول وأصحابه ، فجعل جبل سلع خلف ظهره والخندق أمامه(٥) .وعندما وصل المكيون المدينة ، فوجئوا بخطة بخطة دفاع لم يعرف بها العرب من قبل الأمر الذى أثار دهشتهم ، و لم يحاولوا عبوره ، وفضلوا البقاء حتى يخرج المسلمون لقتالهم وأحاطوا بالمدينة من كل جانب ، وبعد حصار استمر نحو شهر تقريبًا ، كان لابد للأحزاب من أحداث ثغرة فى خطوط دفاع

---

(١) ابن هشام : جـ٣ - ٤ ص ٢١٩ - ص٢٢٠ ، الطبرى : جـ٢ ، ص٥٧٠ بيروت ، ابن الأثير : جـ٢ ص ١٢٢ - ١٢٣ .

(٢) وكان ذلك بناء على مشورة سلمان الفارسى .

الطبرى : جـ٢ ص ٥٦٦ .

(٣) ابن هشام : جـ٣ - ٤ ص ٢٢٠ .

إذا صحت الرواية القائلة بأن الرسول وكل إلى كل عشرة من المسلمين حفر قطعة من الأرض طولها أربعون ذراعًا فإننا نستطيع أننستنتج أن طول هذا الخندق اثنى عشر ألف ذراع ، هذا إذا افترضنا أن الذين عملوا فى حفره رجال الجيش الذين بلغ عددهم ثلاثة آلاف . الطبرى : جـ٢ ، ص ٢٧٠ ، حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى جـ١ ص١١٧ - ص ١١٨ طبعة ١٩٨٢ .

(٤) اليعقوبى : تاريخه جـ٢ ص ٣٧ .

، جمال سرور : قيام الدولة العربية فى حياة النبى محمد ص ١١٣ .

(٥) الطبرى : جـ٢ ص ٥٧٠ ، المقريزى : أمتاع الأسماع جـ١ ص٢٢٠ - ص ٢٢٥ .

المدينة لأحراز النصر وتحقيق الأهداف ، فسعى يهود بنى النضير إلى استمالة بنى جلدتهم بنى قريظة لينقضوا العهد ، وينضموا إلى الأحزاب ، وسعى فى ذلك حيى ابن أخطب النضرى لدى كعب بن أسيد سيد بنى قريظة وجعله يوافق[١] .

وهكذا ظهرت خيانة بنى قريظة فى وقت الحصار وعظم البلاء واشتد الأمر على المسلمين ، إذ أحاط بهم العدو من فوقهم ومن أسفل منهم ، وعبر أحد الأوس[٢] عن حالة المسلمين بقوله : كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط[٣] ، كما استأذن أحد الخزرج[٤] على ملأ من قومه رؤسول الله العودة إلى بيوتهم بحجة أنها مكشوفة لأنهم خارج المدينة[٥] .

وقد شعر الرسول ﷺ بشدة الوطأة على المسلمين فسعى إلى تفرقه غطفان عن الأحزاب ، فبعث إلى زعمائهم يعرض أن يعطيهم ثلث ثمار المدينة بشرط الانسحاب ، ودارت المفاوضات وطلبوا النصف ، وكتبت صحيفة الصلح ، ولم

---

(١) ابن هشام : حـ٣ - ص٢٢٠ - ص ٢٢١ ، ابن الأثير : حـ٢ ص ١٢٣ وكان ذلك بسعى أبو سفيان بن حرب . طبقات ابن سعد حـ٣ ص ١٠٩ .
، جمال سرور : قيام الدولة العربية ص١١٣ .

(٢) هو معتب بن قشير أحد بنى عمرو بن عوف قال عنه ابن أسحق أنه من المنافقين ونفى عنه ابن هشام ذلك لأنه من أهل بدر . انظر السيرة النبوية حـ٣ - ٤ ص٢٢٢ .

(٣) ابن هشام : حـ ٤ ص ٢٢٢ ، اليعقوبى : تاريخه حـ٢ ص ٥١ .
، حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى حـ١ ، ص١١٩ .

(٤) هو أوس بن قيظى أحد بنى حارث ابن هشام : حـ٢ - ٤ ص٢٢٢ .

(٥) وقد صور القرآن الكريم ذلك أبلغ تصوير فى قوله تعالى : ﴿ إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم ، وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ، وتظنون بالله الظنونا . هنالك ابتلى المومنون وزلزلوا زلزالاً شديدًا ﴾ سورة الأحزاب آية ١٠ - ١١ .

يكن الرسول عليه الصلاة والسلام ليبرم هـذا الصلـح ويضعـه موضـع التنفيـذ دون مشوره أصحابه وخاصة الأنصار ، فاجتمع مع سعد بـن معـاذ وسعد بـن عبـادة وطلب رأيهما فى ذلك فقالاً يا رسول الله إن كنت أمرت بشئ فأفعله فقل لهما : بل هو شئ أضعه لكم فقالاً : فإنـا لا نـرى أن نعطيهـم إلا السـيف فقـال : فنعـم إذا[١] .

لم يشتبك المسلمون مع القرشيين وحلفاؤهم فـى حـرب حاسمـة فـى واقعـة الخندق ، وإنما اقتصر الأمر على مبارزات فردية بين الفريقين ، وحصار مـن ناحيـة قريـش للمدينـة ، ومـع أن الحصـار لم يطـل أمـده فـإن أثـره كـان سـيئًا بالنسـبة للمسلمين[٢] ، فلما اشتد عليهم البلاء بسبب ذلك الحصار رأى الرسول أن الحيلة التى اتبعتها قريش لاستمالة بنى قريظة إلى جانبها يستطيع أن ينقضها بحيلة مثلهـا ، فعهد إلى نعيم بن مسعود الأشجعى الغطفانى بتفريق كلمة الأحـزاب ، وكـان قـد قدم مع قومه لمحاربة لمسلمين فهداه الله إلى الإسلام وأتى النبى ليلاً وأعلـن إسـلامه وطلب من الرسول أن يكلفه بما يريد فقال له الرسول : إنما أنت فينا رجل واحد ، فخذل عنا أن استطعت فإن الحرب خدعة »[٣] .

فاستعمل نعيم دهاءه ومكره ، كما استغل صداقته لبنى قريظة فتوجه إليهـم أولا وأشار عليهم ألا يقاتلوا مع قريش وغطفان حتى يأخذوا رهائن من أشـرافهم. ثم قدم على قريش ثم غطفان وأعلمهم أن بنى قريظة قد ندموا على ما كان منهم، وأنهم راسلوا محمدًا ليسلموه سبعين رجلاً مـن أشـراف قريـش وغطفـان لتضـرب

---

(١) ابن هشام : حـ ٣ - ٤ ص ٢٢٤ ، ابن الأثير : حـ٢ ص ١٢٤ .
، البلاذرى : أنساب الأشراف حـ١ ص٣٤٦ .

(٢) بلغ من شدة وطأة الجوع على الرسول والمسلمين أن كانوا يربطون الحجارة على بطونهم.

(٣) ابن هشام : حـ٣ - ٤ ص٢٢٩ .

أعناقهم ، على أن يعـود بنـى النضـير إلى بلادهـم ، وأشـار علـى كـل مـن قريـش وغطفان بعدم إعطاء الرهائن(١) .

وأثمرت الحيلة ، فعندما أرسل أبو سفيان إلى بنى قريظة عكرمة بن أبى جهل ليلة السبت من شوال ٥ هـ / مارس ٦٢٧ م يطلب إليهـم الخـروج والغـدو لقتـال الرسول ، وقد طال بقاءهم على الحصار ، اعتذر اليهود بأن الغد هو السبت وأنهم لا يقاتلون أو يفعلون شيئًا ، كما أنهم لن يقاتلون إلا إذا أخذوا منهم رهائن حتـى لا تعود قريش إلى بلادهم فيصبحوا وحيدين أمام المسلمين . وحدث نفـس الشـئ مع غطفان ، وصمم بنـو قريطـة علـى أخـذ الرهـائن(٢) ، وظهـر عـدم الثقـة بـين الأحزاب .

على أى حال فقد أجهد المشركون بقاءهم فى العراء مدة طويلة ، وفشـلت كما فشلت من قبل محاولة لبعض فرسان قريش اقتحـام الخنـدق مـن مكـان ضيـق أجبروا على التراجع بعد مقتل أحدهم مبـارزة(٣) ، ثـم غـدا المشـركون فـى اليـوم التالى فقاتلوا المسلمون من وراء الخندق(٤) لا يقاتلون سوى التراشق بالسهام(٥) ، فكان الخندق مانعًا قويًا لجحافل المشركين من اقتحام المدينة .

---

(١) ابن هشام : حـ٣

(٢) ابن هشام : حـ٣ - ٤ ص ٢٣٠ - ص٢٣١ .
، ابن الأثير : حـ٢ ، ص١٢٥ .

(٣) وهو عمرو بن عبدود قتله على بن أبى طالب .
ابن هشام : حـ٣ - ٤ ص ٢٢٤ - ص ٢٢٥ ، ابن الاثير : حـ٢ ، ص ١٢٤ .

(٤) البلاذرى : انساب الأراف حـ١ ص ٣٤٥ .

(٥) ابن هشام : حـ٣ - ٤ ص ٢٢٤ .

ولم يلبث أن سير الله سبحانه وتعالى ريحًا عاصفة على المشركين في ليالى شديدة البرد ، فنادى أبو سفيان على الفور قومه بالرحيل ، وسمعت غطفان بما فعلت قريش ، فانسحبوا هم أيضًا(١) ، ونزل في ذلك قوله تعالى في سورة الأحزاب(٢) « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم ، إذ جاءتكم جنود، فأرسلنا عليهم ريحًا وجنودًا لم تروها ، وكان الله بما تعملون بصيرًا » .

وثمة نتيجة مباشرة اعقبت انسحاب قريش وغطفان مباشرة ، هي التخلص من بني قريظة آخر القبائل اليهودية بيثرب ، فقد حاصر المسلمون ديارهم شهرًا(٣)، استسلموا بعدها لحكم رسول الله فيهم ، وتدخل الأنصار من الأوس وهم حلفاء بني قريظة قديمًا ، يتوسطون لدى رسول الله ﷺ يرجون الرأفة بمواليهم السابقين أسوة بما فعل مع بني قينقاع حلفاء الخزرج ، واستجاب الرسول بأن وكل إلى رجلهم سعد بن معاذ الحكم فيهم(٤) ، فقضى بقتل الرجال وسبي النساء والذرية وتقسيم أموالهم بين المسلمين ، ونفذ الحكم على الفور(٥) ، وصارت أموالهم ونساؤهم وأبناؤهم غنيمة قسمت بين المسلمين بعد إخراج الخمس طبقًا لحكم الغنيمة(٦) .

---

(١) ابن الأثير : حـ ٢ ، ص ١٢٦ .

(٢) آية : ٩

(٣) أو خمسة وعشرين يومًا من ذى القعدة وصدر من ذى الحجة عام ٥ هـ .
ابن الأثير : حـ٢ ص١٢٧ .

(٤) ابن هشام : حـ٣ - ٤ ص ٢٣٩ .

(٥) ضربت أعناق الرجال بعد أن حفرت لهم خنادق وكانوا نحو سبعمائه ولم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة هي بنانة زوجة الحكم القرظي لقتلها خلاد بن سويد فقتلها الرسول في خلاء .
ابن هشام : حـ٣ - ٤ ص ٢٣٩ - ص ٢٤٢ .

(٦) ابن هشام : حـ٣ - ٤ ص ٢٤٤ - ص ٢٤٥ .
، ابن الأثير : حـ٢ ص ١٢٧ - ص ١٢٨ ، أمين صالح : العرب والإسلام ص ٨٣ .

ومع قسوة الحكم الصادرة ضد بنى قريظة إلا أن تلك العقوبة هى جزاء الخيانة العظمى التى أرتكبوها بنقض تحالفهم مع الرسول بمقتضى الصحيفة وانضمامهم إلى الأعداء وقت الخطر .

– صلح الحديبية :

لقد كانت جميع حروب النبى كلها دفاعية ، لأنه كان يجنح للسلم ، وظهر هذا أكثر وضوحًا بعد غزو الخندق ، فقد وضح من سير المعارك بين قريش وحلفائها وجماعة المسلمين أن النصر دائمًا فى جانب المسلمين ، وأن أى معركة من جانب قريش تجاه الجماعة الإسلامية فى المدينة المنورة ستكون الهزيمة والفشل من نصيبهم ، إذ فقدت قريش كل قوتها على ضرب المدينة ، وعجزت قوافلها التجارية أن تمر بأراضى الدولة الإسلامية إلى العراق والشام ، وأضر بها الحصار الاقتصادى ، وبدأت القبائل العربية تشك فى قدرتها وتراجع موقفها من التعاون معها ضد النبى ، ثم أن الرسول أصبح زعيمًا فى المدينة تردد القبائل العربية فى كل أنحاء الجزيرة أخبار دعوته ، والجماعة الإسلامية أصبحت قوة لا يستهان بها ، ومع هذا تمسك النبى بالسلم ، وأعلن فى ذى العقدة سنة ٦ هـ / مارس – أبريل ٦٢٨م نيته السلمية وقرر زيارة الكعبة احترامًا لها ، وأرسل إلى القبائل العربية يدعوها للاشتراك معه فى الخروج إلى الكعبة للزيارة ، لا للقتال ، حتى تعلم العرب كلها أنه خرج فى الشهر الحرام معتمرًا ألا غازيًا .

ولما كانت الخصومة قائمة بين الرسول والمكيين والعلاقات متوترة فقد أمر الرسول المسلمين بالخروج[١] ، وليس معهم من أسلحة سوى السيوف ليؤكد لهم

---

(١) بلغ عدد من خرج مع الرسول من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب نحو ألف وأربعمائه ، ابن هشام : جـ٣ - ٤ ص ٣٠٨ - ص ٣٠٩ .
، ابن الأثير : جـ٢ ص ١٣٢ .

سياسته السلمية ، زد على ذلك أن الرسول أحرم بالعمرة من ذى الحليفة[١] واقتدى به سائر المسلمين ، وساقوا الهدى أمامهم إظهارًا لغرضهم الدينى فكان خروج المسلمين بقيادة الرسول على هذا النحو مسيرة سلمية من أجل السلام لا ملمح فيها للقتال على الإطلاق .

لكن القرشيين أصابهم الذعر لما علموا بمسيرة الرسول ، وأدركوا مدى الأثر الذى تتركه هذه الزيارة فى صفوفهم لو تمت ، لذلك حالوا بين النبى وبين دخول مكة ، وجمعوا حلفاءهم لمؤازرتهم ، فسيرت لذلك قوة من الفرسان على رأسها خالد بن الوليد وعكرمة بن أبى جهل ، فسار المسلمون فى طريق آخر حتى لا تراق دماء ، ووصلوا إلى الحديبية - وهى على بعد ثلاثة أميال شمال مكة - وعسكروا فيها[٢] .

وجاء الرسول ﷺ بالحديبية ثلاث وفادات من قريش بعثوا إليه مكرز بن حفص من بنى عامر بن لؤى ، ثم الحليس بن علقمة سيد الأحابيش ثم عروة بن مسعود الثقفى يحملونه على العدول عن دخول مكة لأن قريشًا ترى أن لا يدخلها عليهم عنوة أبدًا فيشيع ذلك عنهم بين العرب[٣] ، ويرد الرسول على كل وفادة أنه لم يأت للحرب ، إنما جاء زائرًا لهذا البيت ومعظمًا لحرمته ، وبذلك أوفد

---

(١) إن إحرام الرسول عليه الصلاة والسلام من ذى الحليفة وبها أبار تسمى أبار على ، يدل دلالة كبيرة على مدى نية الرسول السلمية إذ تبعد المسافة بين تلك المنطقة ومكة ما يقرب من ٤٢٥ كيلو متر تقريبًا .

(٢) واجه المسلمون فى ذلك المكان مشكلة نقص الماء لتعطل الأبار عند الحديبية فأعطى الرسول سهمه ناجية بن جندب بن عمير نزل به بئر من أبارها فانبثق منه الماء . ابن هشام: جـ٣ - ٤ ص ٢١٠ .

، المقريزى : أمتاع الأسماع جـ١ ص ٢٨٠ - ص ٢٨٤ .

(٣) ابن هشام : جـ٣ - ٤ ص ٣١١ ، ابن الأثير : جـ٢ ص ١٣٦

عثمان بن عفان مندوبًا عنه إلى مكة ، بعد أن اعتذر عمر بن الخطاب عن ذلك(١).

لم يلبث أن هاجم بعض الفرسان المكيين ، كانوا حوالى الخمسين معسكر المسلمين ، لكن المسلمين استطاعوا أسرهم جميعًا ، ثم أطلقهم الرسول حتى يثبت نواياه السلمية عمليًا(٢) ، ولا يترك حجة لقريش تتذرع بها لتجميع العرب ضد المسلمين ، ومع هذا رفضت قريش دخول الرسول مكة لأداء العمرة خوفًا على كانتها ووحدتها .

ولما لم يعد عثمان بن عفان من مكة بعد أن قضى فيها ثلاثة أيام ذاع بين المسلمين أنه قتل مع عشرة من المسلمين ، كان الرسول قد أذن لهم بالذهاب إلى مكة لزيارة أهليهم(٣) . فوقف الرسول يخطب قائلاً : « إن كان حقًا ماسمعنا فلن نبرح حتى نناجز القوم البيعة البيعة أيها الناس » . فتوافد المسلمون يبايعونه على محاربة قريش ، وعرفت هذه البيعة ببيعة الرضوان(٤) وقد أشار إليها القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ إن الذين يبايعونك إنمايبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم ، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرًا عظيمًا﴾(٥) .

---

(١) ابن هشام : جـ٣ - ٤ ص ٣١٢ - ص ٣١٥ .
وقد اعتذر عمر بن الخطاب لعدم وجود من يمنعه من بنى عدى بن كعب من عداء قريش ورشح بدلاً منه عثمان بن عفان بما له من عزة ومنعه فى بنى أمية قومه وقد أجاره فعلاً أبان ابن سعيد بن العاص .

(٢) المقريزى : امتاع الأسماع جـ١ ، ص ٢٩٠ .

(٣) ابن هشام : جـ٣ - ٤ ص ٣١٥ - ص ٣١٦ .

(٤) ابن هشام : جـ٣ - ٤ ص ٣١٥ - ص ٣١٦ .

(٥) سورة الفتح : آية ١٠ .

على أى حال لقد أثبتت هذه البيعة قوة إيمان المسلمين الذين لبوا مسرعين دعوة رسول الله مع قلة عددهم وعدتهم لمناجزة قريش على الرغم من أنهم أتوا معه للعمرة وليسو مستعدين لقتال ، مظهرين بذلك قوة معنوية كبرى أثرت فى معنويات قريش ، التي رأت أن مناصبة المسلمين العداء وهم معسكرون على مقربة من مكة لا يجديها نفعًا الأمر الذى جعلها تقبل بمبدأ التفاوض .

وجاء على رأس وفد المفاوضات سهيل بن عمرو ، وقد أصر الرسول عليه الصلاة والسلام على أن تطلق قريش سراح من أرسلهم من قبله إلى مكة مقابل إطلاق سراح من أسر من قريش ، فلما قدم عثمان ورفاقه من المهاجرين على الرسول أعاد إلى قريش الأسرى من رجالها(١) .

كان سهيل بن عمرو القرشى مزودًا بتعليمات لعقد صلح مشروط ترضى به قريش وهو « أن يرجع عنا عامه هذا » وطالت المفاوضات ، وكانت شاقة وعسيرة . فلم تكن قريش تريد أن يشيع بين العرب « أنه دخلها عليهم عنوة»(٢) بهذه الصورة التى جاء بها الآن ، إنما هى تقبل أن يعود لنفس الغرض فى العام المقبل ويقضى بها ثلاثة أيام(٣) ، فيكون ذلك بموافقتها المسبقة .

وكان لا بد لكى تنجح المفاوضات من تنازل يقدمه الرسول بقبول هذا الشرط المسبق أساسًا لعقد الصلح ، وهو أمر رفضه عمر بن الخطاب الذى كان متواجدا فى هيئة المفاوضات ، واعتبره مهينا فى حق المسلمين . وتحدث فى ذلك إلى أبى بكر وإلى الرسول نفسه بأن قال له : « يا رسول الله ، ألست برسول

---

(١) ابن هشام : جـ٣ - ٤ ص ٣١٦ ، وما بعدها .

، المقريزى : امتاع الأسماع جـ١ ، ص ٢٩٠ - ص ٢٩١ .

(٢) ابن هشام : نفس المرجع والصفحات .

(٣) المقريزى : امتاع الأسماع جـ١ ص ٢٩٢ .

الله؟ قال : بلى وسأله ثانيًا : أولسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى . فسأله ثالثًا : أو ليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى فصاح عمر مستنكرًا : فعلام نعطى الدنية فى ديننا؟» .

غير أن الرسلو عالج هذه الفورة بحكمته وسداده فأجابه بقوله : « أنا عبد الله ورسوله ، لن أخالف أمره ولن يضيعنى » فأجم عمر ، وعلم المسلمون أن الأمر ليس أمر مشورة ومفاوضة ، وإنما هو وحى من الله سبحانه وتعالى فتابوا الله وأيدوا ما فعله الرسول(١) .

كذلك أظهر الرسول تساهلا عند كتابة ديباجة عقد الصلح الذى تم الاتفاق عليه بين الطرفين ، فقد استدعى الرسول عليه الصلاة والسلام على بن أبى طالب ليكتب ما يمليه عليه بحضور الملأ من القوم فقال : - اكتب بسم الله الرحمن الرحيم وهنا رفض المفاوض القرشى هذه الافتتاحية بقوله : لا أعرف هذا . ولكن اكتب باسمك اللهم . فقد كانت العرب تبدأ بها فى مثل تلك الأحوال . فهى عبارة جاهلية غير إسلامية ، ومع ذلك قبل الرسول عليه الصلاة والسلام الاعتراض وقال : أكتب باسمك اللهم فكتبها ، ومضى الرسول فى املائه فقال : اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول سهيل بن عمرو ، ويعترض المفاوض القرشى ثانية على هذه العبارة بقوله : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك(٢) . وتلك براعة من سهيل بن عمرو فى التخلص من الاعتراف بنبوة محمد حسب موقف قريش التى يتفاوض باسمها . ولم يكن الرسول بغافل عن حقيقة ذلك الموقف إلا أنه عليه الصلاة والسلام أصر على المضى فى مسيرة السلام إلى نهايتها . فوافق سهيل بن عمرو إلى ما ذهب إليه قائلاً : « اسمى واسم أبى لا يضيعان نبوتى »(٣) .

---

(١) ابن هشام : ٣ ٤ ص ٣١٦- ص ٣١٧ .
جمال سرور : قيام الدولة العربية ص١٢١ .
(٢) ابن هشام : ٣ - ٤ ص ٣١٧ وما بعدها .
، ابن الأثير : جـ٢ ص ١٣٨ .
(٣) اليعقوبى : تاريخه جـ٢ ص ١٩٢ .

شروط صلح الحديبية :

اتفق الرسول وسهيل بن عمرو فى كتاب الصلح على الشروط التالية[١] :

أولاً : أن تضع الحرب أوزارها بين الفريقين لمدة عشر سنوات .

ثانيًا : أن يرد محمد من يأتيه من قريش مسلمًا ، ولا تلزم قريش برد من يأتى إليها من عند محمد .

ثالثًا : من أراد الدخول فى عهد قريش فله ذلك .ومن إراد الدخول فى عهد محمد من غير قريش جاز له ذلك .

رابعًا : أن يرجع محمد هذا العام دون أداء العمرة ، فإذا كان العام المقبل دخل مكة، بعد أن تخرج منها قريش . وليس معه إلا سلاح المسافر .

لم يكن المسلمون راضين عن تلك الشروط . فهى فى البداية لم تحقق رغبتهم فى زيارة بيت الله الحرام ، وعودتهم إلى المدينة دون أن يؤدوا العمرة وظنوا أن الرسول تساهل مع قريش حيث يجب أن يشتد[٢] .

وكادت تحدث بينهم فتنة بسبب تطبيق البند الثانى من الصلح ، ففى أثناء تحرير الصلح توتر الموقف ، عندما انفلت أبو جندل ابن المفاوض القرشى سهيل بن عمرو ، وكان قد اسلم إلى جانب الرسول عليه الصلاة والسلام فقام أبوه على الفور يأخذ بتلابيبه ويقول : يا محمد لقد لجت القضية بينى وبينك قبل أن يأتيك هذا . لذلك طلب الرسول من أبى جندل أن يعود . فجعل هذا يصرخ بأعلى صوته مستغيثًا بالمسلمين : أأرد إلى المشركين فيفتنونى فى دينى ؟ فتحدث إليه

---

(١) ابن هشام : حـ٣ - ٤ ص ٣١٧ - ص ٣١٨ .

، المقريزى : امتاع الأسماع حـ١ ، ص ٢٩٧ .

(٢) جمال سرور : قيام الدولة العربية ص ١٢٢ .

رسول الله وكأنه يتحدث إلى المسلمين الذين وقفوا يشاهدون إعـادة هـذا الرجـل وهم عاجزون عن نصرته . قال رسول الله يحاول تهدئة النفوس : « يا أبـا جنـدل أصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجًا ومخرجًـا . أنـا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحًا واعطيناهم على ذلك وأعطونا عهـد الله لا نغـدر به(١) .

وبعـد أن فـرغ رسـول الله ﷺ مـن تحريـر العقـد وتوقيـع الشـهود(٢) قـال لأصحابه : قوموا فانحروا ثم احلقوا ، فلم يقم منهـم رجـل ، لكنهـم مـا لبثـوا أن اقتدوا به حين شرع في نحر هديه وجلس فحلق فسارعوا إلى ذلـك(٣) ثـم أمرهـم عليه الصلاة والسلام بالرحيل إلى المدينة(٤) وبينما هـو فـى طريقـه إليهـا أنـزل الله عليه سورة الفتح فتلاً على أصحابه قوله تعالى : ﴿ أنا فتحنا لك فتحًا مبينًـا ليغفـر لك الله ما تقدم مـن ذنبـك ومـا تـأخر ، ويتـم نعمتـه عليـك ، ويهديـك صراطًـا مستقيمًا ، وينصرك الله نصرًا عزيزًا ﴾(٥) . وقد سر المسلمون بنزول هذه السورة

---

(١) سار عمر بن الخطاب بجوار أبي جندل مغضبًا وهو يقول له : أصـبر أنمـا هـم المشـركون . وإنما دم أحدهم دم كلب . ويدنى قائم سيفه منه عله يأخذه ويضرب به أباه فلم يفعل .
، ابن هشام : جـ٣ - ٤ ص ٣١٨ - ص ٣١٩ .
، ابن الأثير : جـ٢ ، ص١٣٩

(٢) أشهد على الصلح رجالاً من المسلمين ورجالاً من المشركين : أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو ، وسعد بن أبـى وقـاص ومحمود بن مسلمة ومكرز بن حفص وهو يومئذ مشرك وعلى بن أبي طـالب وهـو كـاتب الصحيفة .
ابن هشام : جـ٣ - ٤ ص ٣١٩ .

(٣) نفس المرجع والصفحة .

(٤) نفس المصدر ص ٣٢٠ .

(٥) سورة الفتح : الآية الأولى .

وأقبلوا على الرسول يهنئونه وقد اطمأنوا إلى بعد نظر الرسول السياسى فى قبول الصلح الذى اعتبره الله سبحانه وتعالى فتحًا مبينًا .

ترتب على صلح الحديبية نتائج بعيدة الأثر منها :

١ - أن الرسول عليه الصلاة والسلام آثر السلم على الحرب ، علمًا بأنه أتى من مركز القوة ، إذا قدم بعد أن انتصر فى معظم المعارك التى اشتبك فيها مع قريش مما جعلها تذعن وتستجيب لرغباته ، وإن كان فى تأجيل زيارته لمكة حفظًا لماء وجهها([1]) .

٢ - لقد أعطى هذا الصلح جماعة المسلمين كيانًا سياسيًا اعترفت به قريش مما أعطى القبائل الحرية فى التحالف معهم ، فبعد كتابة شروط الصلح دخلت خزاعة فى عهد الرسول، كما أعلن الحاضرون من بنى بكر دخولهم فى عهد قريش([2]).

٣ - ترتب على صلح الحديبية دخول بعض الشخصيات التى لها مكانتها فى قريش فى الإسلام أمثال خالد بن الوليد من بنى مخزوم ، وعمرو بن العاص من بنى سهم وعثمان بن طلحة من بنى عبد الدار([3]) .

---

(١) قدم المسلمون يتزعمهم الرسول الله r مكة فى ذى القعدة عام ٧ هـ وأدى العمرة التى عرفت (بعمرة القضاء) وخرجت قريش من مكة مدة زيارة المسلمين مكة . وبعد ذلك فرض الحج وأصبح ركنًا من أركان الإسلام .

ابن هشام : جـ٣ - ٤ ص ٣٧٠ - ص ٣٧٢ ، ابن الأثير : جـ٢ ص ١٥٤ .

المقريزى : امتاع الأسماع جـ١ ص ٢٥٤ .

(٢) ابن هشام : جـ٣ - ٤ ص ٣٩٠ ، ابن الأثير : جـ٢ ص ١٣٨ ، ص ١٦٢.

وسوف يعطى النزاع بين كل من خزاعة وبنى بكر للرسول فرصة فتح مكة بعد ذلك .

(٣) البلاذرى : أنساب الأشراف جـ١ ، ص ٣٦١ .

، ابن الأثير : جـ٢ ص ١٥٥ - ص ١٥٦ .

٤ - إذا نظرنا إلى البند الذى يقضى بأن لا ترد قريش من ياتيها من قبل محمد وأن يرد الرسول عليه الصلاة والسلام من يأتيه من قريش . فنجد لأول وهله أن عدم التكافؤ واضح فى هذه المسألة ، وهو ما أغضب عمر بن الخطاب وأثاره؛ وكذلك ما اعتبره المسلمون تهاونا من جانب الرسول ، فإذا ما أمعنا النظر فى ذلك نجد أن من يرد إلى قريش بعد إسلامه سيكون شوكة فى جانب المشركين[1] ، إذ أنه سيبقى على إسلامه مهما لقى من عنت واضطهاد ، ليضرب بذلك المثل على قوة الإسلام ومتانته[2] ، الأمر الذى سيغرى الكثيرين من مشركى قريش على الدخول فى الإسلام . أما من يذهب من عند محمد إلى قريش فيكون بذلك قد خرج على شريعة الإسلام ويصبح غير جدير بأن يعود إلى صفوف المسلمين إذ لا حاجة بهم إليه[3] .

٥ - وهذه الهدنة التى قبلها الرسول وكانت فتحًا مبينًا تدل على دبلوماسية ماهرة لأنه بمقتضى هذا الصلح استطاع الرسول أن ينتزع أول اعتراف من مكة بزعامته السياسية للعرب مما كان سببًا فى نشر دعوة إلى الإسلام وبدأ فى

---

(١) وذلك كما فعل أبو بصير عتبة بن أسيد الذى رده الرسول فخرج حتى نزل العيص من ناحية المروة على ساحل البحر الأحمر فى طريق القوافل إلى الشام ، حيث اجتمع إليه نحو سبعين رجلاً أسلموا ، فضيقوا على قريش ، لا يظفرون بأحد منها إلا قتلوه ، ولا تمر بهم قافلة ألا اعترضوها ، حتى كتبت قريش إلى الرسول تسأله ايوائهم إليه فلا حاجة لها بهم فقدموا على الرسول بالمدينة .

ابن هشام : جـ٣ - ٤ ص ٣٢٣ - ص ٣٢٤ ، ابن الأثير : جـ٢ ص١٣٩ - ص١٤٠ .

(٢) اختلف الأمر النسبة للنساء ، إذ رفض النبى طلب قريش رد نساء أتته مسلمات وكان رفض الرسول على أساس شرعى وهو أن المرأة المسلمة لا يجوز لها أن تتزوج من غير المسلم استنادًا إلى قوله تعالى فى سورة الممتحنة آية ١٠ ﴿ يا أيها الذين أمنوا أذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهم فإذا علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار﴾.

(٣) جمال سرور : قيام الدولة العربية ص ١٢٣ .

مخاطبة الملوك والرؤساء يدعوهم إلى الإسلام مثل هرقل عظيم الروم وكسرى فارس ونجاشى الحبشة ومقوقس مصر ، ورؤساء القبائل فى أطراف الجزيرة العربية مثل الغساسنة واللخميين وأهل عمان واليمامة والبحرين وملوك اليمن(١) .

فتح مكة :

وإذا كان صلح الحديبية قد أوقف حالة الحرب بين قريش والمسلمين ، فإنه لم ينه العداء بينهما ، وقد عمل الرسول ﷺ على انتهاز الفرص لتصفية العلاقات بينه وبين قريش وإتمام النصر عليها . فلما بلغه أنها نقضت صلح الحديبية(٢) بإمدادها بعض قبائل بنى بكر بالرجال والسلاح فى الحرب التى قامت بينها وبين حليفته خزاعة(٣) ، فعول الرسول على انتهاز هذه الفرصة للقضاء على مناوأتها وتحقيق رغبته فى دخول مكة وضمها إلى الكتلة الإسلامية(٤) .

---

(١) وقد اختلف فى تاريخ إسال هذه الكتب ، فقيل أنها سنة الحديبية أو فى السنة العاشرة كما يذكرها ابن قتيبة : المعارف ص١٦٥ ، الطبعة الرابعة تحقيق د. ثروت عكاشة .

(٢) يذكر ابن هشام أن قريشًا نقضت الصلح لما علمت بإنكسار المسلمين فى غزوة مؤتة جـ٢ - ٤ ص٣٧٣ - ٣٨٨ ، ابن الأثير : جـ٢ ص١٥٨ - ١٦١ .
عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية جـ ١ ص٢٢ .
محمد أمين صالح : العرب والإسلام ص٩٩ .

(٣) كان هناك ثأر قديم أراد بنو بكر أن يأخذوه من خزاعة فبيتت عند ماء لخزاعة يقال له الوتير بأسفل مكة . وقيل أن رجلاً من خزاعة سمع رجلاً من بكر ينشد هجاء الرسول ﷺ فشجه فهاج الشر بينهم وثارت بكر بخزاعة حتى بيتوهم بالوتير ، وأعانت قريش بنى بكر على خزاعة بسلاح ودواب وقاتل معهم جماعة من قريش مختفين منهم صفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل وسهيل بن عمرو ، فانحازت خزاعة إلى الحرم وقتل منهم نفر فلما دخلت خزاعة الحرم قالت بكر : يا نوفل أنا قد دخلنا الحرم الهك فقال كلمة عظمية : لا إله اليوم. انظر هشام : جـ٣ - ٤ دخلنا الحرم الهك فقال كلمة عظيمة : لا إله اليوم .
انظر ابن هشام : جـ٣ - ٤ ص٣٨٩ ٤٩١ .

(٤) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير جـ٣ ص١٨١ .

ويبدو أن قريشًا أحست بالندم على معاونتها بنى بكر ورأت أن ما فعلته نقض صريح لصلح الحديبية ، فأرسلت أبو سفيان بن حرب إلى المدينة ليفاوض الرسول فى أمر تجديد الصلح ، فأعرض عنه الرسول ورفض طلبه قائلاً : « نحن على مدتنا وصلحنا يوم الحديبية لا نغير ولا نبدل »(١) . فسعى أبو سفيان لدى أبى بكر وعمر وعلى لعل النبى يقبل رجاءهم ، فلم يسمعوا له ، وعاد أبو سفيان إلى مكة فاشلاً(٢) .

كان الرسول ﷺ يرى إذ ذاك أن إخضاع قريش أصبح أمرًا ميسورًا ، فخرج فى العاشر من رمضان سنة ٨ هـ - ديسمبر ٦٣٠م قاصدًا مكة على رأس جيش كبير من المهاجرين والأنصار ، وانضم إليه فى الطريق رجال القبائل من سليم وغفار ومزينة وجهينة وتميم وأسد ، ووصل الجيش مر الظهران وقد بلغ عدده نحو عشرة آلاف . مخفيًا قصده عن عيون قريش حتى يفاجئها بالهجوم وكان بعض رجالات قريش يخرجون يتحسسون الأخبار فيقابلون الرسول ويسلمون عليه، مثل مخرمة بن نوفل وأبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبى أمية وكذا العباس بن عبد المطلب(٣) عم الرسول ، وعلم العباس أن لاقبل لقريش على مواجهة جيش المسلمين ، فحاول أن يبحث عمن يرسله ليحذر قريش ويدلوها للإسلام ، فتقابل مع أبى سفيان بن حرب شيخ قريش ورأس بنى أمية وكان قد خرج أيضًا مع بعض رفاقه ، وهما حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتحسسون

---

(١) المقريزى : إمتاع الأسماع جـ١ ص٣٥٨ .

(٢) ابن هشام : جـ٣ - ٤ ص٣٦٩ ٣٩٧ .

ابن الأثير : جـ٢ ص١٦٢ .

(٣) ابن هشام : جـ٢ ٤ ص٣٩٩ - ٤٠٠ لم يكن العباس قد أسلم قبل ذلك وإن كان موقفه من الدعوة الإسلامية هو موقف المحايد .

عبد المنعم ماجد : التاريخ الساسيى للدولة العربية ص١٢٢ .

الأخبار . فجاء به العباس إلى معكسر رسول الله[١] وشفع لديه أبى سفيان الذى أسلم بين يديه[٢] ، ثم منحه أمانا يبلغه قريشا يتضمن أن من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن . وعاد أبو سفيان إلى مكة ونادى بالأمان الذى أعطاه الرسول[٣] .

لما اقترب الرسول من مكة قسم جيشه أربعة أقسام يدخل كل قسم منها مكة من جهة معينة ، أعطى تعلمياته إلى قواد جيشه ألا يقاتلوا إلا من قاتلهم[٤] ،

---

(١) لما أوصل العباس أبا سفيان إلى خيمة الرسول تبعه عمر بن الخطاب وأراد أن يستأذن النبى فى الإيقاع بأبى سفيان وقد أمكنه الله منه بغير عقد ولا عهد ، ولكن العباس كان يدرأ عنه لأنه كان يرغب فى أن يسلم لكى تنتفع الدعوة بإسلامه » .

ابن عبد البر : الدرر فى اختصار المغازى والسير تحقيق شوقى ضيف ، القاهرة ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م .

أحمد محمود الأحمد : مع السيرة النبوية ص١٢ مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة محاضرات الموسم الثانى ١٣٩٤هـ/١٣٩٥هـ .

(٢) قال الرسول لأبى سفيان : « ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله ؟ قال : بلى . بأبى أنت وأمى ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عنى شيئًا بعد قال : ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله ؟ ... قال بلى بأبى أنت وأمى ، أما هذه فإن فى النفس منها حتى الآن شيئًا فقال له العباس : ويحك ! أسلم وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله قبل أن تضرب عنقك . فشهد شهادة الحق وأسلم معها حكيم ابن حزام وبديل بن ورقاء .

ابن هشام : حـ٣ - ٤ ص٤٠٢ ، ابن الأثير : حـ٢ ص١٦٥ .

(٣) عاد أبو سفيان إلى مكة داعيًا قريش إلى الإسلام مناديًا ومحذرًا « يا معشر قريش ويحكم أنه قد جاء من لا قبل لكم به ، هذا محمد فى عشرة آلاف عليهم الحديد فاسلموا » ابن هشام : حـ٣ - ٤ ص٤٠٤ ص٤٠٥ .

المقريزى : إمتاع الأسماع حـ١ ص٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧٦

(٤) ابن هشام حـ٢ - ٤ ص٤٠٦ وما بعدها .

ابن الأثير : حـ٢ ص١٦٨ - ١٧٠ .

فدخل الجيش الإسلامى مكة دخولاً سلميًا إلا من ناحية الخندمة أسفل مكة التى دخل منها خالد بن الوليد حيث تعرض لمقاومة بعض رجال قريش مع حلفائهم بنى بكر قضى عليها بسهولة(١) ، وأما الرسول فقد دخل مكة من ناحية أذاخر وتوجه إلى الكعبة على راحلته وجعل يطوف ويحطم ما حولها من أصنام(٢) وهو يردد قوله تعالى : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾(٣) . وهكذا انتصر الإسلام وقضى على مظاهر الوثنية فى معاقلها فى مكة وظواهرها وطهر بيت الله الحرام .

عامل الرسول ﷺ القرشيين معاملة تنطوى على كثير من التسامح ، فقد حسب رجال قريش ونساءها أن الرسول سينتقم منهم انتقامًا يوازى ما قاموا ضده من أعمال ، وأقبلوا بكل ذلة وإنكسار ينتظرون حكمه وقد وقف عند باب الكعبة يقرر انتصار الإسلام بقوله : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده » ثم وجه حديثه إلى قريش قائلاً : « يا معشر قريش . ماذا تظنون أنى فاعل بكم ؟ قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم . قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء »(٤) فأقبلوا يبايعونه على الإسلام

---

(١) كان صفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل وسهيل بن عمرو قد جمعوا مع بعض بنى بكر والأحابيش وبنى الحرث بن عبد مناة قتل منهم ثلاثة عشر شخصًا واستشهد من المسلمين اثنان فقط ضلا طريق الجيش .

ابن هشام ، جـ٣ - ٤ ص٤٠٧ وما عبدها ، ابن الأثير : جـ٢ ص١٦٧ .

(٢) ابقى الرسول على الحجر الأسود الذى كان مقدسًا منذ زمن إبراهيم كتاب الأصنام : ص٣١ وما بعدها .

عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى جـ١ ص١٢٣ .

(٣) سورة الإسراء : آية ٨١ .

(٤) ابن هشام : جـ٣ - ٤ ص٤٢١ ، ابن الأثير جـ٢ ص١٧٠ . نهى الرسول عن الهجرة بعد فتحه مكة وابقى سقاية الحجاج فى يد العباس بن عبد المطلب وسدانة الكعبة فى يد عثمان بن طلحة.
المقريزى : إمتاع الأسماع جـ١ ص٣٨٨ ، جمال سرور : قيام الدولة العربية ص١٣٣ .

والإنضواء تحت لوائه(١) ، وبذلك فتحت مكة(٢) واذعنت قريش لسلطان الدولة العربية الإسلامية وحاضرتها المدينة المنورة(٣) .

ثانيًا: دور الرسول فى نشر الإسلام في الجزيرة العربية وخارجها:

(أ) رسائله إلى ملوك ورؤساء الدول المعاصرة :

أتاحت فترة الهدنة المعقودة بين الرسول وقريش بمقتضى صلح الحديبية الفرصة للإسلام كى ينتشر فى بلاد الحجاز ودول العالم المعاصرة ، ولقد شهدت الفترة بين عامى ٧ - ٨هـ/ ٦٢٨ - ٦٢٩م نشاطًا مكثفًا . ذلك أن الإسلام لم يكن دينا قاصرًا على العرب فقط ، بل هو دعوة عالمية كلف الرسول ﷺ بتبليغها لسائر البشرية على وجه الأرض لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾(٤) وقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ

---

(١) كان سقوط مكة سببًا فى زيادة نفوذ الرسول ﷺ فى الجزيرة العربية بحيث أصبح يعرف « بأمير الحجاز أو أمير مكة » .

ابن خلدون : المقدمة ص١٧٩ .

عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة الغربية جـ١ ص١٢٢ .

(٢) أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة ، وقال ابن إسحق : وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان .

ابن هشام : جـ٣ - ٤ ص٤٣٧ .

(٣) تخوف الأنصار من بقاء الرسول فى مكة وقالوا فيما بينهم : أترون رسول الله ﷺ ، إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها ؟ فلما بلغ الرسول ذلك قال : معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم .

ابن هشام : جـ٣ - ٤ ص٤١٦ .

(٤) سورة سبأ : الآية ٢٨ .

جَمِيعًا ﴾(١) وكذلك قوله سبحانه وتعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾(٢) .

وقد أرسل النبى ﷺ مبعوثيه يحملون الرسائل إلى مختلف الشيوخ والحكام يدعونهم إلى الإسلام ، واختلفت ردود الفعل لدى هؤلاء الرؤساء فمنهم من استجاب ، ومنهم من رد ردًا خفيفًا ، ومنهم من رد بعنف وعداء وهناك من وضع شروطًا لقبول دعوة الإسلام مثل هوذة بن على شيخ قبيلة بنى حنيفة وملك اليمامة عندما جاءه سليط بن عمر بكتاب الرسول ﷺ وقد اشترط أن يجعل له الأمر من بعده فى نظير مساعدته ونصرته وإلا قصد حربه(٣) ، غير أن الرسول ﷺ لم يقبل ذلك .

وهناك من قبل الإسلام ديناً مثل المنذر بن ساوى العبدى شيخ قبيلة عبد القيس حاكم البحرين . وكانت البحرين وقتذاك ولاية فارسية يليها المنذر بن ساوى من قبل الفرس ، فقد جاء العلاء بن الحضرمى (٤) مبعوث الرسول

---

(١) سورة الأعراف : الآية ١٥٨ .

(٢) سورة الفرقان : الآية ١ .

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ٢ ص١٤٣ ، ص١٤٦ بيروت وقد ذكر الطبرى : جـ٣ ص٢٨٢ - ٢٨٣ أن بجاعة بن مرارة ونهار الرجال ابن عنفوة كانا ضمن وفد بنى حنيفة وقد أسلما وأقام نهار الرجال عند رسول الله وقرأ القرآن وتفقه فى الدين وعاد إلى اليمامة. ونهار الرجال هذا كان له دوره المؤثر فى إدعاء مسيلمة الكذاب النبوة فى حركة الردة إذ شهد له بالرسالة وإنه شريك رسول الله فكان بذلك أعظم فتنة على المسلمين من مسيلمة .

(٤) أرسل الرسول ﷺ كتابا مع العلاء الحضرمى فكتب إليه المنذر بإسلامه وقال له : « فإنى قرأت كتابك على أهل البحرين فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه ودخل فيه ومنهم من كرهه ، وبأرضى يهود ومجوس فأحدث إلى فى ذلك أمرك » فرد عليه الرسول بأن يترك المسلمين ما أسلموا عليه ومن أقام على يهوديته ومجوسيته فعليه الجزية .
النبهانى : الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية ص١٦٩ - ١٩٠ .
جمال سرور : قيام الدولة العربية ص١٨٠ .

« فأسلم وحسن إسلامه » كما أسلم جيمع العرب بالبحرين ، ومن بقى منهم على دينه من اليهود والنصارى والمجوس فقد صالحهم العلاء والمنذر على الجزية[١].

ويبدو أن الدافع وراء إسلام عبد القيس بالبحرين كان سياسيًا يرمى إلى التخلص من الحكم الفارسي - الأمر الذى أغضب كسرى فارس لذلك نراه يصب جام غضبه على عبد الله بن حذافة السهمى ومعه كتاب الرسول يدعوه فيه إلى الإسلام فيمزق الكتاب[٢] مهددًا ومتوعدًا ، ويكتب من فوره إلى باذان عامله على اليمن التى كانت وقتذاك ولاية فارسية يطلب منه القبض على النبى ، وتذكر المصادر التاريخية أن باذان بعث برجلين فارسيين أحدهما يدعى بابويه والآخر يدعى خرخسره[٣] ، قابلا الرسول بالمدينة وسلماه كتاب بأذان يأمره فيه بالمسير معهما إلى كسرى وقالا : إن فعلت كتب باذان فيك إلى كسرى وإن أبيت فهو

---

(١) ابن الأثير : حـ٢ ص١٣٦ ١٤٧ ، ص١٥٥

ذكر ابن هشام / حـ٣ - ٤ ص٥٧٦ أن المنذر توفى بعد رسول الله وقبل ردة البحرين والعلاء عنده أميرًا لرسول الله على البحرين .

(٢) ونص الكتاب : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدًا عبده ورسوله ، أدعوك بدعاية الله عز وجل فإنى رسول الله إلى الناس كلهم لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين ، أسلم تسلم وأن توليت فعليك أثم المجوس » فلما قرىء عليه الكتاب مزقه ، فبلغ ذلك الرسول ﷺ فقال : مزق الله ملكه .

ابن الأثير : حـ٢ ص١٤٥ - ١٤٦ ، المقريزى : أمتاع الإسماع حـ١ ص٣٠٩ .

النبهانى : الأنوار المحمدية ص١٦٦ .

(٣) ابن الأثير : حـ٢ ص١٤٥ - ١٤٦ بيروت .

ويظهر من ذلك الموقف مدى استعلاء الفرس على العرب واستهانتهم بهم . على أنه لم يكن من السهولة أن يسلم الرسول نفسه لهذين الرسولين وهو عزيز فى قومه .

يهلكك ويهلك قومك !!(١) وأكبر الظن أن باذان فى صنعاء قد وصلته أنباء الرسول والمسلمين مع قريش واليهود وغيرهم ، كما جاءته أيضًا أوامر كسرى فأراد أن يعرف أخبار النبى عن قرب فأرسل تلك الوفادة ، وكان لا بد من رد وبدليل قاطع بأن طلب الرسول من الرجلين الاجتماع به فى الغد .

وأتى الرسول الخبر من السماء أن الله قد سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله فى شهر كذا وليلة كذا ، فأخبرهما النبأ وحملها رسالة شفوية إلى باذان فحواها أن دينه وسلطانه سيبلغ ملك كسرى ، ويطلب منه أن يسلم ويقره على ما تحت يده ويجعله على قومه من الفرس(٢) .

وكان لموقف الرسول ﷺ أثره فى اجتذاب باذان إلى الإسلام فاعتنق والأبناء من الفرس باليمن الإسلام(٣) بعد أن تحقق من صدق تلك النبوءة عن مقتل كسرى واعتلاء ولده شيرويه العرش مكانه(٤) وصارت صنعاء ولاية تابعة للدولة الإسلامية(٥) .

---

(١) نفسه .

(٢) عاد الرسولان إلى باذان من عند النبى بعد أن أهدى الرسول خرخسره منطقة ذهب وفضة كان بعض الملوك قد أهداهما للرسول .

(٣) عرف الإسلام طريقه إلى بلاد اليمن قبل باذان بكثير ، فقد أسلمت همدان ودوس مبكرًا قبل هجرة الرسول إلى يثرب ، وبعد الهجرة أسلمت سعد العشيرة من مذحج والأشاعرة من تهامة ، كما لم يغفل الرسول قبائل حمير السابقين فأرسل مبعوثه المهاجر بن أبى أمية إلى الحارث بن عبد كلال وعريب بن عبد كلال من ذى أبين وكان إليهما أمر حمير .
ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ١ -٢ ص٧٤ .
ابن الأثير : أسد الغابة فى معرفة الصحابة جـ٢ ص١٦٧ كتاب الشعب .

(٤) ابن الأثير : الكامل جـ٢ ص١٤٦ بيروت .

(٥) استمر حكم باذان على اليمن حتى وفاته سنة ١٠هـ فوليها ابنه شهر .

كذلك أوفد الرسول ﷺ عمرو بن أمية الضمرى إلى نجاشى الحبشة ، وبعث معه كتابًا يدعوه فيه إلى الإسلام . فكتب إلى النجاشى يخبره فيها بقبول دعوته وتصديقه إياها(١) .

أما هرقل قيصر الروم ، فبعث إليه الرسول كتابًا مع دحية بن خليفة الكلبى يطلب إليه أن يلبى داعى الإسلام(٢) ، فيرد عليه قيصر الروم بأنه عرض رسالته على قومه فأبوا قبول دعوته ، وأنه يود لو أنه كان عند رسول الله ليخدمه ويغسل قدميه(٣) . لولا خشيته من الأساقفة وأعاد المبعوث بكساء ومال(٤) .

أما مصر فقد ذهب إليها حاطب بن أبى بلتعة ، وسلم كتاب الرسول إلى المقوقس حاكم الروم بالإسكندرية ، يدعوه إلى الهداية ، هو وقومه ودخول الإسلام ، فيحسن المقوقس استقبال رسول النبى(٥) ، ويبعث بهدية إلى النبى(٦) .

---

(١) ابن سعد : كتاب الطبقا جـ٢ ص٢٣ .
ويذكر ابن الأثير : الكامل جـ٢ ص١٤٥ أن النجاشى لما جاءه كتاب النبى آمن به واتبعه وأسلم على يد جعفر بن أبى طالب وأرسل إليه ابنه فى ستين من الحبشة فغرقوا فى البحر.

(٢) جاء فى كتاب الرسول « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فإنى أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسليم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن عليك إثم الأريسين (أتباع أريوس) النبهانى الأنوار المحمدية ص١٦٦.

(٣) اليعقوبى : تاريخه جـ٢ ص٦٢ ، جمال سرور : ص١٥٣ - ١٥٤ وانظر أيضًا ابن الأثير : الكامل جـ٢ ص١٤٣ - ١٤٤ ويروى رد قيصر الروم بالتفصيل

(٤) ابن الأثير : الكامل جـ٢ ص١٤٥ بيروت .

(٥) لما قرأ المقوقس كتاب الرسول قال : كنت أعلم أن نبيا قد بقى ، وقد كنت أظن أن مخرجه الشام - وهناك كانت تخرج الأنبياء منه قبله - فأراه قد خرج من العرب فى أرض جهد وبؤس ، والقبط لا تطاوعنى فى اتباعه ولا أحب أن يعلم أحد بمحاورتى إياك .
ابن عبد الحكم : فتوح مصر جـ٣ ص٤٢ ، جمال سرور : ص١٥٣ .
انظر أيضًا : ابن الأثير : الكامل جـ٢ ص١٤٣ بيروت .

(٦) شملت هدية المقوقس للرسول ألف مثقال ذهب وعشرين ثوب وفرسا عرف باسم لزاز ، وبغلة عرفت باسم دلدل وحمارًا عرف باسم عفير أو يعفر ، وعبدًا خصيا ، وجاريتان ، مارية وأختها شيرين . البلاذرى : أنساب الأشراف جـ١ ص٤٤٩ ، ص٥١١ =

وهناك من رفض دعوة الإسلام تماما واعتبرهـا مضيعـة لملكـه ، فعندمـا قـرأ شجاع بن وهب الأسدى كتـاب الرسـول ﷺ علـى الحـارث بـن أبـى شمـر شيخ الغساسنة وحاكم دمشق من قبل الروم قال : من ينزع ملكى أنا سائر إليه[١] .

وهناك من لم يكتف برفض دعوة الإسلام بـل قتـل مبعـوث الرسـول مثلمـا فعل شرحبيل بـن عمـرو الغسـانى حينمـا اعـترض الحـارث بـن عمـير الأزدى إلى صاحب بصرى وقتله[٢] .

وهكذا استغل الرسول ﷺ فترة الهدنـة المعقـودة بينـه وبـين قريـش بمقتضـى صلح الحديبية ، الذى لم تلبث أن نقضته قريش باعتدائها على حلفاء الرسـول مـن خزاعة ، الأمر الذى أدى إلى سير الرسول إلى مكة وفتحها وإذعان قريش لسلطان الدولة العربية الإسلامية .

(ب) سياسة الرسول تجاه القبائل العربية بعد فتح مكة :

كان فتح مكة مفاجأة لثقيف بالطائف ، التى شعرت بالعزلة ، لذلـك فإنهـا استجابت إلى تجمعات هوازن من بدو جشم ونصر وسعد بن بكر الذين استشعروا الخوف من غزو المسلمين لهم ، فاجتمعت هوازن وثقيف بقيادة مـالك بـن عـوف النصرى ، وعسكروا [illegible] أوطاس[٣] .

= البلاذرى : أنساب الأشراق حـ١ ص٤٤٩ ، ٥١١ .

ويذكر ابن الأثير : الكامل جـ٢ ص١٤٣ ، ٢١٣ ، ٢١٤ فى هديـة المقوقـس أربـع جـوار والفرس والبغلة والحمار ولم يذكر المال والثياب والعبد الخصى .

(١) ابن الأثير : الكامل جـ٢ ص١٤٥ .

(٢) المقريزى : إمتاع الأسماع جـ١ ص٣٤٥ .

(٣) سـاقوا معهـم أموالهـم ونسـاءهم وأولادهـم على عـادة العـرب ليكـون حـافزًا لهـم علـى الاستبسال فى القتال .

ابن هشام : جـ٣ ٤٠ ص٤٣٧ - ٤٣٨ ، البـلاذرى : أنسـاب الأشـراف جـ١ ص٣٦٤ ٣٦٥ ، ابن الأثير : جـ٢ ص١٧٧

لم تلبث أن وصلت أنباء تلك الحشود الرسول ﷺ فخرج من مكة فـى أول شوال فى السنة الثامنة من الهجرة / يناير - فبراير سنة ٦٤٠م بجيشه الفاتح لمكة بالإضافة إلى ألفين من المسلمين الجدد ، فبلغ تعداده اثنى عشر ألفا(١) وقد أعجب المسلمين كثرتهم حتى قال أبو بكر أو غيره : اليوم لن نؤتى من قلة(٢) ونزل قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴾(٣) .

وبينما كان جيش المسلمين يخترق وادى حنين الضيق بتهامة انقض العدو بهجوم مفاجىء شتت شمل المسلمين ، فانحاز الرسول إلى الوادى مع قلة من أصحابه والعباس عمه آخذ بلجام بغلته دلدل . فصاح العباس مستنجدًا بالأنصار ، الذين لبوا ندائه - ولم يلبث أن دار قتال عنيف ، فأنهزمت سريعًا ثقيف إلى الطائف وهوازن إلى أوطاس تاركين أموالهم وذراريهم غنيمة للمسلمين . فأمر الرسول بجمعها ووضعها فى مكان يقال له الجعرانة(٤) .

وبينما مضت فرقة من فرق الجيش لمطاردة هوازن مضى الرسول ببقية الجيش لحصار(٥) الطائف(٦) أكثر من عشرين يوما ، ولم يتمكن من فتحها فرفع

---

(١) ابن هشام جـ٣ - ٤ ص٤٤٠ ويذكر أن الرسول ﷺ استعمل عتاب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس على مكة أميرًا على من تخلف عنه من الناس .

(٢) ابن الأثير : جـ٢ ص١٧٨ .

(٣) سورة التوبة : الآية ٢٦ .

(٤) وجعل عليها بديل بن ورقاء الخزاعى .

ابن هشام : جـ٣ - ٤ وما بعدها ، ابن الأثير : جـ٢ ص١٧٨ - ١٨٠ .

(٥) ورمى حائطها بالمنجنيق ياقوت معجم البلدان جـ٦ ص١٤

(٦) البلاذرى : فتوح البلدان ص٥٥ ماجد : التاريخ السياسى ص١٢٤

الحصار وعاد إلى الجعرانة ليتولى توزيع الغنائم . وبينما هو فى ذلك جاء وفد هوازن يعلن الإسلام ويتوسل بحق الصلة التى تربطه بهوازن(١) أن يرد عليهم أموالهم ونساءهم وأولادهم . فخيرهم الرسول بين الأموال والنساء والأولاد فأختاروا النساء والأبناء ، فأعلن الرسول تنازله عن نصيبه ونصيب بنى المطلب ، واقتدى به المهاجرون والأنصار وبنو سليم ، ورفضت فزراة وتميم فوعدهم الرسول بنصيب مضاعف فى أول غنيمة إذا تنازلوا عما معهم من سبايا(٢) .

ولكن يوطد البنى ﷺ نفوذه على حدود الحجاز الشمالية وهى منطقة كانت تسكنها قبائل عربية مسيحية فى الغالب(٣) ، مثل كلب وقضاعة ولخم وعذرة وغيرها ، وبعض القبائل اليهودية(٤) ، ففى شهر رجب عام ٩هـ/ أكتوبر - نوفمبر ٦٣٠م دعا الرسول إلى التجهز للخروج لقتال الروم كما دعاهم لبذل المال فى سبيل الله فتبرع المسلمون بأموالهم ، وكان عثمان بن عفان أكثرهم إذ جهز ثلث الجيش(٥) .

---

(١) فقد كانت السيدة حليمة مرضعته من هوزان .

(٢) ابن الأثير : جـ٢ ص١٨٢ - ١٨٣ بيروت .

(٣) البلاذرى : فتوح البدان ص٣٣ - ٣٤ ، تحقيق : صلاح الدين المنجد مكتبة النهضة المصرية .

(٤) ابن سعد : الطبقات جـ١ ص٣٨ .

ماجد : ص١٢٤

(٥) جاء أبو بكر الصديق بكل ماله - وهو أربعة آلاف درهم - وجاء عمر بن الخطاب بنصف ماله كما حمل إليه كل من العباس بن عبد المطلب وطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن عبادة ومحمد بن مسلمة مالاً وفيرًا .

ابن هشام : جـ٣ - ٤ ص٥١٧ - ٥١٨ ، النبهانى : الأنوار المحمدية ص١٢٧ .

استطاع الرسول ﷺ التغلب على الصعاب([١]) التى لاقاها فى إعداد جيش العسرة ، وخرج فى ثلاثين ألفا إلى شمال الحجاز حتى وصل تبوك فأقبل عليه هناك أهل أيلة([٢]) وجرباء([٣]) وأذرح([٤]) فصالحهم على الجزية([٥]) وكتب لكل جهة أمانا على أنهم أهل ذمة ، كما بعث الرسول خالد بن الوليد إلى دومة الجندل ، وعاد خالد بأميرها أكيدر بن عبد الملك مأسورًا فصالحه أيضا على الجزية([٦]) ، واكتفى

---

(١) وكان ذلك بسبب تثاقل بعض المسلمين عن النهوض للقتال بسبب شدة الحر ، فضلاً عن رغبتهم فى البقاء إلى جوار ثمارهم .

(٢) وأميرهم يحنة بن رؤية ، الذى قدم على الرسول ومعه أهل جرباء وأذرح وكان بأيلة ثلاثمائة رجل فقرر الرسول عليهم ثلاثمائة دينار وكتب له كتابا بذلك .
ابن هشام جـ٣ - ٤ ص٥٢٥ ٥٢٦ ، ابن سعد : الطبقات جـ٢ ص٥٥ ، جمال سرور : ص١٠٦٠ .

(٣) جرباء : موضع من أعمال عمان بالبلقاء ، ياقوت : معجم البلدان جـ٢ ص٧٢ وقد كتب لهم الرسول كتابا صالحهم على الجزية مائة دينار فى كل رجب .
المقريزى : أمتاع الأسماع جـ١ ص٤٦٨ .

(٤) اذرح : بلد فى أطراف الشام من نواحى البلقاء وعمان لأرض الحجاز وقد كتب لهم الرسول أيضا كتابا صالحهم فيه على الجزية مائة دينار فى أول رجب من كل عام . ابن سعد : الطبقات جـ٢ ص٥٥ ٥٦
المقريزى : امتاع الاسماع جـ١ ص٤٦٩ .

(٥) ابن سعد : نفسه .

(٦) أجبر خالد بن الوليد أكيدر على أن يفتح له دومة الجندل - وهى على واحة خصبة يقيم بها بطون كندة وتقع شمال المدينة على بعد خمسة عشر ليلة - وقد تم الصلح بين خالد وأكيدر على أن ينزل للمسلمين عن ألف بعير وثمانمائة رأس وأربعمائة درع وأربعمائة رمح - ثم قدم به خالد على الرسول بالمدينة فصالحه الرسول على أداء الجزية وأخلى سبيله .
ابن سعد : الطبقات : جـ٣ ص٢١٩ - ٢٢٠ ، البلاذرى : فتوح البلدان ص٧٢ - ٧٣ ، المقريزى : إمتاع الأسماع جـ١ ص٤٦٥ . سرورى ص١٦٢ .

الرسول بتوطيد سلطانه فى تلك الجهات و لم يتقدم إلى الشام ، كمـا لم يقـع قتـال مع الروم(١) إذ لم يكن من سياسة الدولة . العربية فى ذلـك الوقـت الدخـول فـى اشتباك مسلح يقدر الإعلان عن وجود هذه الدولـة وعـاد الرسـول إلى المدينـة فـى رمضان عام ٩هـ(٢) / ديسمبر - يناير ٦٣٠ - ٦٣١م .

ظهرت بوادر الوحدة الدينية والسياسية بجزيرة العرب بعد عودة الرسول ﷺ من تبوك فى السنة التاسعة من الهجرة حيث أخذت القبائل العربية تفـد إليـه معلنـة إسلامها عن طوع واختيار ، وعرف العام التاسع بالذات بعام الوفود(٣) .

كان وفد ثقيف أسبق الوفـود العربيـة فـى القـدوم علـى الرسـول ؛ فلمـا تم إسلام قبيلتهـم أصبحـت الحجازكلهـا تديـن بالإسـلام ، وأخـذت القبـائل العربيـة الأخرى التى كانت لا تزال محتفظة بوثنيتها تحذو حذر ثقيف ، كما تهيـأت كلهـا للدخول فى الدين الجديد(٤) .

ومن الجدير بالذكر أن فتح مكة وخضوع قريش لسلطان الدولـة الإسـلامية الناشئة التى أقامها الرسول فى المدينة أدى إلى انهيار معارضـة بقيـة القبـائل العربيـة الأخرى للدعوة الإسلامية ، وأخـذت وفودهـا تسـير مـن جهـات الجزيـرة العربيـة المختلفة قاصدة المدينة لتعلن دخولها فى الإسلام وفى طاعة الرسـول ﷺ ، إذ رأت أنه لا قبل لها بمحاربة المسلمين الذيـن واصلـوا الجهـاد لسـنين طويلـة دون أن تفـتر عزيمتهم(٥) .

---

(١) ابن هشام : حـ٣ ، ٤ ص٥٢٦ - ٥٢٧ ، ابن الأثير : حـ٢ ص١٨٩ - ١٩٢ .

(٢) جمال سرور : قيام الدولة العربية ص١٦٣ .

(٣) أوردت المصادر تلك الوفادات دون ترتيب أو تحديد زمنى .

(٤) ابن هشام : حـ٣ - ٤ ص٥٣٧ - ٥٤٣ .

(٥) المقريزى : أمتاع الأسماع حـ١ ص٤٩٥ . جمال سرور : قيام الدولة العربية ص١٦٦ .

وليس هناك شك أن هذه القبائل كانت تحكمها نزعات مختلفة وهـى مقبلـة على البيعة بطواعية صافية أحيانًا أو غير صافية أحيانًا - تنبع من دوافـع متباينـة ، ترجع أساسًا إلى طبيعة العرب النفسـية مـن عصبيـات قبليـة متأصلـة ، أو نزعـات فردية طامعة ، تلك التى سوف تبرز وتؤثر فى مسار التاريخ الإسلامى .

عول الرسول ﷺ على ائتلاف القبائل العربية ، فكان يكـرم وفـادة رسـلهم ويعلمهم شرائع الإسلام ويجيزهم ببعض الجوائز عند انصرافهم مـن المدينـة عـائدين إلى بلادهم ، كما كان يحـرص علـى أن يبـدو وأصحابـه فـى أحسـن مظهـر عنـد استقباله الوفود(١) .

وكان أعضاء الوفود العربية الذين يأتون إلى المدينة ليحظـوا بمقابلـة الرسـول يمثلون قبائلهم فى أغلب الأحيـان ، فـى التعبـير عـن رغبتهـم الصادقـة فـى اعتنـاق الإسلام والدخول فـى طاعـة النبـى ﷺ ، حتـى إذا مـا عـادوا إلى بلادهـم نشـروا الدعـوة الإسـلامية بـين أهـاليهم وقـاموا بتعليمهـم فرائـض الإسـلام وأحكامـه . كما كان بعض هذه الوفود يعودون حاملين كتبا من الرسول مبينا بهـا مـا يفرضـه عليهم الإسلام من واجبات(٢) .

ففى وسط نجد تسكن قبائل ربيعة من بنى تميم جاء وفد تميم من بنـى سـعد وبنى حنظلة فى وفد عظيم يضم سبعة من أشرافهم(٣) وعلـى رأسـهم عطـارد بـن

---

(١) المقريزى : امتاع الأسماع جـ١ ص٥٠٩ .

(٢) جمال سرور : قيام الدول العربية ص١٦٧ .

(٣) الثلاثة الأولون من بنى دارم بن مالك بن حنظلة بن زيد بن مناة بن تميم والزبرقان بن بدر أحد بنى بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد بن مناة بن تميم أما الأخيران فهما من بنى منقذ عبيد بن الحارث بن كعب بن سعد بن زيد بن مناة ابن تميم . ابن هشـام : جـ٣ - ٤ ص٥٦٠ - ٥٦١ .

حاجب بن زراة[١] ، وفيهم الأقرع بن حابس[٢] والحتات بن يزيد[٣] والزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم وقيس بن عاصم يريدون مقابلة الرسول ﷺ ، فانتظروا فى المسجد ، ولما استبطؤه نادوه من وراء حجراته : يا محمد أخرج إلينا ، فآذى ذلك الرسول وخرج إليهم وأسلموا بين يديه ومنحهم العطايا[٤] وقد نزل فيهم قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[٥] .

ولى الرسول ﷺ بعض أشراف بنى تميم على صدقات عشائرهم : الأقرع بن حابس صدقات بنى دارم ، الزبرقان بن بدر صدقات بنى عوف بن كعب[٦] ، قيس بن عاصم صدقات بنى الحارث بن كعب[٧] ، وكانت التعليمات لدى جميع عمال الصدقات فى سائر العشائر والبطون والقبائل حسب أوامر الرسول هى أن تؤخذ من أغنيائهم لترد على فقرائهم[٨] .

---

(١) يذكره ابن الأثير :جـ٢ ص١٩٥ حاجب بن زراة .

(٢) شهد الأقرع بن حابس مع الرسول ﷺ فتح مكة وغزوه حنين وحصار الطائف وأخذ عطاء المؤلفة قلوبهم من غنيمة هوازن .

ابن هشام :جـ٣ - ٤ ص٥٦١ ص٥٦٢ البلاذرى : أنساب الأشراف جـ١ ص٣٨٥ ، الطبرى : جـ٣ ص١١٥ ، ابن الأثير : جـ٢ ص١٨٣ .

(٣) يذكره الطبرى : جـ٣ ص١١٥ الحتات بن فلان .

(٤) ابن سعد : الطبقات جـ٢ ص٦٠ ، ابن الأثير : جـ٢ ص٢٠٣ .

(٥) سورة الحجرات : الآية ٤

(٦) البلاذرى : أنساب الأشراف جـ١ ص٥٣٠ .

(٧) نفس المصدر والصفحة .

(٨) أمين صالح العرب والإسلام ص١١٠ .

أما عبد القيس من ربيعة فى شرق الجزيرة العربية فقد قبـل رجالها الإسـلام مثل شيخها المنذر بن ساوى العبدى حاكم البحرين ، وبقى العـلاء بـن الحضرمـى بجوار المنذر بن ساوى ينشر الإسلام هناك تدريجيًا ، وظهر ذلـك فـى وفـادة عبـد القيـس عـام ١٠هـ / ٦٣١ - ٦٣٢ م برئاسـة الجـارود عمـرو بـن المعلـى وكـان نصرانيًا فأسلم معه أصحابه(١) .

ولما استجاب ملوك حمير - وهم الحارث بن كـلال ونعيـم بـن عبـد كـلال والنعمان قيل ذورعين ومعافر وهمذان - لدعوة الرسول - وكان قد كتـب إليهـم يدعوهم إلى الدخول فى الإسلام ، بعثوا إليه بعد عودته من تبوك كتابًا مع مـالك بن مرارة الرهاوى يقرون فيه بإسلامهم(٢) ، فلما قدم مالك بكتابهم على الرسول رحب به وأضافه ، ثم كتب إليهم الرسول كتابًا جـاء فيـه(٣) : « أمـا بعـد فـإنى أحمد الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد فإنه وقع بنا رسولكم مقفلنا من أرض الروم فبلغ ما أرسلتم وخبر عما قبلكم ، وانبأنا بإسلامكم وقتلكم المشـركين ، فـإن الله تبارك وتعالى قد هداكم بهداه وأطعتم الله ورسوله وأقمتـم الصـلاة وآتيـم الزكـاة وأعطيتم من المغنم خمس الله وخمـس نبيـه وصفيـه ومـا كتـب على المؤمنـين مـن الصدقة ... فمن أدى ذلك إلى رسول الله ﷺ فإن له ذمة الله وذمة رسوله ، ومن منعه فإنه عدو لله ولرسوله » .

---

(١) ابن هشام : جـ٣ - ٤ ص٥٧٥ ٥٧٦ ، ابن الأثير : جـ٢ ص١٠٣ .

(٢) ابن هشام : جـ٣ - ٤ ص٥٨٨ - ص٥٩٠ .

(٣) نفس المصدر السابق جـ٣ - ٤ ص٥٨٩ -٥٩٠ .

ابن سعد : الطبقات جـ٢ ص١١٨ - ١١٩ .

وقدم على رسول الله وفد بنى حنيفة وفيهم مسيلمة بن حبيب الحنفى(١) فلما أسلموا أمر له رسول الله بمثل ما أمر به للقوم(٢) ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ(٣) .

توالى قدوم الوفود العربية إلى المدينة تبايع الرسول على الإسلام . ومن هذه الوفدو وفد بنى فزازة - وعلى رأسهم - خارجة بن حصن(٤) ، جاؤا يعلنون إسلام قبيلتهم(٥) ، كما جاء وفد بنى مرة وكانوا ثلاثة عشر رجلاً منهم الحارث

---

(١) قال ابن إسحاق : أن بنى حنيفة أتت بمسيلمة لرسول الله تستره بالثياب والرسول جالس فى أصحابه ، معه عسيب (جريدة) من سعف النخل ، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ وهم يسترونه بالثياب كلمه فقال له رسول الله : لو سألتنى هذا العسيب ما أعطيتكه .
ابن هشام : جـ٣ - ٤ ص٥٧٦ .

(٢) وقال ابن إسحاق عن شيخ من بنى حنيفة أن وفد بنى حنيفة أتوا رسول الله وخلفوا مسليمة فى رحالهم فلما أسلموا ذكروا مكانه فقالوا : يا رسول الله أنا خلفنا صاحبًا لنا فى رحالنا وفى ركابنا فأمر له الرسول بما أمر لهم به وقال : أنه ليس بشركم مكانًا (أى لحفظة صنيعة أصحابه) .
ابن هشام : جـ ٣ - ٤ ص٥٧٦ - ٥٧٧ .

(٣) لما انتهى القوم إلى اليمامة ارتد مسيلمة وتنبأ وتكذب لهم وقال : إنى قد أشركت معه فى الأمر معه وقال لوفده الذين كانوا معه : ألم يقل لكم حين ذكرتمونى له : أما أنه ليس بشركم مكانًا ؟ ماذاك إلا لما كان يعلم إنى قد أشركت فى الأمر معه .
نفس المصدر : جـ٣ - ٤ ص٥٧٦ - ٥٧٧ .

(٤) والحارث بن قيس بن حصن وهو أصغر من فى الوفد .
حامد محمود محمد منصور ليمود : منتقى النقول فى سيرة أعظم رسول ص٣٣٩ .
رابطة العالم الإسلامى مكة المكرمة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

(٥) لما سألهم الرسول عن أحوالهم أخبروه بسوء حال معيشتهم من الجدب وسألوه أن يدعو لهم فدعا لهم فمطرت السماء .
ابن كثير : السيرة النبوية جـ٤ ص١٧١ ١٧٩ .
تحقيق د/ مصطفى عبد الواحد مؤسسة عيسى البابى الحلبى ١٩٦٤م ، ليمود : منتقى النقول ص٣٣٩ ص٣٤٠ .

ابن عوف ، وقالوا له : يا رسول الله إنا قومك وعشيرتك ونحن قوم من بنى لؤى بن غالب وأظهروا له إسلامهم ، فأجازهم عليه السلام بعشر أواق من فضة وأعطى الحارث بن عوف أثنى عشر أوقية([1]) .

وقدم على الرسول أيضًا وفد بنى كلاب - وهم ثلاثة عشر رجلاً ، فيهم لبيد بن ربيعة الشاعر وجبار بن سلمى وقالوا : « إن الضحاك بن سفيان الكلابى سار فينا بكتاب الله وسنته التى أمرته ، وإنه دعانا إلى الله فاستجبنا لله ولرسوله ، وأنه أخذ الصدقة من أغنيائنا فردها على فقرائنا »([2]) .

وجاء وفد بنو عذرة اثنا عشر رجلاً ، فيهم جمرة بن النعمان . فقال رسول الله ﷺ من القوم ؟ فقال متكلمهم : من لا تنكر ، نحن بنو عذرة ، أخوة قصى لأمه ، نحن الذين عضدوا قصيا ، وازاحوا من بطن مكة خزاعة وبنى بكر ، ولنا قرابات وأرحام ، قال رسول الله ﷺ : مرحبًا بكم وأهلاً - ما أعرفنى بكم ، فأسلموا ، وانصرفوا بعد أن أجازهم الرسول([3]) .

وقدم على الرسول وفد بلى فأنزلهم رويفع بن ثابت البلوى عنده وقدم بهم على رسول الله وقال له : هؤلاء قومى فقال له الرسول : مرحبًا بك وبقومك فأسلموا ، وأجازهم الرسول بعد أن أقاموا عنده ثلاثة أيام ورجعوا إلى بلادهم([4]).

---

(١) وذكروا له أيضًا أن بلادهم مجدبة فدعا لهم فلما عادوا إلى بلادهم وجدوها قد مطرت ذلك اليوم الذى دعا لهم فيه .

(٢) ابن سعد : الطبقات جـ١ ص٩٤ ٩٥ .
ابن كثير : السيرة النبوية جـ٤ ص١٧١ - ١٧٩ .
ليمود : منتقى النقول ص٣٤٠ .

(٣) ابن سيد الناس : عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير جـ٢ ص٢٥١ - ٢٥٢ دار الجيل - بيروت ١٩٧٤م .

(٤) عيون الأثر : جـ٢ ص٢٥٢ ، محمد ليمود : منتقى النقول ص٣٣٥ .

توالت وفود عرب الجزيرة على الرسول بالمدينة ، وقد أسلمت هذه الوفود بين يدى الرسول ، وتعلموا شرائع الإسلام ، وعادوا إلى قبائلهم بعد أن منحهم الرسول الجوائز التى اعتاد أن يمنحها لمن يأتيه من وفود هذه القبائل(١) .

وفى العام التاسع أصبح الحج إلى مكة يشمل عددًا كبيرًا من عرب الجزيرة وعرف « بالحج الأكبر » وهى أول حجة فى الإسلام - وقد أناب فيه الرسول صديقه أبا بكر(٢) أميرًا على الحج - وكان يمهد لحجته الأولى والأخيرة المعروفة بحجة الوداع . فقد كان بين الرسول وبين فريق من المشركين عهد يتضمن إلا يصد عن البيت أحد جاءه ، ولا يخاف أحد فى الشهر الحرام » بجانب عهود خاصة لقبائل من العرب بآجال معينة(٣) . ولما نزلت عليه سورة التوبة ، وحل موسم الحج فى السنة التاسعة رأى ألا يحج هذا العام حتى يرد إلى كل من عهد إليه من المشركين عهده ، كما كره الخروج للحج أيضًا لأن المشركين كانوا إلى ذلك الحين يحجون مع المسلمون ويطوف رجال منهم بالكعبة عراة ، ويزعمون بذلك أنهم يعظمون حرمة بيت الله الحرام وأمر الرسول أبا بكر بأن يخالف المشركين فى أداء مناسك الحج(٤) .

---

(١) ابن سعد : الطبقات جـ١ ص٩٤ - ٩٥ ، جمال سرور : ص١٧١ .

(٢) محمد حسين هيكل : الصديق أبو بكر ص٥٣ ، ماجد : ص١٢٥ .

(٣) ابن هشام : جـ٣ - ٤ ص٥٤٣ وما بعدها .

أمين صالح : العرب والإسلام ص١٢٢ .

(٤) فيقف فى اليوم التاسع من ذى الحجة بعرفة ولا يقف بالمزدلفة ، ولا ينصرف من عرفة فى ذلك اليوم إلى المزدلفة إلا بعد غروب الشمس ويبيت بالمزدلفة ليلة ، ثم يفيض منها قبل شروق الشمس يوم النحر إلى منى .

المقريزى : أمتاع الأسماع جـ١ ص٥٠٠ .

جمال سرور : قيام الدولة العربية ص١٧٢ - ١٧٣ .

ولم تلبث أن نزلت سورة التوبة بإبطال عهود المشركين مع إعطاء مهلة أربعة أشهر للعهد العام والآجال المحددة فى العهود الخاصة فى قوله تعالى فى صدر سورة التوبة[١] . ﴿ بَرَاءَةٌ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ مِنْ الْمُشْرِكِينَ فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ وَأَذَانٌ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرْ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ إِلا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ مِنْ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[٢] .

وجد الرسول ﷺ أن موسم الحج أنسب وقت لإبلاغ المشركين بعض آيات سورة التوبة التى نزلت فى نقض ما بينه وبين المشركين من عهد إلا ما عقدت لآجال معينة[٣] ، فوقع اختياره على عليّ بن أبى طالب ليقرأ هذه الآيات ، لأنه هو الذى عاهدا المشركين نيابة عنه[٤] ، وزوده بتعليمات أن يؤذن فى الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى : أنه لا يدخل الجنة كافر ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريانا . ومن كان له عند رسول الله عهد فهو إلى مدته[٥]

---

(١) فيقف فى اليوم التاسع من ذى الحجة بعرفة ولا يقف بالمزدلفة ، ولا ينصرف من عرفة فى ذلك اليوم إلى المزدلفة إلا بعد غروب الشمس ويبيت بالمزدلفة ليلة . ثم يفيض منها قبل شروق الشمس يوم النحر إلى منى .
المقريزى : امتاع الأسماع جـ١ ص٥٠٠ .
جمال سرور : قيام الدولة العربية ص١٧٢ - ١٧٣ .

(٢) سورة التوبة : الآية ١ - ٥ .

(٣) ابن هشام : ج٣ -٤ ص٤٥٣ وما بعدها .

(٤) المقريزى : امتاع الأسماع جـ١ ص٥٠١ .

(٥) ابن هشام : نفس المرجع والصفحات .

تنفيذًا لقوله تعالى فى سورة التوبة : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(١) .

استمر الرسول ﷺ بعد أن ثبت دعائم الدين الجديد وأوضح وجهة نظر الدولة الإسلامية تجاه المشركين ، فى جهوده فى نشر الإسلام فى الجزيرة العربية ، وأخذت وفود القبائل العربية تسير من أنحاء الجزيرة العربية قاصدة المدينة المنورة لتعلن إسلامها للرسول وولائها له ، ومن هذه الوفود وفد الأزد برئاسة صرد بن عبد الله الأزدى الذى قدم على رسول الله فى بضعة عشر رجلاً ، فأسلموا جميعًا وحسن إسلامهم وولى الرسول صرد بن عبد الله أميرًا على المسلمين من قومه وأمره أن يحارب بهم المشركين من قبائل اليمن(٢) فتمكن من أن يرغم أهل جرش - وهى من مدن اليمن الحصينة - على الدخول فى الإسلام بعد حصارهم وقتالهم ، وسار وفد من جرش إلى الرسول ﷺ ، وأظهروا له إسلامهم(٣) . كما قدم عمرو بن معد يكرب الزبيدى فى عشرة نفر من زبيد وأسلم بين يديه هو ومن معه ، ثم منحهم الجوائز وانصرفوا إلى بلدهم(٤) ، كذلك جاء وفد خولان إلى الرسول يؤكدون له إسلامهم ، فرحب الرسول بهم ، وعلمهم شرائع الإسلام وأمرهم بالوفاء بالعهد وأداء الأمانة وحسن الجوار وأن يقيموا العدل بينهم(٥) .

كذلك قدم وفد مراد مع فروة بن مسيك بن الحارث بن سلمة المرادى مفارقًا لملوك كندة وأعلن إسلامه ، فولاه الرسول على مراد

---

(١) سورة التوبة : الآية ٢٨ .

(٢) ابن هشام : جـ٣ - ٤ ص٥٨٧ - ٥٨٨ .
النبهانى الأنوار المحمدية ص١٠٢ .

(٣) ابن سعد : الطبقات جـ٢ ص١٠١ - ١٠٢
المقريزى : امتاع الأسماع جـ١ ص٥٠٥ .

(٤) ابن هشام : جـ٣ - ٤ ص٥٨٣ - ٥٨٥ .
ابن سعد : الطبقات جـ٢ ص٩٢ .

(٥) النبهانى : الأنوار المحمدية ص١٩٠ .

وزبيد ومذحج ، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص ليجبى الصدقات[١] .

وجاء إلى المدينة وفد الرهاويين - وهم بطن من بطون مذحج - وكانوا خمسة عشر رجلاً ، فأسلموا وأجازهم الرسول ، وظلوا بالمدينة حتى تعلموا القرآن والفرائض ، ثم عادوا إلى بلدهم وقدم منهم نفر حجوا مع الرسول[٢] .

ورأت قبيلة كندة أن تتحول إلى الإسلام وتنبذ ديانتها القديمة ، فأرسلت وفدًا إلى المدينة من ثمانين رجلاً برئاسة الأشعث بن قيس الكندى ، فأقروا بإسلامهم بين يدى الرسول ﷺ وعادوا إلى بلدهم[٣] .

وقدم على الرسول أيضًا وفد حضر موت ، ليعلنوا إسلام قومهم ورحب الرسول بقدوم وائل بن حجر الحضرمى ، وكتب له حين عزم على العودة إلى بلاده كتابًا يقره على ما بين يده من الأرضين والحصون ، وأن يأخذ من كل عشرة واحد وأن يقيم العدل ولا يظلم أحدًا[٤] .

كذلك قدم إلى المدينة وفد غسان وطيىء وغامد ، وكان وفد غسان ثلاثة نفر أعلنوا إسلامهم أمام الرسول وانصرفوا راجعين إلى بلادهم ؛ غير أن قومهم لم يستجيبوا لهم حين دعوهم إلى الإسلام[٥] . وكان وفد طيىء خمسة عشر برئاسة زيد الخيل بن زيد بن منهب الطائى ، أسلموا بين يدى الرسول وقد مدح الرسول زيد الخيل وسماه زيد الخير وأقطع له بعض الأراضى فى ناحيته[٦] . أما

---

(١) ابن هشام : جـ٣ -٤ ص٥٨١ - ٥٨٣ .
المقريزى : امتاع الأسماع جـ١ ص٥٠٦ .

(٢) ابن سعد: الطبقات جـ٢ ص١٠٧ - ١٠٨. المقريزى : امتاع الأسماع جـ١ ص٥٠٧.

(٣) ابن هشام : جـ٣ -٤ ص٥٨٥ -٥٨٦ .المقريزى: امتاع الأسماع جـ١ ص٥٠٩ - ٥١٠ .

(٤) ابن سعد : الطبقات جـ٢ ص١١٢ - ١١٣ .

(٥) نفس المصدر والصفحات .

(٦) قال الرسول ﷺ : « ما ذكر لى رجل من العرب بفضل ثم جاءنى إلا رأيته دون ما يقال فيه إلا يزد الخيل فإنه لم يبلغ فيه كل ما فيه » الطبرى : جـ١ ص١٤٥ بيروت ، المقريزى : امتاع الأسماع جـ١ ص٥٠٨ .

وفد غامد فأقر بالإسلام وكتب لهم الرسول كتابًا بين فيه شرائع الدين الإسلامى، كما عهد إلى أبى بن كعب بتعليمهم القرآن(١) .

وكان الرسول ﷺ قد أرسل خالد بن الوليد إلى بنى الحارث بن كعب ليدعوهم إلى الإسلام ، فأجابوا وأسلموا ، وأقام بينهم يعلمهم شرائع الإسلام وسنة نبيه وكتب إلى الرسول بخبر إسلامهم(٢) فرد ﷺ يحمد له فعله ويأمره أن يقدم معه وفدهم(٣) ، فلما قدم خالد بن الوليد ومعه وفد بنى الحارث بن كعب برئاسة قيس بن الحصين بن يزيد بن شداد(٤) ، فشهدوا بالإسلام بين يديه ، وشهد لهم الرسول بذلك ، ثم ولى عليهم قيس بن الحصين ، وعهد الرسول إلى عمرو بن حزم بالخروج إليهم ليعلمهم شرائع الإسلام ويفقههم فى الدين ويجبى منهم الصدقات، وكتب له كتابًا بين فيه الأحكام والزكوات ومقادير الديات(٥).

أما نصارى نجران فقد أرسلوا إلى رسول ﷺ ستين من أشرافهم على رأسهم العاقب وهو أميرهم وصاحب مشورتهم ، والسيد وهو صاحب رحلتهم(٦) ،

---

(١) ابن سعد : الطبقات جـ٢ ص١٠٩ . النبهانى : الأنوار المحمدية ص١٩١ .

(٢) ابن هشام : جـ٣ - ٤ ص٥٩٢ - ٥٩٣ .
الطبرى : جـ١ ص١٢٦ وما بعدها .

(٣) ابن هشام : جـ٣ - ٤ ص٥٩٣ .

(٤) ويقال له : ابن ذى الغصة .
المقريزى : امتاع الأسماع جـ١ ص٥٠١ .

(٥) ابن هشام : جـ٣ - ٤ ص٥٩٤ - ٥٩٦ .
المقريزى : امتاع الأسماع جـ١ ص٥٠١ - ٥٠٢ .

(٦) ابن سعد : الطبقات جـ٢ ص١٢٩ .
كان مع الوفد هدية للرسول وهى بسط فيها تماثيل ومسوح ، فقبل النبى منهم المسوح ورد التماثيل وكان دخولهم المسجد النبوى بعد دخول وقت العصر ولما حان وقت صلاتهم أرادوا الصلاة فمنعهم الناس فقال لهم النبى : دعوهم فصلوا مستقبلين بين المقدس .
ابن سيد الناس : عيون الأثر جـ٢ ص٢٥١ - ٢٥٢٥ .
محمود ليمود : منتقى النقول ص٢٣٥ .

فلما قدموا عليه وعرض عليهم الإسلام فأبوا وقالوا : كنا مسلمين قبلكم فقال لهم النبى : كذبتم ، يمنعكم من الإسلام ثلاث : عبادتكم الصليب ، أكلكم لحم الخنزير وزعمكم أن لله ولدًا ، فقالوا : فمن مثل عيسى خلق من غير أب . وجادلوا فى أشياء أخرى فأنزل قوله تعالى : ﴿ أن مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾[١] .

وفى الغد حضر إليه ثلاثة من ذوى الرأى من رجالهم طلبوا إليه أن يحكم عليهم بما يجب فصالحهم على ألفى حلة ، ألف فى رجب وألف فى صفر ومع كل حلة أوقية من فضة ، وعلى أن يضيفوا رسول الله شهر فما دونه ، وعليهم أن يمدوه بثلاثين فرسًا وثلاثين بعيرًا إذا وقعت باليمن حرب ، ولهم عليه ذمة الله وعهده على ألا يفتنوا ولا يؤخذ عشر أموالهم ولا يندبون للحروب ، ولا يفرض عليهم البعوث واشترط عليهم ألا يأكلوا الربا ولا يتعاملوا به[٢] . وبعد أن كتب لهم الرسول كتابًا قالوا له : أرسل معنا أمينا ، فأرسل معهم أبا عبيدة عامر بن الجراح ولذا كان يسمى أمين هذه الأمة[٣] . ولم يلبث العاقب والسيد أن رجعا إلى النبى وأسلما وظل نصارى نجران على ما كتب لهم النبى حتى توفى[٤] .

---

(١) سورة آل عمران : الآية ٥٩ - ٦١ .

(٢) البلاذرى : فتوح البلدان ص٧٥ - ٧٦ . اليعقوبى : تاريخه جـ٢ ص٥٧ . المقريزى : امتاع الأسماع جـ١ ص٥٠٢ . ليمود : منتقى النقول ص٣٣٦ - ٣٣٧ .

(٣) يروى أن النبى ﷺ قال : « أما والذى نفسى بيده لقد تدلى العذاب على أهل نجران ، ولولاغونى لمسخوا قردة وخنازير ولا ضرم عليهم الوادى نار ولا ستأصل الله نجران وأهله حتى الطير والشجر ، ولا حال الحول على النصارى حتى يهلكوا » أحمد الحملاوى : مورد الصفا فى سيرة المصطفى ﷺ ص٢٨٧ - مطبعة الحلبى ١٩٣٩م .

(٤) ابن سعد : الطبقات جـ٢ ص١٢٥ .

وبعد أن انتشر الإسلام فى بلاد اليمن رأى الرسول ﷺ أن يوفد إلى أهالى تلك البلاد أبو موسى الأشعرى ، ومعاذ بن جبل ليعلماهم أمور دينهم(١) ، ولما بلغ رسول الله أن جماعة من أهل اليمن لا يزالون على ديانتهم القديمة أرسل إليهم على بن أبى طالب يدعوهم إلى الإسلام ، كما بعث خالد بن الوليد من قبله لنفس الغرض(٢) ، فلما وصل على بن أبى طالب أرض مذحج فى رمضان سنة عشر لقى فريقًا من اليمنيين أبو قبول دعوته فى بادىء الأمور وهاجموه فتمكن من هزيمتهم، ودعاهم إلى الإسلام فأجابوه وأعطوه صدقات قومهم(٣) فكتب على ابن طالب إلى الرسول بما أحرزه من نصر فى بلاد اليمن وإقبال أهلها على الإسلام ، فسر الرسول بذلك وأمره بالشخوص إليه ، فلقيه بمكة ، وكان قد قدمها للحج(٤) .

تتابع أهالى بلاد اليمن على اعتناق الإسلام بعد أن نجحت البعوث التى أوفدها الرسول إلى تلك البلاد ، وأرسلوا وفودهم ليعلنوا إسلامهم أمام الرسول فى المدينة المنورة - وكان آخر تلك الوفود وفد النخع - وهم مائتا رجل - قدموا إلى المدينة فى المحرم من سنة إحدى عشر وأقروا بإسلامهم بين يدى الرسول(٥) .

حجة الوداع :

أثمرت جهود الرسول ﷺ فى نشر الدعوة الإسلامية فأصبحت بلاد العرب بعد انتشار الإسلام فيها تشعر بالوحدة القومية بعد أن ربطت بينها

---

(١) النبهانى : الأنوار المحمدية ص١٣٢ .

(٢) وقد وصاهم الرسول بألا يقاتلهم حتى يقاتلوهم .

ابن سعد : جـ٢ ص٢٢٢ .

(٣) ابن سعد : جـ٢ ص٢٢٢ - ٢٢٣ ، المقريزى : إمتاع الأسماع جـ٢ ص٥٠٣ .

(٤) المقريزى : إمتاع الأسماع جـ١ ص٥٠٤ .

(٥) وكانوا ممن بايع معاذ بن جبل باليمن .

ابن سعد : جـ٢ ص١١٠ .

النبهانى : الأنوار المحمدية ص١٩٣ .

عقيدة الإسلام فقامت الدولة العربية الإسلامية على أساس الوحدة الدينية والسياسية(١) .

وبعد أن اطمأن الرسول ﷺ إلى لنجاح الدعوة الإسلامية وأن جزيرة العرب أصبحت تنضوى تحت لواء الإسلام عزم على الخروج للحج(٢) ودعا المسلمين لأداء هذه الفريضة ، فوفد إلى المدينة كثير من الناس ملبين دعوة النبى ﷺ .

وفى الخامس والعشرين من شهر ذى القعدة فى السنة العاشرة من الهجرة خرج الرسول من المدينة فى جمع كبير من المهاجرين والأنصار وما إنضاف إليه من العرب بلغ عدده ما يقرب من مائة ألف ، حيث أحرم الرسول والمسلمين جميعًا من ذى الحليفة ومنها انطلقوا إلى مكة مهللين ومكبرين - ثم طاف الرسول حول الكعبة سبع مرات ، وصلى خلف مقام إبراهيم ركعتين ثم سعى بين الصفا والمروة ، وفى اليوم الثامن من ذى الحجة سار إلى منى فأقام بها ليلة ، ثم خرج فى صباح اليوم التاسع إلى جبل عرفات(٣) حيث ألقى(٤) خطبة

---

(١) يرى البعض من أعداء الوحدة العربية الإسلامية عدم القول بمصطلح الدولة العربية الإسلامية ويرون أن مصطلح الدولة الإسلامية أعم وأشمل ومع وجاهة رأيهم فى اتساع مفهوم الدولة الإسلامية يضم شعوبًا غير عربية إلى الإسلام - إلا أن الربط بين العرب وقيام الدولة العربية الإسلامية يعطى نوعًا من الفخار لهؤلاء العرب الذين استطاعوا أن يجعلوا للإسلام دولة وخاصة على عهد النبى والخلفاء الراشدين من بعده .

(٢) يذكر الطبرى : حـ٣ ص١٥٩ - ١٦٠ أن الرسول حج ثلاث حجج حجتين قبل أن يهاجر وحجة بعد ما هاجر معها عمرة .

(٣) عرفة وعرفات اسم لموضع واحد . وحد عرفة من الجبل المشرف على بطن عرفة إلى جبال عرفة ، وقيل فى سبب تسميتها بعرفة أن جبرائيل عليه السلام عرف إبراهيم عليه السلام المناسك فلما وقف بعرفة قال له : عرفت قال : نعم فسميت عرفة - ويقال بل سميت بذلك لأن أدم وحواء تعارفا بها بعد نزوهما من الجنة ويقال أن الناس يعترفون بذنوبهم فى ذلك الموقف .
ياقوت الحموى : معجم البلدان حـ٦ ص١٤٩ مطبعة السعادة

(٤) يؤخذ من روايات الرواة أنه كان ليوم عرفات رئيس من بيت معين من بيوتات العرب لا يفيض الناس إلا بعد افاضته ، ولعل الزعماء وأصحاب الشأن فى العرب كانوا يتخذون=

الوداع[١] ، وفيها عرف المسلمين ما عليهم من واجبات ومالهم من حقوق ، كما أشار ﷺ إلى قرب انتقاله إلى الرفيق الأعلى وتمام الرسالة حين نزلت عليه هذه الآية من سورة المائدة : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾[٢] فكان لهذه الآية أبلغ الأثر فى نفوس المسلمين .

أخذ المسلمون مناسك الحج عن رسول الله ﷺ لتبقى إلى ما شاء الله من الوقوف بعرفة ورمى الجمار وطواف البيت وما أحل لهم أو حرم عليهم فى الحج . فكانت حجة البلاغ وحجة الوداع[٣] .

عاد الرسول بعد أداء مناسك الحج إلى المدينة ، و لم يكد يمضى شهران على عودة الرسول من حجة حق ألم به المرض ، و لم يمنعه ذلك عن المسير إلى المسجد ليصلى بالناس فلما اشتد المرض عليه أناب عنه أبا بكر ليصلى بالناس ، و لم يلبث ﷺ أن توفى فى ضحى يوم الاثنين الثانى عشر من ربيع الأول عام ١١هـ/٨ يونية ٦٣٢م[٤] وهو فى الثالثة والستين من عمره ، بعد أن أدى الرسالة وبلغ الأمانة ونصح الأمة وتركها على المحجة البيضاء .

= هذا اليوم المشهود وسيلة لإعلان بعض الأمور وإبلاغها للناس . وقد كان الناس بعد أن يفرغوا من حجهم يأتون صاحب الأمر فى النسيء ليسمعوا منه ما يريد أن يعلن من تأخير وتقديم فى الأشهر الحرم ، محمد عزة دروزة : عصر النبى ص١٩٣ .

(١) جمال سرور : قيام الدولة العربية ص١٨٤ - ١٨٥ .
وانظر نص خطبة الوداع عند ابن هشام جـ٣ - ٤ ص٦٠٣ ٦٠٦ .
والطبرى : جـ٣ ص١٥٠ - ١٥١ ، وابن الأثير : جـ٢ ص٢٠٥ - ٢٠٦ .

(٢) سورة المائدة :الآية ٣ .

(٣) ابن هشام : جـ٣ - ٤ ص٦٠٦ .

(٤) اتفق المؤرخون على أن وفاته ﷺ يوم الاثنين لكنهم اختلفوا فى تحديده بين الثانى أو الثانى عشر من ربيع الأول عام ١١هـ إلا أن المتفق عليه هو الثانى عشر من ربيع الأول .
ابن هشام : جـ٣ -٤ ص٦٥٢ وما بعدها ، البلاذرى : أنساب الأشراف جـ١ ص٥٦٨ .
الطبرى : جـ٣ ص١٨٤ وما بعدها ، المسعودى : مروج الذهب جـ٢ ص٣٨٧ .
محمد أمين صالح : العرب والإسلام ص١٢٣ .

المصادر والمراجع

أولاً : المخطوطات العربية :

– **ابن الحاج** : (كان حيا سنة١١٨٧هـ عبد القادر بن الحاج صالح بكتاشي البغدادي

– رفع الخفاء على ذات الشفاء .

(وهو شرح المنظومة الموسومة بذات الشفاء في سيرة النبي ثم الخلفاء لابن الحاج نفسه وقد فرغ من تأليفه ١٩ محرم سنه ١١٨٧ هـ) مخطوط بمكتبة المتحف العراقي ببغداد برقم ٢٤٦ .

– **ابن شبة** : (ت ٢٦٢ هـ / ٨٧٥ م) أبوزيد عمر بن شبة بن عبيدة .

– تاريخ المدينة

مخطوط بمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم ١٥٧

– **العجيمي** : (كان حياً خلال النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري) :

حسن بن علي المكي الحنفي .

١– تاريخ مكة والمدينة والطائف

مخطوط مصور بقسم المخطوطات – جامعة الرياض – برقم ٤٣ ص تاريخ

٢– إهداء اللطائف في أخبار الطائف .

مخطوط بدار الكتب المصرية المكتبة التيمورية رقم ٢٢١٠

– **العدوي** : (كان حيا حتى نهاية النصف الأول للقرن الثاني عشر الهجري)

أبو البقاء محمد بهاء الدين ضياء المكي الحنفي القرشي العمري .

– أحوال مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف وغير ذلك.

مخطوط مصور بقسم المخطوطات – جامعة الرياض برقم ٢٢٦ تاريخ عن النسخة المحفوظة بدار الكتب المصرية .

– **العينى** : (ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م) أبو محمد محمود

– عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان

مخطوط بمكتبة طبقبو باستانبول تركيا رقم ٢٦١١ تاريخ والمخطوط فى ٢٨ مجلد .

– **ابن قدامة** (ت ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م) موفق الدين عبد الله بن محمد بن أحمد

– الاستبصار فى نسب الصحابة من الأنصار .

مخطوط بمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة رقم ٥٩٧ تاريخ

– **كبريت** (ت ١٠٧٠هـ/١٦٦٠م) محمد كبريت عبدالله الحسنىالمدنى الموسوى.

– الجواهر الثمينة فى محاسن المدينة .

مخطوط بمكتبة الأوقاف العامة ببغداد برقم ١٧٧ تاريخ .

– **مجهول** :

– فى سيرة الرسول وغزواته

مخطوط بمكتبة الأوقاف ببغداد برقم ٣٥٨ / ١٣٦٧

– **المرجانى** : (ت ٧٨١ هـ / ٧٩ – ١٣٨٠ م) أبو عبد الله بن أبى مروان عبد الملك القرشى .

– تاريخ هجرة المختار .

مخطوط بمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم ٩٠٠ تاريخ عام ، ٤٥ تاريخ خاص.

ثانيًا : المصادر العربية :

– **ابن الأثير** : (٦٣٠هـ/١٢٣٨م) أبو الحسن على بن أبى الكرم .

١ – الكامل فى التاريخ دار الكتاب العربى – بيروت الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م.

٢ - أسد الغابة فى معرفة الصحابة .

المطبعة الوهبية - القاهرة ١٢٨٠هـ ، كتاب الشعب .

- **ابن إسحاق** : (ت ١٥١هـ/٧٦٢) أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن يسار المطلبى .

- سيرة النبى .

(تهذيب عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميرى (ت ٢١٨هـ/٨٣٢) .

تحقيق/ محمد محى الدين عبد الحميد القاهرة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م .

- **الاصطخرى**:(توفى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى) أبو القاسم بن إبراهيم.

- المسالك والممالك

تحقيق/ محمد جابر عبد العال مراجعة/ محمد شفيق غربال القاهرة١٣٨١هـ/ ١٩٦١م .

- **الأزرقى** : (ت ٢٣٣هـ/٨٤٧ - ٨٤٨) أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد .

- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار

المطبعة الماجدية مكة المكرمة ١٣٥٢هـ .

- **الألوسى** : السيد محمود شكرى البندارى .

- بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب .

٣ أجزاء القاهرة ١٣٤٣هـ/ ١٩٣٤م .

- **البخارى**: (ت ٢٥٦هـ/١٨٧٠)شيخ المحدثين الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل.

- الصحيح (٩ أجزاء فى٣ مجلدات) مطبعة الفجالة القاهرة ١٣٧٦هـ.

- **البكرى** : (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٧م) أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسى.

- معجم ما استعجم من أسماء البلدان والمواقع (٤ أجزاء فى مجلدين).

تحقيق مصطفى السقا القاهرة (٦٤ - ١٣٦٨هـ/٤٥ - ١٩٤٩م).

- **البلاذرى** : (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م) أحمد بن يحيى بن جابر .
١ - فتوح البلدان . نشر وتحقيق/ صلاح الدين المنجد القاهرة ١٩٥٦م .
٢ - أنساب الأشراف . تحقيق/ محمد حميد الله. دار المعارف بمصر ١٩٥٩م.
- **ابن حبيب** : (ت ٢٤٥هـ/٨٥٩م) محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمى.
- كتاب المحبر تحقيق المستشرقة الأمريكية ايلزة ليمتن شتيتر . حيدر أباد - الركن - الهند - ١٣٨٤هـ/١٩٤٢م .
- **ابن حزم** : (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٤م) أبو محمد على بن أحمد بن سعيد الأندلسى.
- جمهرة أنساب العرب .
تحقيق / عبد السلام محمد هارون دار المعارف بمصر ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م.
- **الحلبى** : (ت ١٠٤٤هـ/١٦٣٥م) على بن إبراهيم بن أحمد .
- أنسان العيون فى سيرة الأمين والمأمون (المعروف بالسيرة الحلبية).
القاهرة ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م .
- **الأصفهاني** : (ت٣٠٦هـ/٩١٨-٩١٩م) أبو عبدالله حمزة بن الحسن الأصفهاني.
- تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء (ليبزج ١٨٢٤م، برلين ١٣٤٠م).
- **ابن حوقل** : (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادى .
- صورة الأرض . ليدن ١٩٦٧م .
- **ابن خلدون** : (٨٠٨هـ/١٤٠٥ - ١٤٠٦) عبد الرحمن بن محمد .
- المقدمة .
- **الدينورى** : (ت ٢٨٢هـ/٨٩٥) أبو حنيفة أحمد بن داود .
- الأخبار الطوال .
تحقيق/ عبد المنهم عامر راجعه د/ جمال الدين الشيال .
أعادت طبعه مكتبة المتنبى ببغداد .

– **الديار بكرى** : (ت ٩٦٦هـ/١٥٥٩م) حسين بن محمد بن الحسن .
– تاريخ الخميس فى أحوال أنفس نفيس .
(جزآن فى مجلد) طبعة مؤسسة شعبان بيروت عن الطبعة القديمة بالمطبعة الوهبية القاهرة ١٢٨٣هـ .

– **الذهبى** : (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٨م) شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان .
١ - تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام القاهرة ١٣٦٧هـ .
٢ - سير أعلام النبلاء تحقيق/صلاح الدين المنجد القاهرة ١٩٥٥م.

– **ابن سعد** : (ت ٢٣٠هـ/٨٤٥م) أبو عبد الله محمد الزهرى .
– الطبقات الكبرى .
(٩ أجزاء) طبعة دار صادر - بيروت (٨٠ - ١٣٨٨/٦٠- ١٩٦٨م) .

– **السمهودى** : (٩١١هـ/١٠٥٦م) نور الدين على بن عبد الله بن أحمد) .
– وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى .
تحقيق/ محمد محى الدين عبد الحميد القاهرة ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م .

– **السهيلى** : (٥٨١ - ١١٥٨م) أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله .
– الروض الأنف فى تفسير السيرة النبوية لابن هشام .
تعليق/ طه عبد الرؤوف سعد (أربعة أجزاء فى مجلدين) .
القاهرة ١٣٩١هـ/ ١٩٧١ م .

– **ابن سيد الناس** : (ت ٧٣٤هـ / ١٣٣٣م) فتح الدين أبو الفتح محمد بن محمد بن عبد الله .
– عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير .
مطبعة دار الجبل الطبعة الثانية بيروت ١٩٧٤م وانظر أيضًا طبعة دار الآفاق الجديدة طبعة أولى بيروت ١٩٧٧م .

– **الطبرى** : (ت ٣١٠هـ/٩٢٣م) أبو جعفر بن جرير .
١ – تاريخ الأمم والملوك .
تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم (١١ جزءًا بيروت دار سويدان) ، دار المعارف ٦٠ –١٩٦٦م .
٢ – جامع البيان فى تأويل آى القرآن .
القاهرة ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م الطبعة الثانية .
– **العامرى** : (كان حيا سنة ٨٥٥هـ) عماد الدين يحى بن أبى بكر .
– بهجة المحافل وبغية الأماثل فى تلخيص المعجزات والسير والشمائل .
(جزآن) شرح الأشخر اليمن : جمال الدين محمد .
مطبعة الجمالية القاهرة ١٣٣٠هـ وقد أعيد نشر الكتاب من قبل مكتبة النمنكانى بالمدينة المنورة .
– **العباسى** : (توفى فى القرن العاشر الهجرى) أحمد بن عبد الحميد .
– عمدة الأخبار فى مدينة المختار .
الطبعة الخامسة تصحيح أحمد الجاسر . منشورات أسعد دار بزونى الحسينى بالمدينة المنورة .
– **ابن عبد البر** : (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد البر .
١ – القصد والأمم فى التعريف بأصول أنساب العرب والعجم .
النجف الأشرف ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م .
٢ – الدرر فى اختصار المغازى والسير .
تحقيق/ د. شوقى ضيف القاهرة ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م .
٣ – الاستيعاب فى أسماء الأصحاب .
النسخة المحقة بهامش كتاب ابن حجر: الإصابة – الطبعة الأولى.
(مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٨هـ) .

- **ابن عبد الحكم** : (ت ٢٥٨هـ/٨٧٠ - ٨٧١م) .
- فتوح مصر وأخبارها القاهرة ١٩١٤م .
- **العصامى** : (ت ١١١١هـ/١٦٦٩م) عبد الملك بن حسين بن عبد الملك المكى.
- سمط النجوم العوالى فى أنباء الأوائل والتوالى .
المطبعة السلفية القاهرة ١٣٧٩هـ .
- **ابن فضل الله** : (ت ٧٤١هـ/١٣٤١م) العمرى .
- مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار .
الجزء الأول تحقيق/ أحمد زكى باشا القاهرة ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م .
- **الفيروز آبادى**: (ت ٨٢٣هـ/١٤١٥م) مجد الدين أبو الطاهر محمد بن يعقوب.
- المغانم المطابة فى معالم طابة .
تحقيق/ حمد الجاسر - الطبعة الأولى الرياض ١٣٨٩هـ .
- **ابن قتيبة** : (٢٧٦هـ/٨٨٩م) .
- كتاب المعارف .
تحقيق/ ثروت عكاشة دار المعارف الطبعة الرابعة .
- **القلقشندى** (ت ٨٣١هـ/١٤١٨م) أبو العباس أحمد .
- صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء (١٤ جزءًا) .
- **ابن كثير**: (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٦٣م) عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر القرشى.
- المختصر فى أخبار البشر ٤ أجزاء .
- البداية والنهاية .
الطبعة الأولى القاهرة ١٣٥١هـ/١٩٣٢م .
- **الكلاعى** : (ت ٦٣٤هـ/١٢٣٧م) أبو الربيع سليمان بن موسى الأندلسى .
- الاكتفاء فى مغازى رسول الله والثلاثة الخلفاء .
تحقيق/ مصطفى عبد الواحد (جزآن) القاهرة ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م .

الكلبى : أبو المنذر هشام بن محمد .

- كتاب الأصنام تحقيق/ أحمد ذكى .

دار الكتب ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م - الطبعة الثانية .

- مالك بن أنس : الإمام (ت ١٧٩هـ/٧٩٥م) .

- الموطأ :

صححه وعلق عليه/محمد فؤاد عبد الباقى- القاهرة ١٣٧٠هـ/١٩٥١م.

- مجهول :

- مجموعة الوثائق السياسية فى العهد النبوى والخلافة الراشدة .

جمعها الدكتور/ محمد حميد الله الحيدرآبادى .

مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة .

- المراغى : (ت ٨١٦هـ/١٣ - ١٤١٤م) أبو بكر بن الحسن بن أبى حفص عمر بن أبى عبد الله .

- تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة .

تحقيق/ محمد عبد الجواد الأصمعى- الطبعة الأولى القاهرة ١٣٧٤هـ/١٩٥٥.

- مسلم : (ت ٢٦١هـ / ٧٤ - ٨٧٥ م) الإمام أبو الحسن مسلم بن حجاج القشيرى النيسابورى .

- صحيح مسلم (٥ أجزاء) .

تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقى - الطبعة الأولى - القاهرة ١٣٧٤هـ .

- المطرى : (ت ٧٤١هـ/١٣٤٠م) جمال الدين محمد بن أحمد بن خلف .

- التعريف بما انست الهجرة من معالم دار الهجرة .

تحقيق/ محمد بن عبد المحسن الخيال منشورات أسعد درابزونى - المدينة المنورة ١٣٧٢هـ .

- **المقريزى** : (٨٤٥هـ/١٤١٤م) تقى الدين أحمد بن على .
- امتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والحفدة والمتاع .
صححه وشرحه الأستاذ/ محمود محمد شاكر القاهرة .
- **ابن النجار** : (ت ٦٤٧هـ/ ٤٩ - ١٢٥٠م) أبو عبد الله البغدادى محمد بن محمود بن الحسن .
- أخبار مدينة الرسول (المعروف باسم الدرة الثمينة فى أخبار المدينة).
تحقيق/ صالح محمد جمال - الطبعة الأولى مكة ١٩٦٦م .
- **النووى** : (ت ٦٧٦هـ/ ٧٧ - ١٢٧٨م) أبو زكريا محى بن شرف .
- تهذيب الأسماء واللغات .
(أربعة أجزاء) منشورات دار الكتب العلمية - بيروت .
- **ابن هشام**: (ت ٢١٨هـ/٨٣٢م) أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب المعافرى.
١ - السيرة النبوية .
(٤ أجزاء فى مجلدين) تحقيق/ مصطفى السقا ، إبراهيم الإبيارى، عبد الحفيظ شلبى .
مطبعة المكتبة التوفيقية .
٢ - كتاب التيجان فى ملوك حمير .
- **الهمدانى** : (ابن الفقيه) : (ت ٣٦٥هـ / ١٩٧٦) أبو بكر أحمد بن محمد .
- مختصر كتاب البلدان - ليدن ١٣٠٢هـ/١٨٨٥م .
- **ياقوت الحموى** : (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨ م) شهاب الدين أبو عبد الله .
- معجم البلدان .
(خمسة أجزاء بيروت ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م) .
مطبعة السعادة ١٩٠٦م .

– **اليعقوبى** : (ت ٢٨٤هـ/٨٩٦م) أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر وهب .

١ – تاريخ اليعقوبى .

(٣ أجزاء نشر المكتبة المرتضوية بالنجف ١٣٥٨هـ) .

٢ – البلدان .

الطبعة الثالثة النجف الأشرف ١٣٧٧هـ/١٩٧٥م ، ١٩٦٤م .

ثالثًا : المراجع العربية والمترجمة :

– **أحمد إبراهيم الشريف** :

١ – الدولة الإسلامية الأولى – المكتبة التاريخية دار القلم ١٩٦٥ م .

٢ – مكة والمدينة فى الجاهلية وعهد الرسول – القاهرة ١٩٦٥م .

– **أحمد الحملاوى** :

– مورد الصفا فى سيرة المصطفى ﷺ – مطبعة البابى الحلبى ١٩٣٩م .

– **أحمد فكرى** :

– مساجد القاهرة ومدارسها – دار المعارف بمصر .

– **أحمد محمود الأحمدى** :

– مع السيرة النبوية .

مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

محاضرات الموسم الثقافى ١٣٩٤ – ١٣٩٥هـ .

– **أحمد مختار العبادى** .

– فى التاريخ العباسى والفاطمى – دار النهضة العربية بيروت .

– **أرنولد : سير توماس** .

– الدعوة إلى الإسلام .

نقله إلى العربية د. حسن إبراهيم حسن بالاشتراك مع الأستاذين/ عبد المجيد عابدين وإسماعيل النحراوى – الطبعة الثانية القاهرة ١٩٤٧ .

- الأنصارى : عبد القدوس .

- آثار المدينة المنورة - الطبعة الثالثة - بيروت ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .

- الأنصارى : عبد الله الطيب .

- هجرة الحبشة وما وراءها من نبأ .

دراسات فى تاريخ الجزيرة العربية - الكتاب الثالث .

- البتنونى : محمد لبيب .

- الرحلة الحجازية - الطبعة الثامنة القاهرة ١٣٢٩هـ .

- بدر عبد الرحمن محمد (الدكتور) .

حكومة الرسول ﷺ ودورها فى توحيد الجزيرة العربية .

مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة ١٩٨٦م .

- البقرى : عبد الله أبو العطا .

- الأنصار فى الإسلام - القاهرة ١٩٦٤ك .

- جاد المولى : محمد بن أحمد وعلى البجاوى ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم .

١ - أيام العرب فى الجاهلية الطبعة الثالثة القاهرة ١٣٦١هـ/١٩٤٢م .

٢ - محمد ﷺ المثل الكامل .

- جواد على :

١ - تاريخ العرب قبل الإسلام-طبع المجمع العلمى العراقى ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م.

٢ - المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام-مكتبة النهضة بغداد-الطبعة الأولى ١٩٦٩م.

- حافظ على :

- فصول من تاريخ المدينة المنورة .

منشورات شركة المدينة للطباعة والنشر بجدة .

- حتى : فيليب .

- تاريخ العرب : (المطول فى جزئين) الطبعة الرابعة بيروت ١٩٦٥م .

- حسن إبراهيم حسن :

- تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى .

الجزء الأول مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٤م ، ١٩٨٢م .

- رجب محمد عبد الحليم .

- تاريخ عصر النبوة والخلافة الراشدة - دار النهضة العربية ١٩٨٧م .

- زيدان : جورجى : العرب قبل الإسلام القاهرة ١٩٠٨م .

- سرور : الدكتور محمد جمال الدين .

- قيام الدولة العربية فى حياة النبى ﷺ . دار الفكر العربى ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .

- صالح أحمد العلى :

- الدولة فى عهد الرسول .

(المجلد الأول تكوين الدولة وتنظيمها) .

مطبعة المجمع العلمى العراقى ١٩٨٨ .

- صالح لمعى مصطفى :

- المدينة المنورة تطورها العمرانى وتراثها المعمارى .

دار النهضة العربية بيروت ١٩٨١م .

- عاشور : الدكتور/ سعيد عبد الفتاح .

تاريخ أوربا فى العصور الوسطى .

الجزء الأول مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة الرابعة ١٩٦٦م .

- عبد الله عبد العزيز بن إدريس :

- مجتمع المدينة فى عهد الرسول .

عمادة شئون الطلاب جامعة الملك سعود ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

- عبد الحليم عويس :

- شخصية الرسول ﷺ .

دراسات تاريخ الجزيرة العربية الكتاب الثالث .

- عشماوى : عبد الفتاح :

- نظرة فى غزوة أحد .

محاضرات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الموسم الثقافى ١٣٩٤هـ/ ١٣٩٥هـ .

- عرفان سامى :

- نظريات العمارة - دار المعارف .

- عمر رضا كحالة :

١ - قبائل العرب .

٢ - جغرافية شبه الجزيرة العربية مراجعة أحمد على ط٢ القاهرة١٣٨٤هـ/١٩٦٤م

- عمر كمال توفيق .

- تاريخ الدولة البيزنطية .

الهيئة المصرية العامة للكتاب فرع إسكندرية ١٩٧٧م .

- غنيمة : يوسف :

- الحيرة المدينة والمملكة العربية - بغداد ١٩٣٦م .

- فريد شافعى :

- العمارة الإسلامية فى مصر الإسلامية فى عصر الولاة .

المجلد الأول - هيئة الكتاب مصر ١٩٧٠م .

- فلهوزن : يوليوس :

- تاريخ الدولة العربية منذ ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية .

ترجمه إلى العربية د/ محمد عبد الهادى أبو ريدة راجعه د/ حسين مؤنس .

مطبعة لجنة التأليف والترجمة بالقاهرة ١٩٥٨م والطبعة الثانية ١٩٦٨م .

- ليمود : حامد محمود محمد منصور ليمود :

- منتقى النقول فى سيرة أعظم رسول .

رابطة العالم الإسلامى - مكة المكرمة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

- ماجد : الدكتور عبد المنعم :

- التاريخ السياسىللدولة العربية الجزء الأول .

الطبعة السابعة مكتبة الأنجلو المصرية .

- محمد أمين صالح :

- العرب والإسلام - مكتبة نهشة الشرق.

- محمد عبد الستار عثمان : المدينة الإسلامية سلسلة عالم المعرفة الكويت أغسطس ١٩٨٨م .

- محمد عبد العزيز الحسينى :

- قرطبة درة الأندلس .

مجلة المدن العربية نشر منظمة المدن العربية العدد ١٤ سنة ١٩٨٤م .

- النبهانى : يوسف بن إسماعيل .

- الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية .

- نلدكة :

- أمراء غسان .

ترجمة بندلى جوزى ، قسطنطين زريق بيروت ١٩٢٣م .

- هيكل : محمد حسين :

١ - حياة محمد - دار المعارف الثامنة عشر .

٢ - الصديق أبو بكر .

- ولفنسون : إسرائيل :

- تاريخ اليهود فى بلاد العرب - القاهرة ١٩٢٧م .

- وهبة الزحيلى :

- آثار الحرب فى الفقه الإسلامى

المكتبة الحديثة - دمشق ١٩٦٥ .

رابعًا : المراجع الأجنبية :

- **Arnold :** Sir Thomas.
  1. The Caliphate. (Oxford 1924).
  2. The Preaching of Islam (London 1935)
- **Bertram :** Les Arabes.
- **Crichton, A; Andrew** : History of Arabia vol, 1, (Edinburgh 1957).
- **Diehl (c), Marcais (G) :** Le Mond Oriental de 395 à 1081 .
- Encyelopadia of Islam. IV. (Leyden 1934) .
- Encyelopadia of Islam. I. IV. FF (Leyden 1960) .
- **Grunebaum :** von : The Muslim Town and the Hellenistic Town (1955)
- **Guidi :** l'Arabe Anteislamique .
- **Lammens :** S.J. La cité Arabe de Taif à la Veille de 1. Hegire.
- **Lammens :** Le Bearceau de l'Islam.
- **Margoliouth :** The Relations Between Arabs and israelites perior to the Rise of islam.
- **Procopius :** History of the Wars. vol, 1.

فهرس

رقم الإيداع ١٩٩٨/٣٩٢٩
الترقيم الدولى I.S.B.N. 977-19-5632-9